TAG-228.389/01

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –
كلية الآداب و العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم اللغة العربية وآدابها

سجل تحت رقم 1634
بتاريخ 04 جوان 2008
الرقم 31 ماي 2008

وظيفة الاقتصاد المورفونولوجي في التواصل اللساني

سورة = طَ = نموذجاً

المكتبة المركزية للعلوم الاجتماعية

رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير
في اللّسانيات العامّة

إعداد الطّالب :
أحمد طيبي

لجنة المناقشة :

* د : أحمد عزوز رئيساً .
* أ.د : عبد الجليل مرتاض مشرفاً .
* د : الهدي بوروبة مشرفاً ثانياً .
* د : عبد الجليل مصطفاوي عضواً .
* د : محمد موسوني عضواً .

السّنة الجامعيّة (2002 - 2003)

إهداء

بسم الله الرّحمن الرحيم

أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى :

من أمر الله بالإحسان إليهما قائلا :

﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾

إلى والديّ حفظهما الله .

إلى إخوتي وأهلي .

إلى عائلتي الصّغيرة :

زوجتي و ابني نورين .

إلى زملائي وأساتذتي .

إلى كلّ من قرأ هذه الرّسالة

فنصح أو شجّع أو وجّه ...

أحمد طيبي

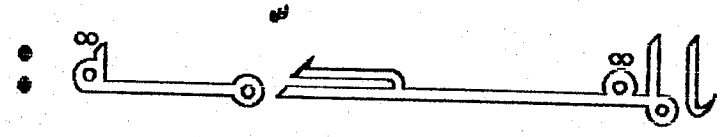

من الثّابت أنّ اللّغة عطاء من الله ، خصّ بـــها الإنسان و ميّزه بوساطتهـــا على سائر خلقه ، فهي سبيله إلى الإفصاح عن السّرائر التي في النّفوس ، وطريقه إلى التّفاهم والاتّصال مع بني جنسه ، وبهـــا يتعرّف على كلّ ما يدور حوله داخل هذا الكون الذي يعيش فيه ، فيستطيع بذلك التّلاؤم مع كلّ ظرفٍ جديد يطفو على محيطـــه . ومـــا العربية إلاّ واحدة من تلك اللّغات التي عرفتها الإنسانية ، إلاّ أنّهـــا اختلفت عن غيرها من حيث كونهـــا لغة القرآن ، ووعاء التّشريع و الأحكام .

فإذا كان أنْ عرفت اللّغات الأخـــرى ـــ في صيرورة حياتـــها ـــ تلك المراحل الطبيعية الثّلاث المشهورة ، وهـــي مرحلة النّشوء والتّشكّل ، ثم مرحلة النموّ والاكتمال ، التي تليهـــا مباشرة مرحلة التّلاشي و التفتّت والزّوال ، كما هي الحال بالنسبة إلى اللاّتينية ، فإن اللّغة العربية توقفت عند المرحلة الثّانيـــة و لم تتجاوزها إلى المرحلة الموالية بفضل رعاية القرآن وتحصينه لها و محافظته عليها . وقد قيّض الله لها رجالاً يسهرون على صيانتهـــا ويقومون بشؤونهـــا ، فصالوا وجالوا من أجل لمّ شتاتـــها وجمع شواردها و نوادرهـــا ، ووقفوا على أحكام نظمها وسبروا أغوارهـــا الدّلالية والأسلوبية ، مدفوعين في ذلك بوازع ديني ، تحذوه رغبتهم الجامحة في فهم القرآن مصدر الأحكام وأساس التّشريع . فكانت جلّ أبحاثهم اللّغوية مؤسّسة عليه ، تدور في رحابه وتنشط في فلكه ، فالعلم

باللّغة من الدّيـــن .

ولعـــلّ أوّل انطلاقة حقيقية فـــي سبيل فهـــم كتاب الله وصيانتـــه من التّحريف ، تعود إلـــى اليوم الذي أخطأ فيـــه ذلك الأعرابي قراءةَ الآية الكريمة (أنَّ اللّـــه بَـــريءٌ مـــنَ المُشْركينَ و رَسولُـــه) فلحنَ فيها عندما كسر لام ' رسوله ' بدلاً من ضمّهـــا ، فأصاب اللّغة في أصواتها كما أصابها في معناهـــا ودلالتها .

فمن هذا المنطلق انكبَّ علماء العربية ـــ نحاة ولغويون ـــ علـــى العلوم اللّغوية بمختلف فروعها غير مميّزين أحدها عن الآخر ، اعترافاً منهـــم بتداخلها وتلاصقها وحاجة بعضهـــا إلى بعض ، فدرسوا الأصوات وأفاضوا فيهـــا ، و لم يسبقهم في ذلك إلاّ الهنود . ورغم التّطور الكبير الذي عرفته الدّراسات الصّوتية الحديثة بفضل الوسائل المبتكرة في هذا المجال ، إلاّ أ ن أصداء أبحاثهـــم والنّتائج المبهرة التي توصّل إليهـــا أمثال : الخليل بن أحمد ، وسيبويه ، وابن جنّي ، وابن سينا ، والفرّاء ، والفارابـــي ، والكندي ، وابن الطحّان و غيرهـــم ، لا تـــزال حتّى الآن تشدّ اهتمام الباحثين في حقل الصّوتيات .

كما اهتمّوا بالصّرف و النّحو و البلاغة ، فنبغوا فيهـــا و ابتكروا فـــي مناهجها وطوّروا أساليب دراستهـــا و تلقينهـــا ، فكانت لهـــم المعين الذي لا ينْضُب ، والرّفيق الذي لا يكلّ ، و السّند الذي لا يفنـــى ، الذي بوساطتـــه

حافظوا علـــى النّطق الصّحيح للغة القرآن والتّلاوة الشّريفة و صيانتهـــا ممّا قد يعتريها من لحنٍ أو تحريـــف ـــ وخاصة بعد انتشـــار الإسلام وفتح الأمصار ، واختلاط العرب بالأعاجم ، والمعايشة اليومية لهم ، وقد نقلوا عاداتهـــم النّطقية إلى العربية التي تسرّبت إلـــى نطق بعض العرب ـــ وعن طريقه نقلوا إلى الخلف من أبناء هذه اللّغة تراثـــاً جمع عبقريتهـــم وذكاءهم فـــي فترةٍ ازدهرت فيهـــا حضارتهم في جوانبها الفكرية و العلمية .

وإذا كان القدماء قد أحاطوا باللّغة العربية فدرسوها في جوانبها المختلفة ، مرْتكزين فـــي ذلك على أساس الملاحظة الذّاتيـــة و التّجربة الذّوقية و المعرفـــة الآنية و المنهجية المترفّرة ، فهناك الكثير من المسائـــل التي لم يغوصوا فيهـــا و لم يسبروا أغوارها ، فأشاروا إليهـــا إشارات وامضة لم تكشف حقيقتهـــا و لم تجلُ الغطاء عنهـــا .

وواجبنا اتّجاهها أنْ نبعثهـــا إلى الوجود فندرسها بمنظور عصري ، غير مجترّين أقوال السّابقين فيهـــا ، محاولين تطبيق معطيات الدّرس اللّغوي الحديث عليها،مستفيدين من المناهج التي فرضتها عوامل النّمو الفكري بأبحاثه ونظرياته . والحق أنّ ' **اللّسانيات** ' تتيح لنا هذه الفرصة وتوفّر لنا إمكانيات جديدة لتناول الظّاهرة اللّغوية واستخلاص سماتها . فنكون بذلك قد شاركنا فـــي خدمة هذه اللّغة الجليلة على نحو ما نهض بهـــا السّابقون ، و ساهمنا في تقدّمهـــا وتطوّرها

وأعدنا لهـــا مجدها الضّائع ، لتنال حظوتها بين لغات العالم المتطوّر.

والبحث الذي نقدّمه ينطلق من هذه النّظرة و يؤسّس عليها ، فهو يحاول إجلاء ظاهرة كثيرا ما أشار إليها القدماء إشارات سريعة ـــ عالجوها تحت اسم ' الاسْتِثْقال و الاسْتِخْفاف ' ـــ في ثنايا بحوثهـــم ، دون أن يتعمّقوا فيها ، ودون أنْ يخصّوهـــا ببحث مستقّل ، فننظر إليهـــا في ضوء ما قرّرتـــه و توصلتْ إليه اللّسانيات الحديثة . ونعني ههنا ' **ظاهرة الاقتصاد في اللّغة** ' .

ولمّا كان الموضوع واسعاً يصعب على الباحث أنْ يحيط بجوانبه المختلفة وأطرافـــه المتعدّدة علـــى امتداد مستويات الدّرس اللّغوي صوتاً وصرفاً وتركيباً ودلالـــةً ، رأيتُ حصـــر الظّاهرة فـــي مستوى واحد منهـــا هـــو المستـــوى ' **المورفونولوجي** ' ، وهو المستوى الذي تتكشّفُ وتتمَظْهر فيـــه أكثر من غيره من المستويات . ولمّا كانت هذه الظّاهرة تطّلع بوظيفة ، وتقوم علـــى مقصدٍ و هدفٍ أساسيٍ هو تسهيل العملية التّواصلية وتيسيرهـــا بين المتكلّم و السّامع ، اخترتُ أنْ يكون موضوع بحثي :

" وظيفة الاقتصاد المورفونولوجي في التّواصل اللّساني "

وحتّـــى لا يكون موضوعـــي جافّاً ، تبيّن لـــي أنْ أشفعـــه بدراسة تطبيقية تزيده توضيحـــاً و تميط اللّثام عن بعض مـــا قد يعتريـــه من إبهام أو

غموض ، فوقـــع اختياري على سورة من سور القرآن ، لا لشيء إلاّ لكـــون القرآن يمثّل أرقى النّصوص الفصيحة التي دارت حولها كلّ الجهود اللّغوية قديمها وحديثها . وقد وقفت عند سور ة ' طَـــهَ ' لسببين :

ـــ أحدهما أنّ لفظ (طَـــهَ) الذي سميت به السّورة هـــو أصغر آية في القرآن الكريم عند معظم الرّواة ، وبالتّالي يتضمّن معنى الاقتصاد .

ـــ وثانيهما أنّ لفظ (طَـــهَ) يمثّل صورة من صُوَر الاقتصاد المورفونولوجي ، فكان العنوان النّهائي والأخير للبحث هو :

" وظيفة الاقتصاد المورفونولوجي في التّواصل اللّساني "
- سورة ' طَـــهَ ' نموذجاً -

واقتضتْ طبيعة الموضوع خطّةً تشكّلت من مدخل وثلاثـــة فصول و خاتمـــة . تناولتُ فـــي المدخل تجلّيات الاقتصاد اللّساني في اللّغة العربية الفصحى في جميع مستويات البحث اللّغـــوي الصّوتية و الصّرفية و التّركيبية و المعجميـــة بإيجاز ، لأنتهي إلى التّركيز حول حقيقة بروز الاقتصاد اللّساني بشكل أوضح وأوفى على مستوى الظّواهـــر المورفونولوجية ، أي الظّواهر المشتركـــة بين علميْ الصّوت والصّرف ، مع توضيح العلاقة بين العلمين وتلازميتهما وخدمة أوّلهما لثانيهما .

ودرستُ في الفصل الأوّل الاقتصاد المورفونولوجي في الظّواهر التّماثلية ، فبعد التّوطئة التي بيّنت فيها تأثّر الأصوات بعضها ببعض أثناء تجاورها في سياق العملية الكلامية وأنّهـــا لا تحتفظ بصفاتها وخصائصهـــا التي عُرفت بها عند ما كانت منفردة ، عرضْتُ لظاهرة المماثلة بمختلف أنواعها و أشكالها ، ثمّ ظاهرة القلب المكاني ، ثمّ ظاهرة النّحت في اللّغة العربية ، فبيّنتُ ماهياتها وحلّلت نماذج عنها وكشفتُ عن وجوه الاقتصاد فيهـــا في ظلّ القوانين الصّوتية وبخاصّة قانونا السّهولة و التّيسير و الظّواهر التّوازنية .

أمّا الفصل الثّاني فقـــد خصّصتـــه لدراسة الاقتصاد المورفونولوجي في الظّواهر التّخالفية ، فتتبّعتُ أثر قانون الجهد الأدنى فـــي مختلف أنواع المخالفة في اللّغـــة العربية مستعيناً في توضيح ذلك ببعض الأمثلة من لغات أخرى .

وكان الفصـــل الثّالث لوظيفة الاقتصاد المورفونولوجي في عمليـــة التّواصل من خلال سورة ' طَـــهَ ' ، فعرضتُ فيـــه لأهمّ جوانب العملية التّواصلية من حيث أنّهـــا مسرح أحداث الاقتصاد المورفونولوجي ، وفيهـــا يتكشّف ويظهـــر إلى الوجود ، لأنتقل بعد ذلك إلى تلمّس أثر الاقتصاد المورفونولوجي فيها من خلال السّورة ، وهي الدّراسة التّطبيقية التي ذكرت فيها أنواع الظّواهر المورفونولوجية الواردة في السّورة ، مع إحصاء جميع أمثلتها بأنواعها المختلفة المتكرّرة فيها ، ثمّ ذكرتُ كلّ نوع منها ونسبة وروده في السّورة ، لآخذ عيّنة عنـــه يتمّ تحليلهـــا

وتبيين وظيفة الاقتصاد من خلالـــها في تسهيل العمليـــة التّواصلية بين المتكلّم و المستمع .

وأمّا الخاتمة فكانت حوصلة لأهم النّتائج التي توصّل إليها البحث .

وكان زادي في إنجاز هذا البحث مجموعة مـــن المصادر و المراجع مـــمّا ألّفـــه أئمة اللّغـــة القدامـــى ، وسيبويه ، و ابن جنّي ، وابن الأنباري ، و ابن يعيش ، والزّركشي ، والسّيوطي ، والزّمخشري ، و ممّا ألّفـــه المحدثون كابراهيم أنيس ، وتمّام حسّان ، و رمضـــان عبد التّواب ، وعبد الصّبور شاهين ، وأحمد مختار عمـــر ، و عبد القادر عبد الجليل و غيرهـــم ، كما استعـــان البحث من بعـــض المؤلفات الأجنبية للغويـــن مشهورين كدي سوسير ، وجاكبسون ، ومارتيني وغيرهم .

وقد سرْتُ فـــي معالجته واستقصاء مسائلـــه ، وفـــق المنهج الوصفي ، المبنـــي علـــى استقراء الظّاهرة وتحديدها ثم تفسيرهـــا . كما استعنت بالمنهج الإحصائي مع استخدام الرّسومات البيانية والجداول من أجل الموازنة وتوضيح الحقائق و الكشف عنها .

فقد كان البحث في هذا الموضوع شائقاً ، لولا ما اعترى سبيل إنجازه من نقص المراجع الحديثة المختصّة و صعوبة الحصول عليها ، و على الرّغم من ذلك فقد كـــان أستاذَيَّ الجليلان ؛ الأستاذ الدّكتور : عبد الجليل مرتاض ، و الدّكتور : المهدي بوروبة أكبر حافز لي على تجاوز كلّ الصّعاب بتوجيهاتهمـــا

و ملاحظاتهما حرصًا منهمـــا أنْ يخرج البحث في مستوى المقاييس العلميـــة التي تتطلّبها البحوث الأكاديمة المعمول بها .

ولا يفوتني في هذا المقام أنْ أشكر لهما فضلهما و صنيعهما ، فجازاهما الله خير الجزاء .كما أقدّم شكري لزملائي طلبة الماجستير ، الذين لم يبخلوا عليّ بتقديم مصدرٍ أو مرجعٍ أو رأيٍ أو نصيحة . دون أن أنسى شكري لأعضاء لجنة المناقشة المحترمين الذين سيتحمّلون عبْء قراءة هذه الرّسالة و تقويمها و تسديد ما اعوجّ فيها .

وبعد ، فإنْ كنت وُفّقت في بحثي هذا ، فذلك من فضل ربّي ، وإنْ لم يكن كذلك ، فحسبي أنّني اجتهدت في طلبه و نُشدانه .

و على الله قصد السّبيل

- أحمد طيبي -

* تلمســـان فـــي :

01 جانفي 2003 م الموافق لـ : 29 شعبان 1423 هـ

المدخل

- **مظاهر الاقتصاد اللّساني في اللّغة العربية .**

من الواضح أنّ اللّغة باعتبارها وسيلة للتّواصل تتطوّر باستمرار ، فهي تنشأ في أحضان المجتمع وتنمو معـــه وتتطوّر بتطوّره . فأصـــوات اللّغة وقواعدهـــا وتراكيبها ومعجمها ودلالتها لا تثبت على حالها الأولى ، و إنّما هي عرضة للتّغيرات المطّردة وفق مقتضيات التّواصل ومتطلّباته . " و اللّغة العربية الجاهليـــة ، ليست بدعـــا من اللّغات ، فهي حلقة في سلسلة حلقات طويلة من التّغير و التّطور ، أيْ أنّهـــا لم تكن كما يتخيّل بعض النّاس ، بصورتها التي رويت لنا ، منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها . " [1]

ويُعزى التّطور اللّغوي في كثير من الأحيان إلى الجانب المنطوق في اللّغة ، لأنـــه يمتلك القدرة على الحركة والانسياب أكثر مما هو عليـــه جانبها المكتوب .[2] متّجهاً في سلوكه هذا نحو الاقتصاد والتّسهيل و التّيسير وتقليص النّشاط الذّهنـــي والجسدي لدى المتكلّم والمستمع إلى الحدّ الذي يسمح لهما بالتّواصل والتّفاهم . فالاقتصاد اللّساني إذن هو مبتغى اللغّة الذي تسعى إليه من خلال تطوّرها عبر الأزمنة و التّاريخ ، و مراد تحقيق الإنسان الحدّ الأقصـــى من الأثر من خلال بذل الحدّ الأدنى من المجهود . و من مظاهره في اللّغة العربية الفصحى :

تخفيف الهمزة الذي يعتبر مثالا صادقا لجنوح العربية نحو اليسر واقتصاد الجهد . والهمزة نبرة في الصّدر تخرج باجتهاد كما يقول سيبويه [3] ، فهـــي من أشقّ الأصوات نطقا و أعسرهـــا إخراجا . فمكان إنتاجها فتحة المزمار التي تنطبق ثم تنفتح فجأة محدثة

---

(1) التّطور اللّغوي : مظاهره و علله و قوانينه ـــ رمضان عبد التّواب ـــ مكتبة الخانجي بالقاهرة ـــ ط1 ـــ 1983 ـــ ص : 6 .

(2) ينظر : الأصوات اللّغوية ـــ عبد القادر عبد الجليل ـــ دار صفاء للنّشر والتّوزيع ـــ ط1 ـــ 1998 ـــ ص : 261 .

(3) ينظر : الكتاب ـــ سيبويه ـــ تحقيق و شرح : عبد السّلام هارون ـــ مكتبة الخانجي ـــ القاهرة ـــ ط3 ـــ 1988 ـــ ج3 ـــ ص : 548 .

انفجارا أثناء إصدارها ، الأمر الذي دفع بالقبائل العربية القديمة و بخاصة الحجازية و من جاورها إلـــى التّخلّص منها بتسهيلها أو حذفها أو إبدالها حرف لين .[1] و قد وُضعت قواعد حُصِرتْ بها " أحوال الهمز فـــي جهات النّطق بها ، بمراعاة حركتها أوحركة ما قبلها أو ما بعدهـــا ." [2] فقد خفّفت العرب ' الهمزة ' المفردة بقلبهـــا مدًّا من جنس حركة ما قبلها في (يؤمنون وَ يومنون ، بئسما وَ بيسما ، سأل وَ سال) .

ميل اللّغة العربية نحو الأيْسر والأبسط فونيما [3] . فإذا بحثنا في بعض فونيمات اللّغة العربية التـــي تتحقّق من نفس الموضع و تخرج من نفس المكان ، وجدنـــا أنّ نسبة تردُّدها تختلف تماشيا مع قانون الجهد الأدنى ، و مثال ذلك :

ـــ الصّوائت القصيرة والطّويلة :

فالمعروف أن الصّوائت القصيرة أقـــلّ كمّية و أقصر زمناً من الطّويلة ، و بنظرة سريعة في اللّغة العربية ، يتبين أنّ الصّوائت القصيرة أكثر من تردّد الطّويلة .[4]

ـــ السّين و الصّاد :

فالفارق في نطقهما هو تلك العملية الإضافية التي تخصّ الصّاد و التي تقتضي رفع مؤخرة اللّسان إلى الطّبق .[5] " و بمقارنة عدد السّينات فـــي السُّور العشر الأولـــى من القرآن بعدد الصّادات ، نجد السّينات ثلاثة أضعاف الصّادات ." [5] والأمرنفســـه يقال على (التّاء و الطّاء) و(الدّال و الضّاد) . وأمّا (الذّال و الظّاء) فكلاهما قليل الشّيوع

---

(1) ينظر : علم اللّغة بين التّراث و المعاصرة ـــ عاطف مذكور ـــ دار دار الثّقافة للنّشر و التّوزيع ـــ القاهرة ـــ د.ط ـــ 1987 ـــ ص : 283 .

(2) بحوث في اللّغة ـــ قطبي الطّاهر ـــ ديوان المطبوعات الجامعية ـــ الجزائر ـــ د.ط ـــ 1990 ـــ ص : 8 .

(3) ينظر : دراسة الصّوت اللّغوي ـــ أحمد مختار عمر ـــ عالم الكتب ـــ القاهرة ـــ ط3 ـــ 1985 ـــ ص : 338 .

(4) ينظر : نفسه ـــ ص : 339 .

(5) ينظر : نفسه ـــ ص : 340 .

في اللّغة العربيـــة ، وقـــد وصلت الذّال في إحصائيات لسان العرب إلى (216) مرّة مقارنة بالظّاء التي تكرّرت فيه (149) مرّة فقط .[1]

العين و الحاء :

والعين أيسر نطقا من الحاء من حيث أن المجهور أسهل من المهموس وأقصر زمناً منه . و بالعودة إلى احصائيات جذور معجم لسان العرب نجد أنّ العين تكرّرت فيـــه (868) مرّة مقارنة بالحاء التي بلغت (719) مرّة فقط .[2]

اعتمادهم في لغتهم علـــى **الأصوات المجهورة** ، من حيث أنّ الصّوت المجهـــور أسهل في النّطق من المهموس [3] الذي يتطلّب جهداً أكبر ومدّةً أطول ، فالتّاء المهموسة يكون حبس الهواء فيها أطول وأشدّ إحكاما منه في حالة الدّال المجهورة . [4] " فالكثرة الغالبة من الأصوات اللّغوية في كلّ كلام مجهورة ، على حين أنّ الأصوات المهموســـة لا يكاد يزيد شيوعها في الكلام على عشرين أو خمسة وعشرين في المائة ." [5]

شيوع الصّوائت في الكلام العربي بشكل لافت للإنتباه ، فرغم أنّ عددها ستّة ـــ ثلاثة قصيرة وثلاثـــة طويلة ـــ لا يمثّل إلاّ نسبة ضئيلة مقارنـــة بعدد الصّوامت ـــ

---

(1) ينظر : دراسة الصّوت اللّغوي ـــ ص : 342

(2) ينظر : المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ـــ جلال الدّين السّيوطي ـــ شرح و تعليق : محمد أحمد جاد المولى و علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل ابراهيم ـــ دار الفكر للطّباعة و النّشر والتّوزيع ـــ د.ط ـــ د.ت ـــج1 ـــ ص : 197- 198 .

(3) ينظر : cours de linguistique générale / F. De saussure / présenté par : Dalila Morsly / ENAG / 2ème édition / 1994 / p : 238 .

(4) ينظر : علم اللّغة : مقدمة للقارئ العربي ـــ محمود السّعران ـــ دار الفكر العربي ـــ د.ط ـــ د.ت ـــ ص : 127 .

(5) مبادئ اللّسانيات ـــ أحمد محمد قدّور ـــ دار الفكر ـــ دمشق ـــ ط1 ـــ 1996 ـــ ص : 83 .

ثمانيـــة و عشرون ــ فإنّ نسبة تردُّدهـــا اقتربت من نسبة تردّد الصّوامـــت ، إذ بلغت حوالي (48 %) [1] ، مما يؤكّد سيرالعربية نحو السّهولـــة و التّيسير انطلاقـــا من حقيقـــة أنّ المصوّتات أسهل على النّطق وأطرب للسّمع من الصّوامت .

شيوع بعض الصّوامت التي سهلت فـــي النّطق و استُسيغتْ في السّمع ، فكانت أكثر دورانا في الكلام العربي من غيرها ، وهي التي سمّاها القدماء المذلقة وهي (اللّام و الرّاء و النّون و الميم و الفاء و الباء) ، والذّلاقة الخفّة والسّلاسة [2]، واشترطوا فـــي الأصل الرّباعي و الخماسي ألاّ يُعرّى من أحدها لثقله وخفّتهـــا .[3] يقول ابن دريد : " ألا ترى أنّك لا تجد بناء رباعياً مُصمَتَ الحروف ، لا مزاج فيـــه من حروف الذّلاقة ... فأمّا الخماسي مثل : فَرزْدَق وسَفَرْجَل وشَمَرْدَل ، فإنّك لست تجد واحدة إلاّ بحرف وحرفين من حروف الذّلاقة ." [3] ويقول ابن جنّي فـــي نفس السّياق : " وفـــي هذه الحروف السّتّة سرّ طريف ينتفع به فـــي اللّغة ، و ذلك أنّك متـــى رأيت اسما رباعيا أو خماسيا غير ذي زوائد ، فلا بدّ فيه من حرفٍ من هذه السّتة أو حرفين ، وربما كان فيه ثلاثة ، وذلك نحو : جَعْفَر ؛ ففيه الفاء والرّاء ... و سَفرجل ؛ فيه الفاء و الرّاء و اللّام ، و فرزْدق ؛ فيه الفاء و الرّاء ... فمتـــى وجدْتَ كلمة رباعيةً أو خماسية معرّاةً من بعض هذه الحروف السّتة فاقضِ بأنّها دخيل فـــي كلام العرب و ليست منه ." [4] أمّا علماء الدّرس الصّوتي الحديث فقد اختصروها إلى أربعة هي (اللّام ، والرّاء ، والميم ، والنّون) وسموْها ' بالمائعة ' ، وهناك من سمّاها بأشباه الصّوائت لاتّساع مخارجها و سهولة نطقها

---

(1) ينظر : الألسنية العربية 1 ــ ص : 64 .

(2) ينظر : دراسات في فقه اللّغة ــ صبحي الصّالح ــ دار العلم للملايين ــ ط13 ــ 1997 ــ ص: 283.

(3) ينظر : جمهرة اللّغة ــ ابن دريد ــ دار صادر بيروت ــ د.ط ــ د.ت ــ ج1 ــ ص : 11 .

(4) سرّ صناعة الإعراب ــ دراسة و تحقيق : حسن هنداوي ــ دار القلم ــ دمشق ــ ط1 ــ 1985 ج1 ــ ص : 64 - 65 .

وجهرها ووضوحها السّمعـــي ، فقد أشبهت بصفاتهـــا هذه الصّوائت . " ومن خلال استقراء بعض معاجـــم اللّغة العربية و القرآن ... تبيَّن أنّ (الرّاء) وردت بأعلى نسبة في المعاجم الثّلاثة [الصّحاح و اللّسان و التّاج] ، ثم (النّون) فـــي اللّسان والتّاج ، ثم (الميم) في اللّسان و التّاج ، أمّا (النّون) فقد وردت بأعلى نسبة في الصّحاح وكـــان اللّام آخرها . أمّا فيما يتعلّق بالقرآن الكريم فقد تبيّن أنّ اللّام وردت (33022) مرة ، والنّون (26525) مرّة ، والميم (26135) مرّة ، والرّاء (11793) مرّة ." [1]

وقد أورد علي حلمي موسى في إحصائه لأصوات الجذور العربية ، جدولًا خاصًّا بعدد تردّدات الأصوات المائعة و نسبتها إلى جميع الحروف عدا اللّين ، فكان كالآتـــي : [2]

الأصـــوات المـــائعة		
الصّوت	عددمرّات وروده	نسبته المئوية إلى جميع الحروف عدا اللّين .
الرّاء	1470	% 8,966
الميم	1075	% 6,557
اللّام	1051	% 6,410
النّون	925	% 5,642
المجموع	4521	% 27,575

---

(1) ينظر : البنية اللّغوية لبردة البصيري ــ رابح بوحوش ــ ديوان المطبوعات الجامعيّة ــ الجزائر ــ د.ط ــ 1993 ــ ص : 59 .

(2) ينظر : دراسة احصائية لجذور معجم الصّحاح باستخدام الكومبيوتر ــ الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ــ د.ط ــ د.ت ــ ص : 113 .

نطق الانفجاريين المتواليين الذي لا يوجد بينهمـــا فاصل من صامت أو صائت ، ففي هذه الحالة لا يُفَجَّر الصّوت الأول . ففي الباء و التّاء في (ابْتهاج) و الباء و الدّال في (عبْد) [1] فإنّ المتكلّم لا ينطق ' الباء ' الأولى كاملة ، بغلق متبوع بانفجار ، ممّـــا يتطلّب جهدا زائدا ناتجا عن فتح الممرّ للهواء ثم غلقه ثانية من أجل التّاء والدّال ، و بدلاً من هذا يحتفظ المتكلّم بالغلق الأوّل و يكون غلقاً مطوّلاً . و بذلك يوفّر جهد عمليتين : فتح ' الباء ' وغلق ' التّاء ' و ' الدّال ' . [2]

وما اختيارهم لتلك الأصوات السّهلة التي زادوها في أصول كلامهم ، إلاّ مسلك من مسالك الخفّة و الاقتصاد . يقول ابن جنّي : " فأخفّ الحروف عندهم و أقلّها كلفة عليهم ، الحروف التي زادوها على أصول كلامهـــم ، و تلك الحروف العشرة المسمّاة حروف الزّيـــادة هـــي (الألف ، والياء ، والواو، والهمـــزة ، والميم ، والنون ، والتاء ، والهاء ، والسّين ، واللاّم) . " [3] وإذا كانت الهمزة من أعصى الأصوات علـــى النّطق و أشقّها عليه ، فلماذا استعملوهـــا مع مجموعة الزّيادة الأخفّ والأسهل ؟ فالجواب أنّ الهمزة وإنْ كانت كذلك ، فإنّها مُعرّضة للتّخفيف حيناً ، والإعلال حيناً ، والقلب حيناً آخر ، وهو ما لا يمكن مع الصّوامت الأخرى كالحاء و الكاف و غيرها . [4]

وهـــي إذن موزّعة بين الصّوامت و الصّائتين الانتقاليين و الأصوات الصّائتة على الشّكل التّالـــي : [5]

---

(1) ينظر : علم اللّغة : مقدمة للقارئ العربي ــ ص : 127 .

(2) ينظر : دراسة الصّوت اللّغوي ــ ص : 320 .

(3) سرّ صناعة الاعراب ــ ج2 ــ ص : 811 .

(4) ينظر : سرّ صناعة الاعراب ــ ج 2 ــ ص : 811 - 812 .

(5) ينظر : علم الصّرف الصّوتي ــ عبد القادر عبد الجليل ــ أزمنة للنّشر و التّوزيع ــ عمّان ــ ط1ــ 1998 ــ ص : 83 .

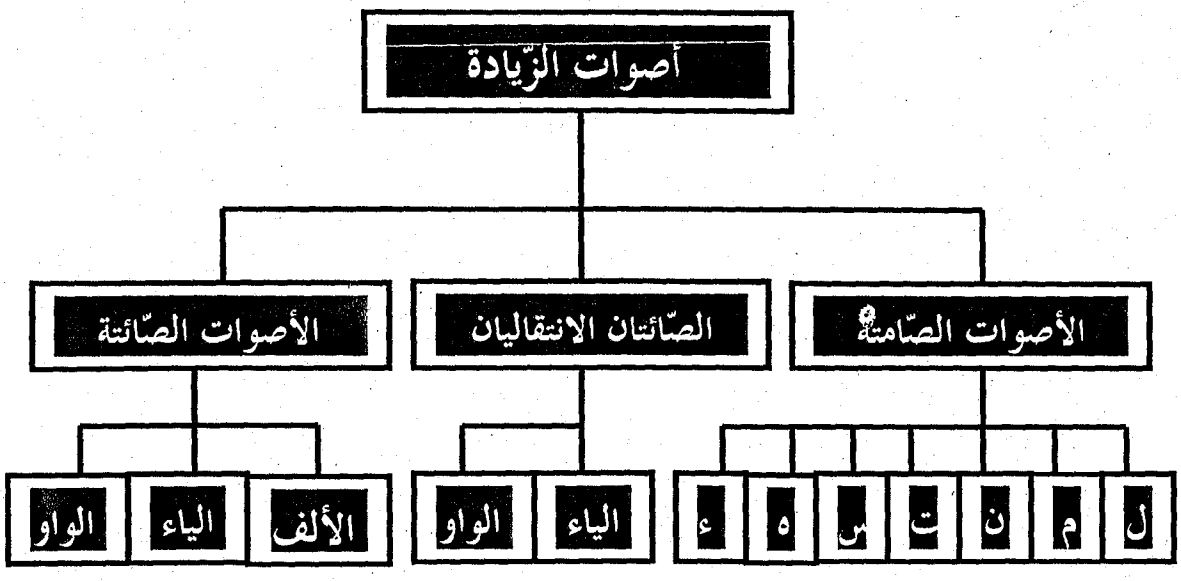

ولعلّ الأكثر استعمالا و الأرسخ في الزّيادة هي الأصوات الصّائتة (الألف والياء والواو) لما تتميز به من الانسيابية والتّدفّق نتيجة اتّساع مخارجها ، فليس لها غير الوترين الصّوتيين لتعتمد عليهمـــا في تصويتها ، يليهـــا الصّائتان الانتقاليان ثمّ الهمزة ثمّ بقيـــة الصّوامت . وفي الدّائرة المعيارية التّاليـــة تبيين لقيمة ذلك :

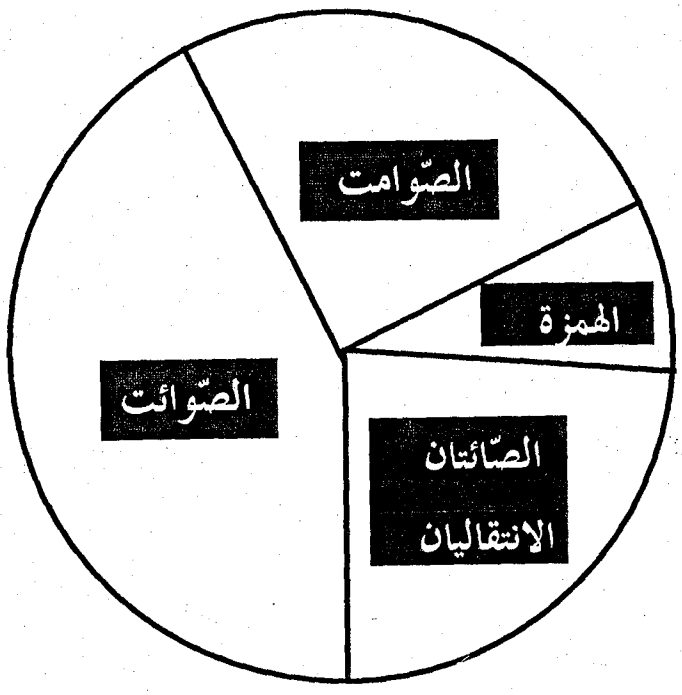

اختلاس الحركـــة " وتقصير زمن النّطق بهـــا حيث تسمع ويدركها أصحاب السّمع في زمن أقلّ ممّا تتطلّبه الحركة العادية ." [1] فقد خفّف العرب على ألسنتهم بأن أخفَوا الحركات و لم يمكّنوها في أماكن كثيرة [2] ، " ألا ترى إلـــى قراءة أبي عمرو ... (**فتوبوا إلى بارئكم**) [3] مختلسا غير ممكّن كسرة الهمزة حتـــى دعا من نطق عليه تحصيل اللّفظ ، إلى أن ادّعى أنّ أبا عمرو كان يسكن الهمزة ." [2]

ومن مظاهرالاقتصاد كذلك ' إشمام الحركة ' ، و الإشمام هو" الإشارة إلى الحركة من غير تصويت " [4]، فإذا كان الحرف متحرّكا ، أُشير إلى حركته من خلال الشّفتين ، دون إظهارٍ للصّوت ، و لهذا خصّ الإشمام العين لا الأذن ، و منه قول الرّاجز :

متى أنام لا يؤرّقـــني الكرى * ليلا ولا أسمع أجراس المُضيّ

بإشمام القاف من يؤرقْـــني . [5] وكذلك روم الحركة " و الرّوم عند القرّاء هو عبارة عن النّطق ببعـــض الحركة . وقال بعضهـــم هو تضعيف الصّـــوت بالحركة حتـــى يذهب معظمها ... وهو عند النّحاة عبارة عن النّطـــق بالحركة بصوت خفيّ ، وقال الجوهري فـــي صحاحه : روم الحركة الذي ذكره سيبويـــه هو حركة مختلسة مخفاة لضربٍ من التّخفيف ." [4]

---

(1) من أسرار اللّغة ــ إبراهيم أنيس ــ مكتبة الأنجلو مصريّة ــ القاهرة ــ ط3 ــ 1965 ــ ص : 210 .

(2) ينظر : الخصائص ــ ابن جنّي ــ تحقيق : محمد علي النّجار ــ المكتبة العلمية ــ مصر ــ د.ط ــ د.ت ــ ج1 ــ ص : 72 .

(3) الآية 53 من البقرة .

(4) النّشر في القراءات العشر ــ ابن الجزري ــ قدّم له : علي محمد الضّبّاع ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ د.ط ــ 1998 ــ ج2 ــ ص : 90 .

(5) ينظر : الخصائص ــ ج1 ــ ص : 73 .

ومن وجوه الاقتصاد الوقف ؛ " والوقف هو قَطْعُ النّطق عند آخر كلمة ، ويقابله الإبتداء الذي هـــو عمل ، فالوقف استراحة من ذلك العمل ." [1] و لعلّ أشهر الوقف على الكَلِم المتحرّكة وصلاً هـــو السّكون ، فكما يُبْتدأ بالحركة يوقف على السّكون ، " فهو عبارة عن تفريغ الحرف من الحركات الثّلاث ." [2] و السّكون يؤدّي إلى مقطع مغلق ، على العكس من الحركة التي تؤدّي إلى مقطع مفتوح ، و المقطع المغلـــق أخفُّ على النّطق و أريح للسّمع و أقلّ استهلاكا للوقت من المقطع المفتوح ، وهو ما يناسب السّرعة فـــي النّطق التي ميّزت البدوي ، الذي كثيرا ما يسكن المتحرّك توفيراً للجهد و اختصاراً للوقت .

أمّا الاسم المفرد المؤنث ' بالتّاء ' ، فقد وُقِف عليه ' بهاء ' بعد حذفها ، وهي التي سمّاها القدماء ' بهاء السّكت ' أو ' هاء الاستراحة ' . و لعلّ تخصيصهـــم لهذا الصّوت الحنجري الاحتكاكي المرقّق دون غيره من أصوات اللّغة ، يعود إلـــى طبيعة إنتاجه ، إذْ يخرج مسترسلا دون إعاقة فـــي أيّ نقطة من نقاط الجهاز الصّوتي إلاّ ما يُسمع لـــه من بعض الاحتكاك النّاتج عن تضييـــق المجرى التّنفســـي عند الحنجرة ، بينما تكاد تكون بقية الأعضاء في حالة استراحة و استرخاء . بالإضافة إلى ذلك فإنّ هذا الصّوت يتضمّن بعض خصائص الصّوائت التـــي انسابتْ واسترسلتْ خلال إنتاجهـــا ، لذلك يُعتمد في المواضع التي يتحقّق فيها قانون اختزال الجهد الصّوتي .[3]

---

(1) شذا العرف في فنّ الصّرف ــ أحمد الحملاوي ــ شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البّابي الحلبي و أولاده بمصر ــ ط16 ــ 1965 ــ ص : 188 .

(2) النّشر في القراءات العشر ــ ج2 ــ ص : 90 .

(3) علم الصّرف الصّوتي ــ ص : 81 .

اعتماد العربية في مقاطعها *على الثّلاثة الأولى ؛ المقطع القصير (ص م)** ، والمقطعين المتوسّطين (ص م م) و (ص م ص) ، فهي الأكثر استعمالا و تداولا . أمّا المقطعان الرّابع (ص م م ص) والخامس (ص م ص ص) ، فإنّ العربية لا تستعملهما إلاّ آخراً أوْ حين الوقف ، وتلجأ في كثير من الأحيان وكلّما سنحتْ الدّلالة بذلك إلى تقليصهما أو تفتيتهما إلـــى مقطعين من المقاطع الثّلاثة الأولـــى تسهيلا على المتكلّم و السّامع ، كما هي الحال في جزم الفعل المضارع : لم ينَمْ (ص م ص + ص م + ص م ص) ، و الأصـــل : لم ينـــامْ (ص م ص + ص م + ص م م ص) . وكذلك لفـــظ (بكْرْ) حين الوقف (ص م ص ص) الذي يصبـــح : بَكـــرْ (ص م + ص م ص) فراراً من المقطع الطّويل .[1]

ومن أوجه الاقتصاد أيضا رفع الفاعل ونصب المفعول للتّفريق بينهما ، و إنّما خَصُّوا الفاعل بالضمّة لقلّته ، و خصّوا المفعول بالفتحة لكثرته ؛ " و ذلك أنّ الفعـــل لا يكون لـــه أكثر من فاعل واحد و قد يكون لـــه مفعولات كثيرة ، فرُفِعَ الفاعل لقلّته و نُصِبَ المفعول لكثرتـــه ، و ذلك ليقلّ في كلامهم ما يستثقلون ويكثر في كلامهـــم ما يستخفّون ." [2]

---

* هناك اتّجاهان في تعريف المقطع ، الاتّجاه الصّوتي الفونتيكي و الاتّجاه الوظيفي الفونولوجي ، فأمّا الاتّجاه الصّوتي فيرى في المقطع كما يوضّحه روبنز (Robins) " مجموعة من الأصوات المتتابعة ، لهـــا قمّة أو حدّ أقصى في الوضوح السّـــمعي ، وهذه القمّة تقع بين حدّين أقلّ منهـــا في الوضوح السّـــمعـــي ." (علم اللّغة بين التّراث و المعاصرة ـــ ص : 127- 128 .) وأمّا الاتّجاه الوظيفي فيرى أنّه " وحدة ذات صفات و خصائص متميّزة فـــي كلّ لغة ." (هندسة المقاطع الصّوتية ـــ عبد القادر عبد الجليل ـــ دار صفاء للنّشر و التّوزيع ـــ عمّان ـــ ط1 ـــ 1998 ـــ ص : 48 .)

** ص : صامت ، م : مصوّت .

(1) ينظر : الأصوات اللّغوية ـــ إبراهيم أنيس ـــ ص : 165 .

(2) الخصائص ـــ ج2 ـــ ص: 49 .

ميل أكثر العرب إلى كسر أوّل المعتلّ المبني للمجهول في (قِيل وَ بِيع) و لم يضمّوه كما هي الحال في الصّحيح الذي ضمّوا أوّله و كسروا ثانيه ، لأنّهـــم استثقلوا الكسرة على الواو في (قوِل) فنقلوهـــا إلى القاف و قلبوا الواو ياء مجانسة للكسرة قبلها ، كما قلبوهـــا في ميعاد و ميقات و ميزان ، وأصلها مِوْعاد و مِوْقات و مِوْزان .[1] و كذلك فتحهم لهمزة ' لام التّعريف ' ، من حيث أنّ الهمزة صوت ثقيل يلزمه حركة أخفّ هي الفتحة.[2] وفتحهم لحرف المضارعة مع الثّلاثي وضمّهم له مع الرّباعي"لأن الثّلاثي أكثر من الرّباعي ، والفتحة أخفّ من الضمّة ، فأعطَوا الأكثرالأخفّ ، والأقلّ الأثقل ." [3]

تخصيصهـــم للتّثنية بالألف و الجمع بالواو ، من حيث أنّ التّثنية أكثر من الجمع ، لأنّهـــا تخصّ العاقل وغير العاقل ، بخلاف الجمع السّالم ، الذي هـــو موضوع فـــي الأصل لأولي العلم خاصّة ، فلمـــّا كانت التّثنية أكثر من الجمع ، جعلوا الأخفّ وهو ' الألف ' للأكثر ، و الأثقل وهـــو ' الواو ' للأقلّ ، تخفيفاً علـــى اللّسان والسّمع .[4]

ومن مظاهر الاقتصاد اللّغوي تلك الأوزان و الصّيـــغ و القوالب الفكرية المحددة التي تمثّل الشّكل الذي على أساسه تبنى اللّغة ، فهـــي الجلباب الذي ترتديه المادّة اللّغوية و لا تتخلّى عنه بأيّ حال من الأحوال ، و هي التي بإمكانها أن " تحدّ من نتوءات اللّغة و جموحها ، و تجمع شملهـــا تحت مجموعات يمكن ضبطها ، بدلا من تركها فوضى ... كلّ كلمة أمّة وحدها و كيان قائم بنفسه ." [5] فمـــن خلال شكـــل المادّة اللّغويـــة

---

(1) ينظر : أسرار العربية ــ ابن الأنباري ــ تحقيق : محمد بهجة البيطار ــ المجمّع العلمي العربي ــ دمشق ــ د.ط ــ د.ت ــ ص : 92 .

(2) ينظر : نفسه ــ ص : 401 .

(3) نفسه ــ ص : 404 .

(4) ينظر : نفسه ــ ص : 49 .

(5) لغويات ــ عبده عبد العزيز قليقلة ــ دار الفكر العربي ــ القاهرة ــ د.ط ــ د.ت ــ ص : 45 .

وينظر : دراسات في فقه اللّغة ــ ص : 337

وصيغتها فقط نتمكّن من معرفة معانيها الكلّية كالفاعلية و المفعولية و غيرها .

أمّا القياس فإنّه يعتمد " إلى حدٍّ ما على الاقتصاد في المجهود الذي يتجنّب إثقال الذّاكرة بمتاعٍ غير مفيد ." [1] فالصّيغ النّادرة القليلة الاستعمال لا تحتفظ بها الذّاكرة ، فهي معرّضة للنّسيان والتّرك وتحلّ مكانها صيغ جديدة توافق القاعدة المطّردة .[1] ويسري القياس على الظّاهرة الواحدة التي تتشعّب على جملة من الاحتمالات ، فيوحّدها و يوجّهها نحو أيسرها و أكثرها تردُّدا ، بأنْ يقيس بعضها على بعض، والمثال الذي يجلّي مذهبنا هو تلك المقارنة التي أُجريت على اللّغات السّامية [2] ، و تبيّن من خلالها أنّ أصل ضمير التّكلّم هو (الكاف) ، و أصل ضمير الخطاب هو (التّاء) ، لأن جنس المتكلّم يختلف عن جنس المخاطب ، فكان من الواجب أنْ يوضع لكلّ جنس ضمير يختلف عن ضمير الجنس الآخر ، بمعنى أنْ يقال على سبيل التّمثيل : كتبْكُ ، كتبْتَ ، كتبْتِ ، إلاّ أنّ عامل القياس أدّى إلى تسوية هذا الاختلاف ، موحّداً الباب ليطّرد على وتيرة واحدة ، فسادتْ ' التّاء ' وحدها في العربية والآرامية و العبرية ، فقيل فيها مثلاً : كتبْتُ ــ كتبْتَ ــ كتبْتِ ، بينما سار القياس في اتّجاه آخر في الحبشية عندما عَمّم استعمال ' الكاف ' بين التّكلّم و الخطاب ، فقيل فيها مثلاً : كتبْكو ــ كتبْكَ ــ كتبكي .[3] كما أنّ " الأصل في (لام) الجرّ هو الفتح ، والأصل في (باء) الجرّ هو الكسر ، بدليل و جود هذا الأصل في اللّغات السّامية الأخرى ، و بدليل الاحتفاظ به في العربية عند الاتّصال بالضّمائر في مثل : (لَه) وَ (بِه) ، أمّا كسر اللاّم في مثل (للرّجل) و(للنّاس) في العربية ، فإنّ سببه هو القياس على (باء) الجرّ ." [2]

---

(1) اللّغة ــ ص : 206-207 .

(2) ينظر : التّطور اللّغوي : مظاهره و علله و قوانينه ــ ص : 69 .

(3) ينظر : نفسه : ص : 68 - 69 .

ومنه ما يسمّى عندهم ' بالجوار ' وهو تحريك آخر اللّفظ بنفس حركة سابقه تخفيفا ، و أشهر مثال استدلّوا به عليه قولهم : " هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ " ، و الأصل أنْ يقال : هذا جحرُ ضبٍّ خَرِبٌ ، لأن (خربٌ) صفة للجحر و ليس للضّبّ .

ومثله قول الشّاعر : * كأنّ نسيجَ العنكبوتِ المرمّلِ *

و الصّحيح أن يقال (المرمّلا) لأنه صفة لـِ (نسيج) .[1]

ومن مظاهر الاقتصاد اللّساني التي تجنح إليها اللّغة العربية إيثاراً للتّخفيف واتّجاهاً نحو التّسهيل و التّيسير على النّطق و السّمع ؛ ما يسمّى بالإضمار أو الحذف . يقول فيه الإمام عبد القاهر الجرجاني : " هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسّحر ، فإنك ترى بـه ترك الذّكر ، أفصح من الذّكر ، والصّمت عن الإفادة ، أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق إذا لم تنطق ، وأتمّ ما يكون بيانا إذا لم تُبن . "[2]

ومنه إضمار الفعل في نحو قول الشّاعر :

ديارَ ميّةَ إذْ ميٌّ تُساعفنا * ولا يرى مثلها عجم ولا عرب .

فقد أنشده صاحبه بنصب (ديار) على إضمار فعل قبلها ، كأنّه أراد أنْ يقول : أُذكرْ ديارَ ميّة .[3] وفـي مثل قوله تعالـى : (**فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى**)[4] وتقدير الكلام : فَضَربوه فَحَيِيَ كذلك يحيي الله الموتى .[5]

---

(1) ينظر : الخصائص ـــ ج3 ـــ ص : 220 . وينظر : فقه اللّغة وسرّ العربيـة ـــ الثّعالبي ـــ تحقيق : أملين نسيب ـــ دار الجيل ـــ بيروت ـــ ط1 ـــ 1998 ـــ ص : 388 .

(2) دلائل الإعجاز فـي علم المعاني ـــ عبد القاهر الجرجانـي ـــ علّق عليـه السيد : محمد رشيد رضا ـــ دار المعرفة ـــ بيروت ـــ ط1 ـــ 1994 ـــ ص : 106 .

(3) ينظر : نفسه ـــ 107 .

(4) الآية 72 من البقرة .

(5) ينظر : فقه اللّغة وسرّ العربية ـــ ص : 411 .

وحذف الفاعل كونه معلوماً لدى المخاطب فلا يحتاج المتكلّم إلى ذكره تخفيفاً على طرفيْ العملية التّواصلية ، كما هي الحال في الآية : (**وخُلِقَ الإنسان ضعيفاً**) [1] ، فالفاعل فيها محذوف ، والتّقدير خلَقَ اللهُ الإنسانَ ضعيفاً . [2] وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه فيعرب إعرابه في مثل قوله تعالى : (**واسأل القرية التي كنا فيها**) [3] ، والأصل : و اسْألْ أهلَ القريةِ ، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل هو الجرّ ، و إنّما نُصِبتْ لإضمار المضاف (أهل) . [4] و منه إضمار ما عُلِم من المبتدأ و الخبر كما في قوله تعالى : (**وقالوا أساطير الأوّلين**) [5] بإضمار المبتدأ ، أيْ : هو أساطير الأوّلين ، وقوله جلّ شأنه (**أكلها دائمٌ وظلّها**) [6] بإضمار الخبر، أيْ : أكلها دائمٌ و ظلّها دائمٌ . [7] و يشيع في العربية إضمار الحروف كما في قوله تعالى : (**سنُعيدُها سيرَتَها الأولى**) [8] بمعنى : سنعيدها إلى سيرتها الأولى . [9] و في

---

(1) الآية 28 من النّساء .

(2) علم المعاني ــ ينظر : عبد العزيز عتيق ــ دار النّهضة العربية ــ بيروت ــ د.ط ــ 1985 ــ ص : 138 .

(3) الآية 82 من يوسف .

(4) ينظر : تأويل مشكل القرآن ــ عبد الله أبو محمد بن مسلم بن قُتيبة ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط3 ــ 1981 ــ ص : 210 . وينظر : أسرار البلاغة في علم المعاني ــ علّق على حواشيها السيّد : محمد رشيد رضا ــ دار المعرفة ــ بيروت ــ ط2 ــ د.ت ــ ص : 362 .

(5) الآية 5 من الفرقان .

(6) الآية 36 من الرّعد .

(7) ينظر : همع الهوامع شرح جمع الجوامع ــ جلال الدّين السّيوطي ــ مكتبة الكلّيات الأزهرية ــ القاهرة ــ ط1 ــ 1327 ه ــ ص : 103 .

(8) الآية 20 من طَهَ .

(9) ينظر : فقه اللّغة وسرّ العربية ــ ص : 411 .

قوله أيضاً : (ومنْ آياتهِ يريكم البرْقَ خوْفاً و طَمَعاً) [1] ، أيْ : أنْ يريكم البرق خوفا وطمعا . [2]

تأليفهم أغلب كلامهم من الأصوات المتباعدة مخرجا ، ذلك أنّ الجمع بين الأصوات المتقاربة المخارج أثقل على اللّسان وأعصى على السّمع ،" فإنّ اللّفظ من قبيل الأصوات ، والأصوات منها ما تُستلذّ النّفس بسماعه ، ومنها ما تكره سماعه ." [3]

ولعلّ السّبب في عدم الجمع في تأليف واحد بين حروف الحلق يعود إلى شدّة تقارب مخارجها ، يقول الخليل : " ولولا بّحة في الحاء لأشبهت العين ، لقرب مخرجها من العين "[4] ، فلذلك لم تأتلفا في كلمة واحدة إلاّ مفصولاً بينهما ، وكذلك الهاء . ويرى ابن جني أنّ الأصوات كلّما كانت متباعدة المخارج في التّأليف كانت أحسن ، و كلّما كانت مخارجها متقاربة متدانية ، كان تأليفها أقبحا . وهوما يظهر بشكل أوْضح في أصوات الحلق ، لذلك وردت قليلة بحيث يكثر غيرها .[5]

كما أنّ مذهبهم في الفرار من الألفاظ الطّويلة ، ينحو النّحو نفسه ، فقد أقاموا لغتهم على الأصل الثّلاثي لخفّته ، فكان أغلب كلامهم منه ، يقول سيبويه : " وأمّا ما جاء على ثلاثة أحرف فهو أكثر الكلام في كلّ شيء من الأسماء و الأفعال وغيرها ... و ذلك لأنّه كأنّه هو الأوّل ، فمن ثمّ تمكّن في الكلام ، ثمّ ماكان على أربعة أحرف

---

(1) الآية 23 من الرّوم .

(2) ينظر : فقه اللّغة و سرّ العربية ــ ص : 410 .

(3) المزهر ــ ج1 ــ ص : 187 .

(4) العين ــ الخليل بن أحمد ــ تحقيق مهدي مخزومي وابراهيم السمرائي ــ دار الرّشيد للنّشر ــ العراق ــ د.ط ــ 1980 ــ ج1 ــ ص : 75 . وينظر : التّحديد في الإتقان والتّجويد ــ الدّاني الأندلسي ــ دراسة و تحقيق : غانم قدّوري حَمد ــ طبع و نشر و توزيع مكتبة دار الأنبار ــ العراق ــ د.ط ــ 1988 ــ ص : 83 .

(5) ينظر : سرّ صناعة الإعراب ــ ج1 ــ ص : 65 .

بعده ، ثمّ بنات الخمسة وهو أقلّ ، لا تكون في الفعل البتّة ، ولا يكسر بتمامه للجمع ، لأنّه الغاية فـــي الكثرة ، فاستثقل ذلك فيهـــا ، فالخمسة أقصى الغاية في الكثرة ." [1]

ويؤكّد الإمام الباقلّاني مذهب سيبويه عندمـــا أشار إلى أفضلية العربية على غيرها بسبب اعتدالها في الوضع ، يقول : " لذلك وُضع أصلها على أنّ أكثرها هو بالحروف المعتدلة ، فقد أهملوا الألفاظ المستكرهة في نظمها ، وأسقطوها من كلامهم ، وجعلوا عامّة لسانهم على الأعدل ، ولذلك صار أكثر كلامهم من الثّلاثي ، لأنّهم بدأوا بحرف وسكتوا على آخر ، وجعلوا حرفا وصلة بين الحرفين ، ليتمّ الابتداء و الانتهاء على ذلك ." [2]

وقد تبيّن من خلال الدّراسة الإحصائية التي أُقيمت على معجم **الجيم** ، أنّ مجموع جذوره وصلت إلى (3599) جذراً ، كان عدد الجذور الثّلاثية منهـــا (2913) ، بنسبة تصل إلى (80,93 %) ، وبلغت الرّباعية (647) جذرا ،بنسبة (17,97%) ، واكتفت الخماسية بـــ (39) جذرا فقط ، ما يعادل نسبة (1,08%) .[3] وتقترب هذه الأعداد وهذه النّسب من أعداد ونسب الإحصاء الذي أُجري على معجم **الصّحاح** الذي وصل مجموع جذوره إلى (5639) جذرا ، بلغت حصّة الجذور الثّلاثية منه ما عدده (4814) جذرا ، بنسبة مئوية تساوي (85,370 %) من مجموع الجذور ، وبلغت الرّباعية (766) جذرا ، بنسبة (13,584 %) ، فيمـــا بلغت الخماسيـــة (38) ، بنسبة (0,674 %) .[4] وفي الجدول التّالي توضيح لذلك :

---

(1) الكتاب ـــ سيبويه ـــ تحقيق و شرح : عبد السّلام هارون ـــ مكتبة الخانجي ـــ القاهرة ـــ ط2 ـــ 1982 ـــ ج4 ـــ ص : 229 - 230 .

(2) إعجاز القرآن ـــ الباقلاني ـــ تحقيق : أحمد صقر ـــ دار المعارف ـــ القاهرة ـــ ط5 ـــ د.ت ـــ ص : 118 .

(3) ينظر : علم الصّرف الصّوتي ـــ ص : 197 .

(4) ينظر : دراسة إحصائية لجذور معجم الصّحاح باستخدام الكمبيوتر ـــ ص : 53 .

الجـــذور	عـــددها	النّسبة المئوية إلى مجموع الجذور
الثّلاثية	4814	% 85,37
الرّباعية	766	% 13,584
الخماسية	38	% 0,674
الثّنائية	21	% 0,372
المجمـــوع	5639	% 100

وما مذهبهم فـــي بعض الجمع الذي يكون أقلّ من مفرده ، إلاّ سلوكا يراد به الاقتصاد ، وهو ما جاء على صيغـــة (فَعـــْل) ك : طَلْحٍ والواحدة طلحة ، وَ تمـــْرٍ و الواحدة تمـــرة ، وَ نخْلٍ ونخلة ، و صخْرٍ و صخرة ، ومرْوٍ ومروة ، و سرْوٍ و سروة ، وحبٍّ و الواحدة حبّة ، و لوْزٍ و لوزة ، وجوْزٍ و جوزة ، و بيْضٍ وبيضة ... الخ .[1]

وكذلك حذفهم آخر ما كان خماسيا في الجمع نحو : سَفرْجلٍ وسفارِج لطوله ، كما حذفوه في التّصغير فـــي نحو : سفرجل و سُفَيْرِج ، ولو جيء بـــه على الأصل لكان مستثقلاً .[2]

وأمّا تعريب الأجنبي فما هـــو إلاّ سلوك من اللّغة نحو الخفّة و السّهولة ، فالعربية تستعمـــل الألفاظ الأجنبية وفـــق نظام تجـــاور الأصوات و الأوزان العربيـــة ، و إذا صادف أنْ كانت الكلمـــة المعرّبة طويلة زائدة على سبعة أحرف أُنْقِصَ منهـــا بما لا

---

(1) ينظر : أسرار العربية ـــ ص : 359 وَ 363 .

(2) نفسه ـــ ص : 140 .

يُذهب بشخصيتها .[1] يقول هنري فلاش : " هناك كلمات أعجمية تمّ تعديلهـــا على الصّيغ المختلفة ... فمثلا الكلمة القرآنية (صراط : sirāt) (طريق) ، تلك التي تبدو بزنة الصّيغة (فِعال) ليست سوى الصّورة النّهائية للكلمة اللّاتينية (Strata) ، و كلمة (قميص) بزنة (فَعيل) ... تأتي من الكلمة الإغريقية (Kamision) . "[2]

ويتجلّى الاقتصاد اللّساني بشكل أوضح وأوفر في المستوى **المورفونولوجي** .

والمورفونولوجيا مصطلح لســانـــي حديث ، يجمع بين مستويين ؛ المستوى الفونولوجي والمستوى المورفولوجي . فهو عبارة عن كلمة منحوتة منها .

والفونولوجيـــا أو علـــم الأصوات التّشكيلي ؛ علـــم حديث النّشـــأة ، ولد مـــع (Baudouin de kourtenay) وآخـــرون منذ سنة 1880 ، ونما وترعرع مـــع (Troubetzkoy) ما بين 1926 و 1938، فهو الذي حدّد إطاره العلمي النّهائي كقاعدة للّسانيات البنيوية .[3] و كان ظهوره على مسرح الحياة اللّسانيـــة يوم أنْ أطلعتنا به 'حلقة براغ ' اللّغوية ، خلال المؤتمـــر الدّولي الأوّل للعلوم اللّسانية بلاهاي سنة 1928 ، حيث قـــدّم أفرادهـــا (تروبتسكوي ، جاكبسون ، و كارشفسكـــي) منهجًا جديداً و رؤيةً محدثةً للأصوات في تشكّلها وتجاور بعضها مع بعض .[4] فإذا كان علم الأصوات النّطقية يهتمّ برصد وتسجيل كلّ تحركات الآلة النّطقيـــة الإنسانية أثناء

---

(1) ينظر : تهذيب المقدمة اللّغوية للعلايلي ــ أسعد علي ــ دار النّعمان ــ لبنان ــ ط1 ــ 1968 ــ ص : 183- 184 .

(2) العربية الفصحى : نحو بناء لغوي جديد ــ هنري فلاش ــ تعريب و تحقيق : عبد الصّبور شاهين ــ دار المشرق ــ بيروت ــ ط2 ــ 1983 ــ ص : 78 .

(3) ينظر : علم اللّغة بين التراث والمعاصرة ــ ص : 121 .

(4) ينظـــر : Clefs pour la linguistique / G.Mounin / édition Séghers / Paris / 1968 / p : 109 .

إخراجهـــا للأصوات ، بمعنى أنّـــه يختصّ بدراسة الأصوات دراســـة نطقية فيزيولوجية تتوقّف عند تحديد سمات كلّ صوت منفردا ، من حيث مخرجه وطريقة نطقه ، واهتزاز الوترين الصّوتيين معـــه أو عدمه وغيرهـــا ، وهي دراسة من الأهميـــة بحيث لا يمكـــن الاستغناء عنها بالنّسبة للمقبل على دراسة المستويات الأخرى للّغة ، فإذا لم يكن الدّارس على درايـــة بخصائص الأصـــوات منفردةً فكيف له أن يعرف أحوالها في تشكّلها جنبًا إلى جنبٍ مع بعضهـــا في مبانيها وصيغها الصّرفية ، فإنّ علم الأصوات التّشكيلي أو ما يسمّى بالفونولوجيـــا ، يركّز على الجانب الوظيفي للأصوات * في لغة معيّنة و يحاول الكشف عن النّظـــام الذي تتوزّع بموجبه الأصوات اللّغويـــة وتتداخل وتتآلف لتكوّن سلسلة كلامية ملفوظة أو مكتوبـــة ذات معنى يفهمه المتكلّم و المستمع .

فالصّوت اللّغوي في سياقه يختلف عنه عندما يكون منفردا،فبالإضافة إلى الاختلاف في كمّية الطّاقة اللّازمة لإنتاجه داخل النّظام ،قد يفقد بعض خصائصه أو يكتسب غيرها نتيجة تأثّره أو تأثيره فيما يجاوره من أصوات.فإذا أخذنا على سبيل التّمثيل صوت 'النّون ' في العربية ، فإنّنا قد نميّز سبع صورٍ نطقية له ، تختلف إحداها عن الأخرى تبعا للصّوت المجاور.فالمعروف عن النّون في صورته الأنفرادية أنّه صوت لثوي،فإذا تلاه صوت 'الباء '، فإنّه يتقدّم بمخرجه إلى الأمام ،فيصبح شفهياً ،ويكون شفهيا أسنانيا إذا تلاه صوت الفاء وهكذا . [1] والصّوت في النّظام الفونولوجي وفـــي المتتالية الكلامية يجب أن يحمل سمةً خاصةً وقيمةً خلافيةً تميزه عن بقية الأصوات،وتكسبه وظيفة داخل هذا النّظام .فهو بهذا

---

* دراسة الأصوات في ضوء الوظائف التي تُؤدّيها داخل اللّغة . (Six leçons sur le son le et sens / R.Jakobson / Les éditions de Minuit / Paris /1976 / p : 60 .)

وينظر : La grammaire :1 / phonologie,morphologie,lexicologie / Joelle Gardes- Tamine / Armand colin / Paris / 2ème édition / 1990 / p :13 .

(1) ينظر : علم اللّغة العام ــ توفيق محمد شاهين ــ مكتبة وهبة ــ القاهرة ــ ط1ــ 1980 ــ ص : 34 .

المعـــنى يترجـــم مفهوم ذلك المصطلح الحديث في الدّراســـة الوظيفية للأصوات الذي هو **الفونيم** . يعرّفه تروبتسكوي بأنّه " أصغر وحدة فونيمية* في اللّسان المدروس . " [1] ويقول عنه بلومفيلد بأنّه " أصغر وحدة مميِّزة . " [1]

فالتعريفان يقفان حول حقيقة الفونيـــم من حيث أنّه أصغر وحدة صوتية بإمكانـــها أنْ تفرّق بين المعاني . فهو " وسيلة لتحليل الكلمة إلى أصغر وحداتها الصّوتية ، و هو يعمل كسمة وعلامة ... تفصـــل في قضايا التّقارب ، وتميز كل عنصرٍ صوتي عن غـــيره ... وقـــد يتشابه فونيمان في بعض وجوههما ويتوافقان في بعض خطوطهمـــا ، ولكن كلاًّ منهما يحمل في نهاية المطاف ميزةً خاصة يتحرّى عنهـــا عالِم الفونولوجيا ويعثر عليهـــا معتمدا الخاصيّات الفونولوجية الملائمـــة (traits pertinents) ، وتلك الخاصّيات هي رموز صوتية مادية يتلاعب بها التّنظيم في آداء المعاني والدّلالات . " [2]

وقد يقع التّفريق بين معنـــى هـــذه الكلمة أو تلك بغيـــر الوسيلة السّابقة ، فقد تشترك الكلمتان في نفس الفونيمات المكوّنة لهما ، ولكن طريقة نطقهما تختلف ، فتنطق إحداهما بارتكاز ونبر مخالف لنطق الأخرى ويكون بالتّالي لكلٍّ منهما معناها . [3] وهو ما تعالجه الفونولوجيا تحت اسم ' الفونيمات ما فوق التّركيبية ' .

ومنه فتلك الصّور النّطقية المختلفة التي ذكرناها عن' النّون ' النّاتجة عن المواقع التي تحتلها في سياقاتهـــا المختلفة ، لا تستطيع أن تغيِّر معاني الكلمات ، فلا تعارض بينها ولا تمايز ، وبالتّالي لا تدخل في نطاق ' الفونيـــم ' وإنما هـــي ألوان وتنوعات وأشكال

---

* أيْ مُمَيِّزة بين المعاني .

(1) علم اللّغة العام ــ ص : 119 .

(2) الألسنية العربية 1 ــ ريمون طحّان ــ دار الكتاب اللّبناني ــ بيروت ــ ط2 ــ 1981 ــ ص : 63 .

(3) ينظر : علم اللّغة : مقدّمة للقارئ العربي ــ ص : 163 .

وأنماط له فقط ، وهي ما يطلق عليها اسم ' الألوفونات ' . فصوت ' النّون ' إذن هـو فونيـم واحد لمجموعة مختلفة من الألوفونات . وعليـه فكلّ لغة من لغات العالم تمتلك عددا محدودا من ' الفونيمات ' قد يزيد أو ينقص ، وتمتلك في المقابل عددا لا حصر لـه من ' الألوفونات ' .[1]

ومن خلال مـا سبق ، نخلص إلى تحديد وظيفة الفونيم التي هـي وظيفة دلالية مزدوجة ، تُعين علـى تحديد معنى الكلمة التي تحتوي عليه من جهة ، وتميز بينهـا وبين غيرها من الكلمات من جهة أخرى .

وأمّا المورفولوجيـا أو علم الصّرف ؛ فإن اللّغة الإنسانية ماهـي في الواقع إلاّ مجموعة محدّدة من الفونيمات ذات طبيعة ائتلافية تحدّد قواعدها مجموعة من العلاقات ، يفرضها نظام عام متعارف عليه من طرف المجموعة الكلامية ، فتُشكّلُ عن هذه العلاقات مجموعة ' الكلمات ' . والكلمة في تعريفها البسيط وكما ينظر إليها بعض اللّغويين هي " وحدة لغوية ذات معنى مفرد" [2] ، وهي المجال الأرحب للدّراسة الصّرفية . فالصّرف العربـي بهذه الكيفية كان نتيجة ذلك النّسيج الصّوتـي المتجانس للفونيمات التّركيبية العربية .

والصّرف في اللّغة معناه : التّغيـير ، ومنه تصريف الرّياح ؛ إذا تم : تغييرهـا .[3]

وفي الاصطلاح : هو العلم الذي يختص بدراسة أبنية الوحة اللّغوية لغاية معنوية ، وهـو ما يخصّ أحوال الإشتقاق وأنواعه كالإسمية والفعلية والصّفة والتّصغير والنّسب وغيرها ، و العلاقات العضوية كالتّجرد و الزّيادة والتّذكير و التّأنيث و التّعريف والتّنكير والتّكلم و الخطاب و الغيبية و الإفراد والتّثنية والجمع وما إليهـا ، والقرائن اللّفظية كالضّمائر و

---

(1) ينظر : علم اللّغة بين التراث و المعاصرة ـــ ص : 126 .

(2) نفسه ـــ ص : 149 .

(3) ينظر : المدخل إلى علم الصّرف والنّحو ـــ عبد العزيز عتيق ـــ دار النّهضة العربية ـــ بيـروت ـــ ط2 ـــ 1974 ـــ ص : 7 .

الظّروف والأدوات ونحو ذلك .[1] والوحدة التي يعالجها علم الصّرف هي المورفيـــم ، أو ' العنصر النّحوي ' كما يصطلح عليها البعض .

وقد تعدّدت التّعريفات بماهية المورفيـــم و اختلفت باختلاف المدارس اللّغوية ، غير أنّها تشترك في النّظر إليه على أساس أنّه أصغر وحدة لغوية لها مميزات صوتية ودلالية ثابتة ، لا يمكن تفتيتها إلى وحدات أصغر منها .[2] وأحسن تعريف للمورفيم : " أنّـــه أصغر وحدة ذات معنى في اللّغة المدروسة ."[3] فليس بالضرورة أن يكون المورفيم عبارة عن كلمة، فقد تتكوّن الكلمة الواحدة من أكثرمن مورفيم ؛ فكلمة (يَكْتُبُـــون) على سبيل التّمثيل تتكوّن من أربعة مورفيمات هي : (يـــ/كـــتب/ و/ ن) ف : ' ياء ' المضارعة تفيـــد الزّمن الحاضر أو المستقبـــل ، و' كتب ' تدلّ علـــى الحدث الذي هو الكتابة ، و ' الواو ' تدل على الفاعل الجمع ، و' النّون ' هي مورفيم الرّفع .

والمورفونولوجيـــا * أو المستـــوى الصّرفـــي الصّوتي أو الفونولوجيا الصّرفية وغيرهـــا ؛ هي مسمّيات مختلفة لمجال واحد من مجالات الدّرس اللّسانـــي ، الذي يمثّل موضع التّماس ومكان الالتقاء بين علمي الأصوات و الصّرف . وهما درسان متلازمان لا يكاد ينفكّ أحدهما عن الآخر ، من حيث أنّ الوحدة الصّرفية ما هي في حقيقتها إلاّ تشكّلات صوتية ، وتنوعهـــا ماهو إلاّ ضرب من التّبديل في موقعيـــة تلك الأصوات .

إنّ هذيـــن العلمين (الصّوت و الصّرف) اجتمعا تحت مظلّـــة واحدة مرتكزها معالجة الظّواهر الصّوتية للوحدات الصّرفية المشتركة بينهما ، كمسائل الإعلال و الإبدال

---

(1) ينظر : علم الصّرف الصّوتي ـــ ص : 40 .

(2) علم اللّغة بين التّراث و المعاصرة ـــ ص : 167 .

(3) مدخل إلى علم اللّغة ـــ محمد عبد العزيز ـــ دار الفكر العربي ـــ القاهرة ـــ 2000 ـــ ص : 203 .

* مصطلح تداولته حلقة براغ ، و يعني عندها معالجة الظواهر الصّوتية للوحدات الصّرفية . ينظر :
Dictionnaire de Linguistique / Jean Dubois / Librairie Larousse / Paris / 1973 / p : 326 .

والقلب و الحذف والإدغام و الهمز وتخفيفه ، بالإضافة إلى مسائل أخرى كالإمالة والإشمام وغيرها من الظّواهر التي هي محلّ اهتمام الصّوت والصّرف .

وقد تنبّه قدامى اللّغويين والنّحاة إلى تلاصق المستويين وأدركوا أهمّية المعطيات الصّوتية ودورها في خدمة المستوى الصّرفي ، وتأكّد عندهم استحالة معالجة المسائل الصّرفية و تحليلها وفهمها بمعزل عن الدّراسة الصّوتية التي تعدّ بمثابة الأدوات الإجرائية التي يعتمد عليها في تفسير ما استغلق من مباحث الدّرس الصّرفي [1] بعد " وقوفهم على جملة من الظّواهر اللّغوية التي تصيب الأصوات في حركتها التّلقائية داخل بنية الكلمة ... وإدراكهم أنّ الولوج إلى رحاب هذه الظّواهر ومعالجتها المعالجة المطلوبة التي تردّ للبنية استقامتها ، وتعيد لأصواتها توافقها وانسيابها ، لا يتمّ إلاّ باستثمار معطيات الدّراسة الصّوتية ." [1] إذن الدّرس الصّرفي العربي برز إلى الوجود من خلال نسيج الرّؤية الصّوتية للفونيمات التّركيبية العربية في طبيعتها التّكوينية، أثناء معالجته للأبنية الصّرفية .[2]

فالمورفونولوجيا بالشّكل الذي أشرنا إليه ، تختصّ إذاً " بالنّظر في التّركيب الصّوتي للوحدات الصّرفية ، فهي تحلّل وتصف ما يعرض لهذه المورفيمات من صورٍ صوتية بحسب السّياق الذي تقع فيه ." [3] وفي الرّسم التّالي بيان للمسائل المورفونولوجية المشتركة بين علمي الأصوات والصّرف :

---

(1) ينظر : ظواهر التّشكيل الصّوتي عند النّحاة و اللّغويين العرب حتّى نهاية القرن الثّالث الهجري ــ بوروبة المهدي ــ رسالة دكتوراه قُدّمت إلى قسم اللّغة العربية وآدابها ــ جامعة تلمسان ــ 2002 ــ ص : 160 .

(2) ينظر : علم الصّرف الصّوتي ــ ص : 32 .

(3) دراسة الصّوت اللّغوي ــ ص : 48 - 49 .

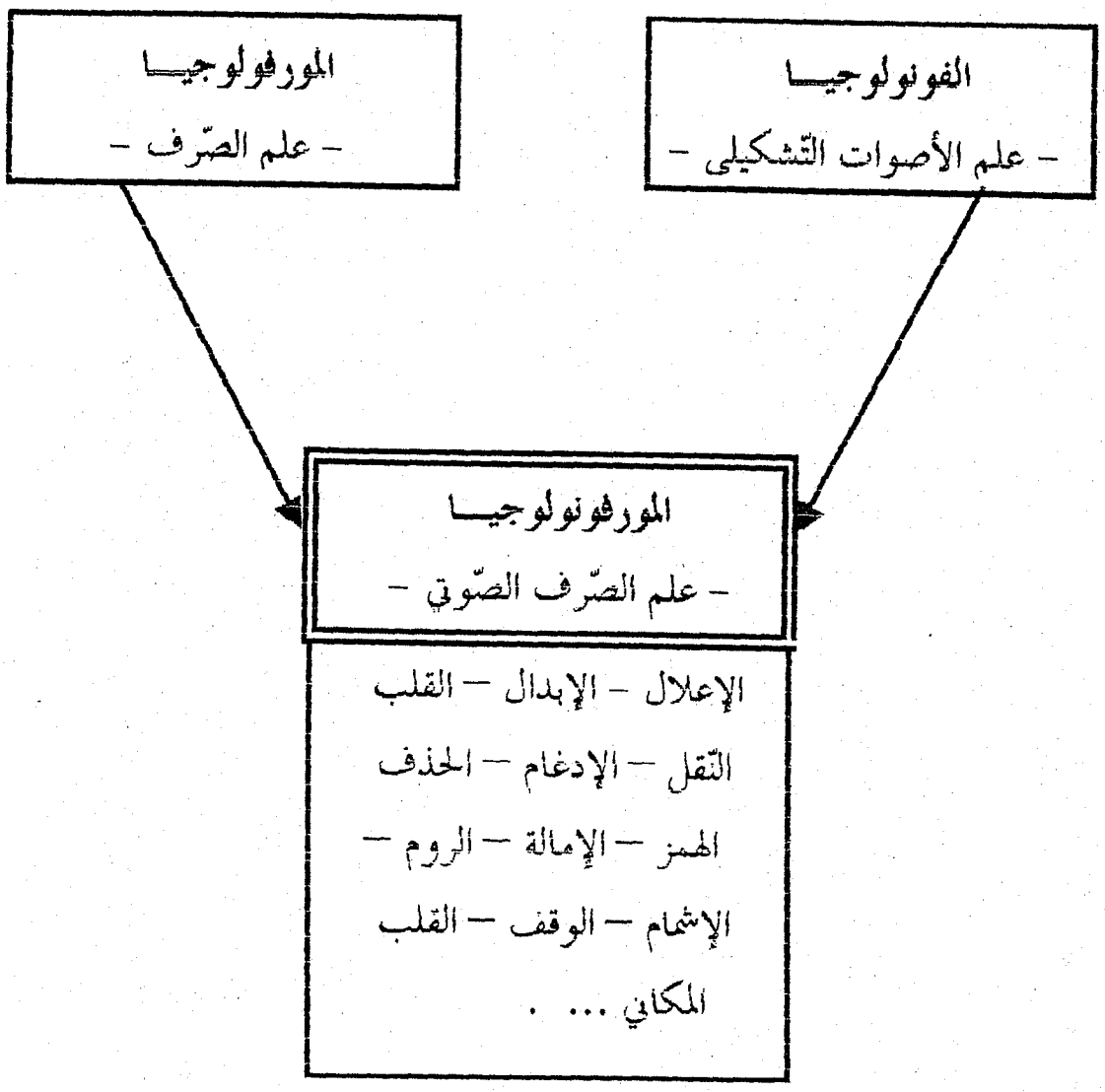

وكما استعمل اللّسانيون مصطلح **الفونيم** في المجال الفونولوجي ، ومصطلح **المورفيم** في المجال المورفولوجي ؛ استعمل المورفونولوجيون مصطلح **المورفونيم** كوحدة للتّحليل في المستوى المورفونولوجي ، علامةً على التّداخل بين العلمين (الصّرف والأصوات) واشتراكهما في معالجة المسائل المورفونولوجية التي تندرج ضمنهما ،

كظاهرة المماثلة والمخالفة والقلب المكانـــي والنّحت وغيرها .[1]

وفي الرّسم البياني التّالي بيان لذلك :

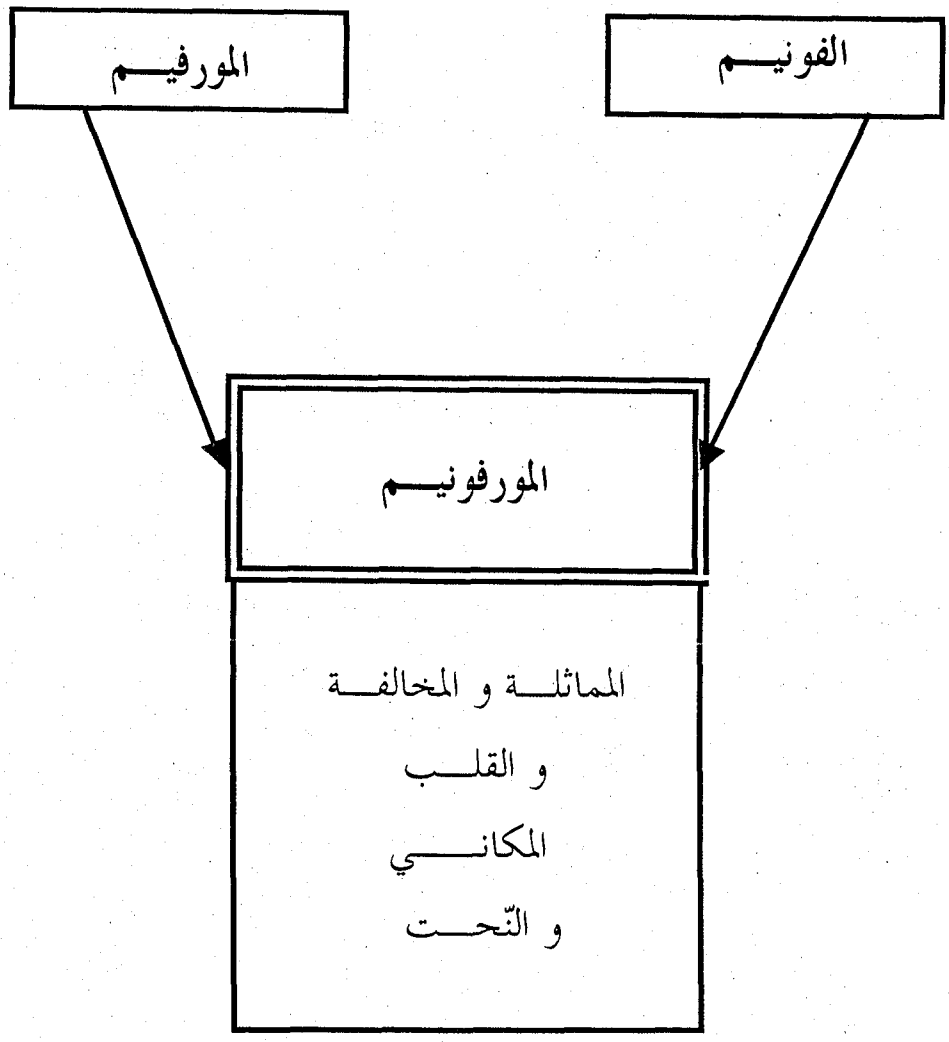

ويمثل ماريو باي **للمورفونيـــم** بلاحقة الجمع فـــي اللّغة الإنجليزية (s) بعـــد الصّامت المهموس ، و (z) بعد الصّامت المجهـــور أو علّة . يقول : " وتحت ظروف كهذه يوصف التّغيير بأنّه مورفونيمي ، بمعنى أنّـــه يتضمّن عاملا صرفيا مشروطا بعامل صوتي تشكيلي ... كما يحدث في كلمة (knife) التي تجمع على (knives) ...

---

(1) ينظر : علم الصّرف الصّوتي ـــ ص : 30 .

بتغيير السّاكن المهموس الأخير إلى مقابله المجهور ."[1]

بينمـــا يمثلون له في اللّغـــة العربية بـــ : ' تاء ' الإفتعـــال [2] التي تتأثّر ' بفائـــه ' من خلال المجاورة الصّوتية ، كما هي الحال في (اِصْتَحَـــبَ و اصْطَحَـــبَ) .

فالمستـــوى المورفونولوجي يعكس بشكل لا يدع مجالا للشكّ ، قابلية اللّغـــة لتصليح هيأتها ، وإحكام صنعتها واتجاههـــا نحو الإيجاز والاقتصاد ، تسهيلا وتيسيرا على طرفي العملية التّواصلية .

والاقتصاد اللّساني فـــي مستـــواه **المورفونولوجي** يجد له مرتعا خصبا في ثنايـــا العملية التّواصلية ، فهي تستقبله وفي أحضانها يبرز ويتَمَظْهر . فكلّما اتّزنت الرّسالة بين المرســـِل و المتلقـــي وعمّهـــا الانسجام و التّآلف بين أصواتهـــا كلّما شدّت الانتبـــاه وأبقت على رابطـــة الاتّصال بين طرفي العملية التّواصلية ، محقّقة هدفها ومقصدها .

فالإنسان بطبعه ميّال إلى حبّ الرّاحة وبذل أدنى الجهد ، فأثناء تواصله مع غيره ، سواء أكان مرسِلا أمْ مستقبِلا ، فإنّه ينفر من كلّ ما من شأنه أن يجهده ويثقل عليه و ينغّص هدوءه وراحته .

---

(1) أسس علم اللّغة ـــ ماريو باي ـــ ترجمة و تعليق : أحمد مختار عمر ـــ عالم الكتب ـــ القاهرة ـــ ط3 ـــ 1987 ـــ ص : 106.

(2) ينظر : علم الصّرف الصّوتي ـــ ص : 30 .

الفصل الأوّل

الاقتصاد المورفونولوجي في الظّواهر التّماثلية :

- توطئة .
- المماثلة .
- القلب المكاني .
- النّحت .

توطئة

اللّغة المنطوقة في حقيقتها أصوات .[1] والصّوت اللّغوي قبل كل شيء هو ظاهرة فيزيائية ، تصدر عادة عن حركة الهواء في جسم الإنسان . فهوذلك الأثر السّمعي الذي يحدثه الجهاز الصّوتـــي عند الإنسان ، والذي يظهر فـــي صورة ذبذبات مُعدَّلة موائمة لتحرّكات الآلة النّطقية . والذي يتطلّب وضع أعضاء النّطق في أوضاع معيّنة و تحريكها بطرقٍ محدّدة حتّى يتحقّق ويظهر إلى الوجود .[2] معنى ذلك أنّ أصوا ت اللّغة الإنسانية لا تصدر إلاّ قصدا عن التّحركات المختلفة لأعضاء الجهاز النّطقي ، واللّغـــة في ذلك لا تستغّل إلّا عددا محدودا من الإمكانيات النّطقية المتاحة التي قد يوفّرها هذا الممـــرّ الصّوتي الممتد من الرّئتين حتّـــى الشّفتين . والأمر لا يعدو رغبتهـــا الملحّة وحاجتهـــا الطّبيعية للاقتصاد و السّهولة واليسر .

وإذا كانت اللّغة ترتدّ من النّاحية الصّوتية إلى مجموعة من محدودة من الأصوات ، فليس معنـــى هذا أنّ اللّغة فـــي حدودها كتلا أو ركامات من الأصوات المفردة ، بل سلاسل من التّكوينات الصّوتية والهيئات التّركيبية .[3] فنحن لا نتكلّم أصواتا كلّ منها قائم بذاته ، إنّما نتكلّم ' كلمات ' و ' جمل ' و ' فقرات '.[4] والأصوات في تشكّلها و في علاقاتها الأفقية و التّركيبية تخضع لنظام متجانس مغلق ، ووجود هذا النّظام كـــان

---

(1) ينظر : علم اللّغة : مقدّمة للقارئ العربي ـــ ص : 110 .

(2) ينظر : علم اللّغة العام : الأصوات ـــ كمال محمد بشر ـــ دار المعارف ـــ القاهرة ـــ د.ط ـــ 1980 ـــ ص : 64 .

(3) ينظر : الأصوات اللّغوية ـــ عبد القادر عبد الجليل ـــ ص : 270 .

(4) ينظر : علم اللّغة : مقدمة للقارئ العربي ـــ ص : 156 .

لضرب من التّوازن ، [1] إذْ ينشأ بين جميع الأعضاء التـــي تتعاون على التّصويت نوع من الاتّفاق الذي بمقتضاه يميل كلّ واحد منهـــا بالوضع الذي يتّخذه إلى أن ينسجم مع أوضاع الأعضاء الأخرى ، بل إنّ الاتّفاق لا يقتصر علـــى وضع الأعضاء ، وإنما يتعدّاه إلى الاتّفاق العضلي كذلك .[1] فانطلاقاً من مجموعة الأصوات المحدّدة ، والمؤتلفـــة جنبا إلى جنب مع بعضها البعض تحت راية هذا النّظام اللّغوي المتجانس المغلق ، تستطيع اللّغة خلق مـــا لا نهاية من العلاقات اللّغوية لتأديـــة وظيفتها الجوهرية كوسيلة للتّواصـــل . وهذا يبيّن ميلها اللّطيف ونحْوها الدّائم تجاه التّقليل من الجهد .

والأصوات في كلّ هذا لا تحتفظ بخصائصهـــا التي عرفناها عنها عندما كانت منفردة مستقلّة . بل تكتسب خصائص جديدة في الكلام المتّصل .[2] حيث يحدث بينها وهي متجاورة متقاربة في الكلمة الواحدة أو في الكلمتين المتتاليتين "من ظواهر التّفاعل أنواع كثيرة ، يؤدّي كلّ نوع منها إلى نتائج ذات بالٍ في التّطورالصّوتي . يحدث أحيانا بين الصّوتين المتجاورين في الكلمة مثلما يحدث بين المواد المحمّلة بالكهرباء ، فتجـــاور مادتين من هذه المواد يحدث بينهـــا تجاذباً إذا كانتا مختلفتين في نوع كهربائهمـــا ، بأنْ كانت إحداهمـــا موجبة والأخرى سالبة ، وتنافرا إذا كانتا متّحدتين فيه ، بأنْ كانت كلتاهما موجبة أو سالبة ، وكذلك يفعل أحيانا التّجاور أو التّقارب بين الصّوتين ."[3] علـــى أنّ نسبة التّأثر تختلف من صوت إلى آخر ، فمن الأصوات مـــا هو سريع التّأثر ، يندمج في غيره أكثر ممّا قد يطرؤ على سواه من الأصوات [4] ، واذا خضع لنفس الآلية

---

(1) اللّغة ـــ جوزيف فندريس ـــ تعريب : عبد الحميد الدّواخلي ومحمد القصّاص ـــ مكتبة الأنجلو مصرية ـــ القاهرة ـــ د.ط ـــ 1950 ـــ ص : 63 .

(2) ينظر : علم اللّغة : مقدمة للقارئ العربي ـــ ص : 156 .

(3) علم اللّغة ـــ علي عبد الواحد وافي ـــ دار نهضة مصر للطّباعة و النّشر ـــ بيروت ـــ ط7 ـــ د.ت ـــ ص : 298 .

(4) ينظر : الأصوات اللّغوية ـــ إبراهيم أنيس ـــ ص : 179 .

في النّطق ، تغيّر بنفس الصّورة في النّظام ككلّ .[1]

إنّ تفاعل الأصوات وتأثير بعضها في بعض ، لم يكن مصادفةً ولا هباء ولا غفلة في النّظام اللّغوي ، وإنّما كان لضرب من التّيسير ، ففي" أ ثناء نطق الأصوات اللّغوية ، يميل المتحدّثون إلى تحقيق أكبر الأثر بأقل جهد ممكن ، و هذا هو السّبب الذي من أجله يحاول المتحدّث أثناء ربط الأصوات بعضهـــا ببعض أنْ يتجنّب الحركات النّطقية التـــي يمكن الاستغناء عنها كلّية " [2] خاضع في ذلك لجملة من القوانين الصّوتيـــة و الصّرفية والدّلالية . وأهمّ الظّواهر المورفونولوجية التـــي تتعرّض لها الفونيمات * التّركيبية فـــي السّلسلة الكلامية : ظواهر المماثلة وظاهرة القلب المكاني والنّحت والمخالفة . وقبـــل أنْ نخوض في تفصيلها يجدر بنا أنْ نشير إلى أنّ الفونيمات التّركيبية في اللّغة العربية الفصحى أربعة و ثلاثون ، موزّعة على النّحو التّالي :

1- ستّة و عشرون فونيما للصّوامت .

2- فونيمان لأشباه الصّوائت .

3- ثلاثة فونيمات للصّوائت (المصوّتات) القصيرة .

4- ثلاثة فونيمات للصّوائت الطّويلة .

---

*والفونيم هو الوحدة الصّوتية التي ليس بإمكانها أن تتجزأ إلى وحدات أصغر و أدنى و التي يكون بإمكانها أن تظهر خلال التّقطيع . (ينظر : Essais de linguistique générale : Rapports intèrnes et éxternes du language / R.Jakobson / les éditions de Minuit / Paris / p : 136 .)

وينظر : Linguistique / Edward Sapir / Les éditions de Minuit / Paris / 1968 / p : 165 .

(1) ينظر : اللّغة ــ ص : 72 .

(2) الصّوتيات ــ برتيل مالمبرج ــ ترجمة محمد حلمي هليل ــ عين للدّراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ــ د.ط ــ 1994ــ ص : 111 .

وفي الجدول التّالي عرض لأهمّ الخواص الصّوتية والفيزيولوجية لها : [1]

(1) ينظر : مناهج البحث في اللّغة ــ تمّام حسّان ــ دار الثّقافة ــ الدّار البيضاء ــ المغرب ــ د.ط ــ 1974 ــ ص : 124 . وينظر : اللّغة العربية معناها و مبناها ــ تمّام حسّان ــ دار الثّقافة ــ الدّار البيضاء ــ المغرب ــ د.ط ــ د.ت ــ ص : 29 .

الصّفات

المخرج	الانفجارية				الاحتكاكية				المركّب	المتوسّطة			
	المجهورة		المهموسة		المجهورة		المهموسة		المجهور	المجهورة			
	مطبق	منفتح	مطبق	منفتح	مطبق	منفتح	مطبق	منفتح		جانبي	تكراري	أغنّ	لين
شفوي		ب										م	و
شفوي أسناني								ف					
أسناني					ظ	ذ		ث					
أسناني لثوي	ض	د	ط	ت		ز	ص	س					
لثوي										ل	ر	ن	
غاري								ش	ج				ي
طبقي				ك	غ		خ						
لهوي			ق										
حلقي						ع		ح					
حنجري					ء			ه					

المماثلة

تعتبر المماثلة ظاهرةً واضحة في ميدان الدّرس الصّوتي . فمجاورة الأصوات بعضها لبعض في الكلام المتّصل ، هي السرّ فيما يصيبها من التّأثّر . [1] فإذا اقتضى أنْ اجتمع في الكلمة أو في الكلمتين المتجاورتين صوتان يختلف أحدهما عن الآخر ويناقضه في صفة من صفاته أو في مخرجه ، كأن يكون الأوّل مجهورا ، و الثّاني مهموسا أو العكس ، أو يكون مطبقا مفخّما والثّاني منفتحا مرقّقاً ، أو أن يكون أحدهما شديد القرب في مخرجه من مخرج الثّاني و غيرها ، وجد المتكلّم عسرا ومشقّة في تحقيقهما ومال إلى التّقريب بينهما ، توفيرا للجهد وتحقيقاً للانسجام .[2]

فالأصوات في تأثّرها تهدف إلى نوعٍ من المماثلة أو المشابهة بينها ليزداد قربها في الصّفات أو المخارج تحقيقا لحاجة اللّغة وبحثها عن السّهولة والتّيسير . [1]

و المماثلة كما تحدث بين الأصوات الصّامتة ، قد تحدث كذلك بين الصّوائت ، كما تحدث أيضاً بين الأصوات الصّامتة و الصّوائت . [3] وقد جاء في تبيان ماهيتها الكثيرمن التّعريفات ؛ يقول بروسنهان (Brosnahan) : " بأنّها التّعديلات التّكييفية للصّوت حين مجاورته للأصوات الأخرى ." [4]

ويعرفها دانيال جونز (Daniel Jones) بأنها عملية إحلال صوت محل صوت آخر

---

(1) ينظر : الأصوات اللّغوية ــ إبراهيم أنيس ــ ص : 179. وينظر : علم الصّرف الصّوتي ــ ص : 146 .

(2) ينظر : الوجيز في فقه اللّغة ــ محمد الأنطاكي ــ مكتبة دار الشّرق ــ بيروت ــ ط3 ــ د.ت ــ ص : 270 .

(3) ينظر : التّطور اللّغوي : مظاهره وعلله و قوانينه ــ ص : 22 .

(4) الأصوات اللّغوية ــ عبد القادر عبد الجليل ــ ص : 283 .

تحت تأثير صوت ثالث قريب منه في الكلمة أوالجملة ، ويمكنها أنْ تتّسع لتشمل تفاعل صوتين متواليين ينتج عنهما صوت واحد مختلف عنهما .[1] ويرى أحمد مختارعمر بأنّ المماثلة هي : " تحوُّل الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إمّا تماثلا جزئيا أو كلّياً ." [2]

أمّا فندريس فينظر إليها على أنّها تشابهٌ ، يقول إنّ : " هناك تشابها عندما يستعير واحد من صوتين منفصلين عنصراً أو أكثر من عناصر الآخر إلـــى حدِّ الأختلاط به ، والصّوت المُشبّه يسبق في أغلب الأحيان الصّوت المشبّه به ، أي أنّ هناك في الواقع حالة تعجُّل : فالعقل باشتغاله بنطق صوت ما داخل مجموعة صوتية يجعله يصدره قبل أوانه ، ويُنتج مرّتين متتابعتين الحركات الصّوتية التي يقتضيها الصّوت ." [3] ويعرّفها غير هؤلاء بأنّها تقارب أو تجانس أو تماثل يحدث بين الصّوتين في مخرجيْهمـــا أو في صفاتهما أو في مخرجيهما وصفاتهما معاً .[4] وقد " أولاها الأقدمون والنّحاة والمعنيون بالتّجويد خاصة ، عناية كبيرة ، وتتّصل عندهم بالأدغـــام ، الذي رأوْهُ كالمحدثين ، أنّه يتمّ بهدف تيسير النّطق وتحقيـــق الأنسجام الصّوتي . " [5] والإدغام هو التّقريب ذاتـــه في اصطلاح ابن جنّي وابن مجاهـــد وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم ؛ يقول ابن جنّـــي : " هـــو تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه ." [6] ويذكر ابن مجاهد أنّه" تقريب الحرف من الحرف

---

(1) ينظر : An outline of English phonetics / Daniel Jones / W.Heffer & Sons.LTD / Cambridge / Englend / 9th edition / 1972 / p: 217 .

(2) دراسة الصّوت اللّغوي ــ ص : 324 .

(3) اللّغة ــ ص : 93 .

(4) ينظر : الألسنية العربية 1 ــ ص : 53 .

(5) الصّوتيات عند ابن جنّي ــ عبد الفتّاح المصري ــ مجلة التّراث العربي ــ السنة الرّابعة ــ أفريل / يوليو ــ 1984 ــ العدد 15 و 16 ص : 260 .

(6) الخصائص ــ ج2 ــ ص : 141 .

إذا قَرُبَ مخرجه من مخرجه في اللّسان ، كراهية أن يعمل اللّسان في حرفٍ واحدٍ مرّتين فيثقل عليه ." [1] ويورد تامر سلوم رأي عبد القاهر الجرجاني في ذلك قائلا : " فإنّ مدلول الإدغام في تطبيق عبدالقاهر الجرجاني أكثر عمقا ووفاءً ، فهو يشمل تأثّر الأصوات اللّغوية بعضها ببعض ، فازداد مع مجاورتها قربها في الصّفات و المخارج ، وبعبارة أدقُّ قليلا : أنّ مدلول الإدغام عنده يعني التّعبير عن مطلق تأثير صوت بصوت ، سواء كان التّأثير كاملا يترتّب عليه فناء الصّوت المتأثّر أمْ كان جزئيا يفقد معه عنصرا من عناصره ." [2] وتتضمّن فكرة التّقارب العلاقتين ؛ العلاقة المخرجية والعلاقة الوصفية ، منْ حيثُ أنّ الصّوت ما هو في الواقع إلّا مخرج و صفة . [3]

ولابدّ من الإشارة هنا إلى حقيقة هامّة ذكرها ابن جنّي ، هي كون التّأثر والتّأثيرلا يكون إلا بين الأصوات من نفس المخرج أو من مخرجين متدانين متقاربين ، يقول : " أنّ أصل القلب في الحروف إنّما هو فيما تقارب منها ، وذلك : الدّال والطّاء والتّاء / والذّال والظّاء والثّاء / والهمزة والهاء / والميم والنّون / وغيرذلك ممّا تدانت مخارجه ." [4]

وقد قسّم عبد الصبورشاهين مخارج الأصوات إلى أربع مناطق ، تكاد حالات التّأثير تنحصر بين أصوات كلّ مجموعة دون أيّ تداخل ، فالمجموعة الأولى سمّاها : منطقة خارج الفمّ ؛ وتضمّ (ب ، م ، ف) ، و المجموعة الثّانية هي منطقة وسط الفمّ ،

---

(1) السّبعة في القراءات ــ ابن مجاهد ــ تحقيق : شوقي ضيف ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ د.ط ــ د.ت ــ ص : 125 .

(2) نظرية اللّغة والجمال في النّقد الأدبي ــ تامر سلّوم ــ دار الحوار للنّشر و التّوزيع ــ اللّاذقية ــ سوريا ــ ط1 ــ 1983 ــ ص : 25 .

(3) ينظر : أثر القراءات في الأصوات والنّحو العربي ــ عبد الصّبور شاهين ــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ ط 1 ــ 1987 ــ ص : 144 .

(4) سرّ صناعة الأعراب ــ ج1 ــ ص : 180 .

و تضـــمّ (ت ، د ، ط ، ن ، ض ، ج ، ش ، ل ، ر ، ث ، ذ ، ظ ، س ، ز ، ص ، ي) ، و المجموعة الثّالثـــة : منطقة ما بعد الوسط و تضمّ (و ، ك ، ق ، غ ، خ ،) ، أمّـــا المجموعة الرّابعة والأخيرة فتضمّ (ع ، ه ، ح ، ء) .[1]

---

(1) ينظر : المنهج الصّوتي للبنية العربية ـــ عبد الصّبورشاهين ـــ مؤسسة الرّسالة ـــ بيروت ـــ د.ط ـــ 1980 ـــ ص : 168 - 169 ، أثر القراءات في الأصوات و النّحو العربي ـــ ص : 245 إلى 249 .

أنواع المماثلة :

يحصل أنْ يؤثّر الصّوت في الصّوت فيتغيّر أحدهما إلى صوت مماثل أو إلى صوت قريب ، وقد يكونا في حالة اتّصال أو انفصال ، وقد يكون التّأثير متّجهـــا إلى الأمام أو راجعا إلى الخلف ، كما قد يكون مزدوجا من الجهتين ، وقد يكون مخرجيا كذلك .[1] وهكذا يكون للمماثلة عشرة أنواع ؛ فإنْ أثّرَ الصّوت الأوّل فـــي الثّاني فالمماثلة حينئذ تقدُّمية ، وإن حدث العكس فالمماثلة رجعية ، وإذا حدث تأثر كلّـــي تامّ بين الصّوتين ، فالمماثلة وقتئذ كلّية ، وإذا كان في بعض خصائص الصّوت فالمماثلـــة جزئية ، وفي كلّ حالة من هذه الحالات الأربع قد يكون الصّوتان متّصلين بعضهما ببعض لا يفصل بينهما صامت و لا صائت ، وقد يكونـــا منفصلـــين يفرّق بينهمـــا فاصل من الصّوامت أو الصّوائت .[2] و إذا ازدوج التّأثير علـــى الصّوت الواقـــع بـــين صوتين كانت المماثلة مزدوجة ، وإذا انتقـــل الصّوت من مخرجـــه إلـــى مخرج آخر تحت تأثير صوت مجاور فالمماثلة مخرجية إذاً .

ويمكننا اختصار كلّ ذلك ، حول بيان أنواع المماثلة في الخطاطة التّاليـــة : [2]

---

(1) ينظر : المدخل إلى علم الأصوات ــ صلاح الدّين صلاح حسنين ــ دار الاتّحاد العربي للطّباعة ــ ط1 ــ 1981 ــ ص : 74- 75 .

(2) ينظر : التّطوّر اللّغوي ــ ص : 23 .

المماثلة الكلّيـــة :

وهي الإدغام في اصطلاح النّحاة و اللّغويين العرب القدامى ، و نعني بها ميـــل " اللّغة العربية إلى الإدغام حيث يتوالى صوتـــان متماثلان سواء في كلمة واحدة أو في كلمتين ... وذلك لتحقيق حدٍّ أدنى من الجهـــد عن طريق تجنُّب الحركات النّطقية التي يمكن الاستغناء عنها ." (1)

والإدغام عند ابن السّرّاج أنْ تصـــل " حرفاً ساكنا بحرفٍ مثله من موضعـــه من غير حركةٍ تفصل بينهمـــا ، ولا وقفٍ ، فيصيران بتداخلهما كحرف واحد ، ترفع اللّسان عنهمـــا رفعةً واحدةً ." (2) بينما هـــو في مفهوم ابن الجزري : " اللّفظ بحرفين حرفاً كالثّاني مشدّدا ، وينقسم إلـــى كبير و صغير ، فالكبير ماكان الأوّل من الحرفين فيـــه متحرّكا ، سواء كانا مثلين أم جنســـين أمْ متقاربين * ، والصّغير هـــو الذي يكون فيه الأوّل منهما ساكنا ." (3)

والمستخلص من هذا كلّه أنّ الإدغام في مفهوم القدامـــى وسيلة من وسائل اللّغة المختلفة التي ترتكز عليهـــا لإشاعة التّوافق والانسجام بين أصواتهـــا المتجاورة ، قصـــد تخليصها ممّـــا قد تحمله من ثقل يعوق تدفّقها وسيلانها ، وذلك بدعوتها إلـــى التّماثل و الاندماج ، فيسهل على اللّسان إخراجهـــا ، ويتقلّص المجهود العضلي إلى الحدّ الأدنى ،

---

(1) دراسة الصّوت اللّغوي ـــ ص : 332 .

(2) الأصول في النّحو ـــ ابن السّرّاج ، ـــ تحقيق : عبد الحسين الفتلي ـــ موسسة الرّسالة ـــ بيروت ـــ ط1 ـــ 1985 ـــ ج3 ـــ ص : 405 .

* والتّماثل هو الاتّفاق في المخرج والصّفة ، والتّجانس هو الإتّفاق في المخرج والاختلاف في الصّفة ، أما التّقارب هو التّداني في المخرج أو في الصّفة أو في المخرج والصّفة معا . (ينظر : القراءات وأثرها في علوم العربية ـــ ج1 ـــ ص : 90-91 .)

(3) النّشر في القراءات العشر ـــ ج1 ـــ ص : 215- 216 .

ويصل بها النّطق إلى أقصى درجات الخفّة و السّهولة . [1]

1 : المماثلة الكلّية التّقدمية المتّصلـــة :

وفيها يؤثّر الصّوت الأوّل فـــي الصّوت الثّاني المجاور الملاصق ، فيكون الصّوت الثّاني هو المتأثّر ، ويشترط فيها أن يكون الصّوتان ـــ المؤثّر والمتأثّر ـــ متجانسين . [2]

1-1 : المماثلة بين الصّوامـــت :

ومن أمثلتها تأثير فاء الافتعال في تائه إذا كانت الفاء (صاداً أو ضاداً أ و طاءً أو ظاءً) ، أو كانت (دالًا أو ذالًا أو زايًا) .[3]

فالبنى العميقة * للأفعال (صَبَرَ) من ' الافْتِعال ' هي : صَبَرَ+ اِفْتَعَلَ = اِصْتَبَرَ .

و (طَلَعَ) من ' الافتعال ' هي : طلع + افتعل = اِطْتلعَ .

و (ظَلَمَ) من ' الافتعال ' هي : ظلم + افتعل = اظْتلمَ .

و (ذَكَرَ) من ' الافتعال ' هي : ذكر + افتعل = اِذْتَكَرَ .

و (زا ن) من ' الافتعال ' هو : زا ن + افتعل = اِزْتان .

فالنّاطق لهذه البنى العميقة التي هـــي في صورة ' الافْتعال ' يجد من الصّعب على أعضاء جهازه النّطقي أن تحقّق صامتين متتالين ، أحدهمـــا مطبق والآخر منفتـــح ، أو

---

(1) ينظر : ظواهر التّشكيل الصّوتي عند النّحاة و اللّغويين العرب حتّى نهاية القرن الثّالث الهجري ـــ ص: 31 .
وينظر : أثر القراءات في الأصوات والنّحو العربي ـــ ص : 211 .

(2) ينظر : المدخل إلى علم الأصوات ـــ ص : 75 .

(3) ينظر : الأصوات اللّغوية ـــ عبد القادر عبد الجليل ـــ ص : 286 .

* والبنية العميقة هي البنية الأصلية التي تخضع إلـــى عدّة تغييرات من تقديم أو تأخير أو حذف أو زيادة حتّى تُفضي إلى شكلها الصّوتي النّهائي الذي تأخذه فـــي البنية السّطحية . (ينظر : البنية التّركيبيـــة فـــي رحاب اللّسانيـــات التّوليدية و التّحويلية ـــ أحمد حسّانـــي ـــ تجلّيات الحداثة ـــ مجلّة تصدر عن معهد اللّغة العربية وآدابها بجامعة وهران ـــ العدد الأوّل ـــ السّنة الأولـــى ـــ 1992 ـــ ص : 71 .)

أحدهما مجهور والآخر مهموس ، فتلجأ إلى تجنّب الحركات النّطقية التي يمكن الاستغناء عنها اقتصاداً في الجهد و جنوحا نحو السّهولة والتّيسير [1]، عن طريق تحويل تلك البنى العميقة إلى سطحية تفي بالغرض المطلوب ، والأمر يصير كالآتي :

* اِصْتَبَرَ : ←——— اجتمع فيها (ص+ ت) = مطبق + منفتح (عدم التّجانس + عسر النّطق) ، تتحوّل التّاء إلى نظيرها المطبق تحت تأثير الصّاد ، لتصبح (ص+ ط) = مطبق + مطبق (اِصْطَبَرَ) ←——— إلى البنية السّطحية عن طريق التّماثل الكلّي (اِصَّبَرَ) .[2]

* اطتلع : ←——— احتماع (ط+ ت) = مطبق + منفتح (عدم التّجانس + عسر النّطق) ، تتحوّل التّاء إلى نظيرها المطبق تحت تأثير الطّاء ، (ط + ط) = مطبق + مطبق (اِطْطَلَعَ) ؛ تماثلت الطّاء الأولى و الثّانية في كل شيئ فحدث الإدغام ، ←——— إلى البنية السّطحية (اِطّلَعَ) .[2]

* اِظْتَلَمَ ←——— احتماع (ظ + ت) = مطبق + منفتح (عدم التّجانس + صعوبة النّطق) ، تتحوّل التّاء إلى نظيرها المطبق تحت تأثير الظّاء المطبقة ، (ظ + ط) = مطبق + مطبق (اظطلم) = احتكاكي+ انفجاري (تجانس ناقص ، نوع من الثّقل) ، تتحوّل الطّاء الانفجارية إلى ظاء ثانية تحت تأثيرالظّاء الأولى ←——— (ظ + ظ) = احتكاكي + احتكاكي ، ←——— إلى البنية السّطحية والتّماثل الكلّي ، إلى

---

(1) ينظر : شرح الملّوكي في التّصريف ــ ابن يعيش ــ تحقيق : فخر الدّين قباوة ــ المكتبة العربية ــ حلب ــ سوريا ــ ط1 ــ 1973 ــ ص : 317- 318 .

(2) ينظر : الكتاب ــ ج4 ــ ص : 474 – 475 .

أقصى مراتب السّهولـــة (اظّـــلَمَ) .[1]

يقول ابن يعيش : " كرهوا الإتيان بحرف بعد حرف يضاده و ينافيـــه ، فأبدلوا من التّاء طاءً ، لأنّهما من مخرجٍ واحد ... و في الطّاء استعلاء و إطباق يوافق مـــا قبله ليتجانس الصّوت ، ويكون العمل من وجه واحد، فيكون أخفّ عليهم . والغرض من ذلك كلّه، تجانس الصّوت و تقريب بعضه من بعض ، و الملاءمة بينهما ." [2]

* اِذْتَكَـــرَ ←——— اجتماع (ذ + ت) = مجهـــور + مهموس (عدم التّجانس + عسر النّطق) ، تتحوّل التّاء إلى نظيرها المجهور تحت تأثير الذّال ، (ذ + د) = احتكاكي + انفجاري (اِذْدَكَـــرَ) ، تجانس ناقص ، نوع من الثّقل ، تتحوّل الدّال الانفجارية إلـــى ذال احتكاكية تحت تأثير الذّال الأولى ، (ذ + ذ) = احتكاكي + احتكاكـــي ، ←——— إلى البنية السّطحية (اِذّكر) .[1]

* اِزْتان ←——— اجتماع (ز+ ت) = مجهور + مهموس (عدم التّجانس ، ثقـــل النّطق) ، تتحوّل التّاء المهموسة إلى نظيرها المجهور تحت تأثيـــر الزّاي المجهورة ، (ز + د) = مجهور + مجهور ←——— (ازْدان) = احتكاكي + انفجاري (تجانس ناقص ، نوع من الثّقل) ، تتحـــوّل الدّال الانفجارية إلـــى زاي تحت تأثيـــر الزّاي الأولى ، ←——— إلى البنية السّطحية والإدغام ، إلى التّماثل الكلّي ، إلى أقصى مراتب التّيسير ←——— (اِزّانَ) .[1]

---

(1) ينظر : الكتاب ـــ ج4 ـــ ص : 474 – 475 .

(2) شرح الملّوكي في التّصريف ـــ ص : 317- 318 .

إنّمـــا أبدلت تاء ' اِفْتَعَلَ ' دالاً عندمـــا وقعت فاؤه زايًا أو دالاً أو ذالاً ، بغية التّجانس الصّوتـــي وفراراً من تباينـــه . من حيث أنّ الزّاي و الدّال و الذّال أصـــوات مجهورة ، بينما التّاء صوت مهمـــوس ، فوافقت الدّال بجهرهـــا جهر الزّاي و الدّال و الذّال ، ووقع العمل في ضربٍ واحد .[1]

ويعلّل ابن جنّـــي ما حدث فـــي هذه الأمثلة بقوله : " و من العرب من يُبدل ' التّاء ' علـــى ما قبلهـــا ، فيقول : اِصّبَرَ ، ومُصّبِر ، وقـــرأ بعض القرّاء (**فلا جناح عليهما أن يصّلحا بينهما صُلحا**) [2] ، يريد : يفتعلا من الصُّلح ." [3]

ويقـــول فـــي موضعٍ آخر : " أنّ الذين قالـــوا : اِصّبَرَ وا صّلح وازّان واذّكر ، قـــد تجافت ألسنتهـــم عن الطّاء والدّال وغلب عليها صوت الصّاد و الزّاي و الذّال ، لما في الطّاء والدّال من الشّدّة ، فتحوّلوا إلى صوت رخو، فكان أن جرى على ألسنتهـــم قلب الشّديـــد إلى رخو يناسب الفاء فأبدلوه مع الصّاد صادا وأدغمـــوا ، ومـــع الزّاي زايا وأدغموا وهكذا ، إذْ كان ذلك أخفّ على ألسنتهم ." [4] فاللّسان يثقـــل عليه التّصعُّد والعودة فـــي اللّحظة ذاتـــها إلى نفس النّقطة ليرتفـــع مرّة ثانيـــة بغية تحقيـــق انتاجية الصّوتين ، ممّا يوجب الإدغام .[5] حتّى " يكون العمل من وجه واحد، فهذا يدلّك على

---

(1) ينظر : شرح الملّوكي في التّصريف ـــ ص : 322 – 323 .

(2) الآية 127 من النّساء .

(3) المنصف ـــ ابن جنّي ـــ تحقيق : ابراهيم مصطفى و عبد الله أمين ـــ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـــ مصر ـــ ط1 ـــ 1954 ـــ ج2 ـــ ص : 327 . وينظر : معاني القرآن ـــ الفرّاء ، يحيى بن زياد ـــ تحقيق : محمد علي النّجّار و أحمد يوسف نجاتي ـــ عالم الكتب ـــ بيروت ـــ ط2 ـــ 1955 ـــ ج3 ـــ ص : 107 .

(4) الدّراسات اللّهجية و الصّوتية عند ابن جنّي ـــ حسام سعيد النّعيمي ـــ دار الطّليعة للطّباعة و النّشر ـــ بيروت ـــ د.ط ـــ د.ت ـــ ص : 173 .

(5) ينظر : الأصوات اللّغوية ـــ عبد القادر عبد الجليل ـــ ص : 299 .

مذهبهـــم على أنّ للتّجنيس عندهم تأثيراً قويّاً ." [1]

والإدغام ليس فـــي الحقيقة صوتين من جنس واحد ، أوّلهمـــا ساكن و ثانيهما متحرّك ، وإنما هو في صوت واحد تطول مدّته لتسعَ زمن صوتين اثنين . [2] لأن أعضاء النّطق ستتحرك بالكيفيـــة المناسبة لنطق الصّوت الأوّل مع عدم مغادرها هذا الوضع ، لتقوم بعد ذلك بإنتاج الصّوت الثّاني المشابه للصّوت الأول . [3]

فالإدغام بهذا لايعدو أن يكون وسيلة للهروب من الثّقل والعسر إلى الخفّة واليسر .

1-2 : المماثلة بين أشباه الصّوائت والصّوائت المجانسة لها :

1-2-1 : تأثير الياء في الواو التّالية لها :

في تصغير ' جرْوٌ ' على (فُعَيْل) ، فالبنية العميقة يجب أن تكون : ' جُرَيْوٌ ' ؛ فقد التقى ثلاثة أصوات متشابهة : الياء والواو وحركة الإعراب الضّمة ممّا شكّل عسرا أثناء النّطق بهذه الكلمة ، لذلك تدخلت اللّغة بطرقها المختلفة لإبعاد هذا الثّقل والعسر، فقلبت الواو تحت تأثير الياء إلى ياء مماثلة لتصبح (جُرَيْيٌ) ، وبعد الإدغام تنتهـــي إلى : (جُرَيٌّ) . [4]

---

(1) المنصف ــ ج2 ــ ص : 325 .

(2) ينظر : المدخل إلى علم اللّغة و مناهج البحث اللّغوي ــ رمضان عبد التّواب ــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ ط1 ــ 1982 ــ ص : 97 .

(3) ينظر : المدخل إلى علم الأصوات ــ ص : 75 .

(4) ينظر : الخصائص ــ ج3 ــ ص : 84 ، علم الصّرف الصّوتي ــ ص : 419 .

* و فـــي تصغير ' عصا ' على (فُعَيل) ، هي (عُصَيْوَة) ، لأنّ أصل عصا (عَصَوَ). يبدو أنّ الياء الأولى تبحث عن المجانسة الصّوتية مع الصّوت الذي يليهـــا ، لأن الواو لا تناسبها وتشكّلا مجتمعتين ثقلا فـــي النّطق . فتحوّلت (الواو) إلـــى مجانسها (الياء) من أجل المماثلة مع الياء الأولـــى (عُصَيّة) ، إلى البنية السّطحية عن طريـــق الإدغام (عُصَيّة) .[1]

أما : ' أيّـــام ' ؛ فقـــد مرّت بعدّة تحوّلات في البنية العميقة حتـــى وصلت إلى هذه البنية السّطحيـــة . فقد نصّ الصّرفيون علـــى أنّ أصل : أيّام ←——— أيْوام ؛ مـــن الكلمة المفردة (يَوْم) ؛ فقد اجتمعت الأشباه في هذه الكلمة ، وفي اجتماعهـــا عسر علـــى النّطق ، وهي (الصائت الانتقالي ' الياء ' ، المسبوق بصائت الفتحة ، المتلوّ بصائت انتقالي آخر هو ' الواو ' المتبوع بصائت الفتح الطّويل) .

وعليه فقد تدبّرت اللّغة الأمر وبحثت عن موطن الثّقل ، فوجدتـــه في الصّائت الانتقالي (الواو) غير المجانس للصّائت الانتقالـــي قبله (الياء) ، فاستبدلته بما يناسب الياء ولا يتعارض معهـــا ، وهو ' ياء ' ثانية ، إلى (أيْيام) ، ومنـــه إلى البنية السّطحيـــة بعد الإدغام ←——— أيّـــام .

فقد استثقلت اللّغة هذا الاجتماع الذي يدفع اللّسان إلى التّحرّك في موضعين متناقضين ، حيث أنّ تحقيق ' الياء ' يتمّ بارتفاع مُقدّم اللّسان نحو وسط الحنك مع انفراج الشّفتين ، في حين يتمّ تحقيق ' الواو ' من أقصـــى اللّسان مع ما يقاربـــه من أقصـــى الحنك ، مع استدارة الشّفتين .[2] " وعليـــه فاللّسان في نطقه لهذين الصّوتين يقوم بحركتين متتاليتين

---

(1) ينظر : علم الصّرف الصّوتي ـــ ص : 401 .

(2) ينظر : ظواهر التّشكيل الصّوتي عند النّحاة واللّغويين العرب حتّى نهاية القرن الثّالث الهجري ـــ ص : 210 .

إحداهما بأقصاه ، والأخرى بمقدّمه . ولا شكّ أنّ في هذه العملية جهداً و مشقّة تجعلان هـــذا العضو ، علـــى الرّغم من مرونته ، يحاول التّخلّص منهـــا ، بنقل مخرج الواو من أقصى اللّسان إلى مقدّمته ، وذلك بقلبه ياءً ليقوم جزء واحد من اللّسان بإصدار الصّوتين المتماسين في صورة مركّب إدغامي أو مماثلة تامّة ." [1]

1-2-2 : تأثير الكسرة في الواو التّالية لها :

فقد تأثّرت ' الواو ' بالكسرة السّابقة لهـــا في : ميعاد و ميزان و ميقات والغازي و الدّاعي والصّيام و غيرهـــا ؛ فقد وصلت إلـــى بناها السّطحية المذكورة بعد ما مرّت بمجموعة من التّحوّلات ؛ فأصلهـــا : مِوْعاد مـــن (الوَعْد) ، ومِوْزان من (الوَزْن) ، و مِوْلاد من (الوِلادة) ، ومِوْقـــات من (الوَقْت) ، والغازِو من (الغَزْو) والدّاعِو من (الدَّعوة) وصِوام من (الصّوم) .

تقول النّظرية الصّرفية القديمة : تقلب الواو ياء إذا وقعت بعد أو شبهـــه. [2]

فـــ : مِوْعاد ومِوْزان ومِوْلاد ومِوْقات ، (اجتمع فيها الصّائت الأمامي الضّيف القصير ' الكسرة '، مع الصّائت الانتقالي الخلفي الضّيق ' الواو ') ، وهـــو أمر يكتنفه الثّقل ، سببه اجتماع حركتين متناقضتين على اللّسان ، الأولى بمُقدّمه ، والثّانية بمؤخرته ، ممّـــا استوجب البحث عن حلٍّ لهذه المُعضلة ، وهـــوما وجدته اللّغة في القوانين الصّوتية التي سوّغت استبدال ' الواو ' تحت تأثير الكسرة قبلهـــا بما يناسبها وهو الصّائت الانتقالـــي

---

(1) ينظر : ظواهر التشكيل الصّوتي عند النحاة واللّغويين العرب حتى نهاية القرن الثّالث الهجري ـــ ص : 210 .

(2) ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ـــ تحقيق : هادي حسن حمّودي ـــ دار الكتاب العربي ـــ بيروت ـــ ط1 ـــ 1991 ـــ ج2 ـــ ص : 301 ، نصوص في النّحو العربي ـــ يعقوب بكر ـــ دار النّهضة العربية ـــ بيروت ـــ د.ط ـــ 1984 ـــ ج2 ـــ ص : 327 .

' الياء ' لتصير إلى : مِيْعاد و مِيْزان و مِيْلاد و مِيْقات . و من أجل استمرارية الحركة وبحثا عن السّهولة المطلقة أثناء النّطق ، تحوّل الصّائت الانتقالي' الياء ' إلي صائت قصير من جنسه مناسب أكثر للصّائت قبله وهو الكسرة ، فأجتمعت الكسرتان لتكوّن صائتا طويلا هو الكسرة الطّويلة ، لتنتهي الصّيغ في آخر المطاف إلى : ميعاد و ميزان وميلاد وميقات .[1]

الغازِوُ و الدّاعِوُ : هنا كذلك اجتمعت الأمثال ، الصّائت الأمامي الضّيق الكسرة مع الصّائت الانتقالي الخلفي الضيّق الواو ،والانتقال بينهما يشكّل عائقا بالنّسبة لانسيابية الحركة النّطقية ، فالكسره لا تناسبها الواو ممّا دفع باللّغة أنْ تبحث على الانسجام ، وتتخلّص من العنصر المشكل الذي هو الواو بما يناسب الكسرة وهو الياء ، إلى البنية السّطحية : الغازي والدّاعي .

صِوام (لم ينسجم فيها الصّائت الأمامي الكسرة مع الصّائت الانتقالي الخلفي الواو ممّا يشكّل ثقلا) ، تخلّصت منه اللّغة عن طريق استبدالها الواو موضع الثّقل بما ينسجم مع الكسرة قبلها وهي الياء ، إلى البنيبة السّطحية ←——— صِيّام .

1-2-3 : تأثير الصّائت في الهمزة السّاكنة بعده فيبدلها إلى صوت مجانس :

تُؤثّر الفتحة و الكسرة و الضمّة على الهمزة بعدها للمجانسة ؛ يقول السّيوطي : " تبدل الهمزة السّاكنة حرف مدّ من جنس حركة ما قبلها ، فتُبدلها ألفاً بعد الفتح نحو : وَأمر أهلك ، و واوًا بعد الضمّ نحو : يُؤْمنون ، و ياءً بعد الكسر نحو : جِئْت... وسواء

---

(1) ينظر : الخصائص — ج1 — ص : 49 ، علم الصّرف الصّوتي — ص : 419

كانت الهمزة فاءً أم عيناً أم لاماً ... " [1] فتقول : وامر ، و يومنون ، وجيت . ففي : ذئْب وبئْر ، يؤثّر صائت الكسر في الهمزة بعده إخضاعاً لقانون المماثلة الصّوتية بحثا عن الانسجام ، ولعسر النّطق بالهمزة تتحوّل إلى ما يناسب الكسرة وهو الصّائت المماثل للكسرة (ذِ/ـِ/ ب) وَ (بِـ/ ـِ/ ر) ثمّ يُصار إلى الصّائت الطّويل عن طريق تضعيف إنتاج صوت الكسرة [2] ، فتصبح الصّيغتان في بنيتيهما السّطحيتين (ذيب وبير) . وفيهما قد تحوّلت العربية عن المقطع الطّويل المغلق بصامتين حال الوقف ـ الثّقيل على النّطق في مثل هذه الكلمات أحادية المقطع ـ إلى مقطع أخفّ منه من النّوع الرّابع حين الوقف دائما (ص م م ص) .

1– 2–4 : تأثير الضّمة في الياء التّالية لها :

من وجوه المماثلة بين الصّوائت نذكر : موقِن وموسِر ؛ تقول فيهما النّظرية الصّرفية القديمة " الياء إذا سكنتْ في مفرد بعد ضمة وجب إبدالها واوا نحو : موقن وموسر ، إذ الأصل فيهما مُيْقِن ومُيْسِر لأنهما من أيْقَنَ و أيْسَرَ . " [3]

أمّا القوانين الصّوتية فترى أنّ : مُيْقِنٌ و مُيْسِرٌ قد اجتمعت فيهما حركتان ، نتج أثناء النّطق بهما ثقل وعسر ، فاللّسان فيهما يتموضع بالكيفية المناسبة لنطق الصّائت الخلفي الضّيق (الضّمة) ، عندما يرتفع مؤخّر اللّسان نحو أقصى الحنك ، دون أن

---

(1) الإتقان في علوم القرآن ـ السّيوطي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ د.ط ـ د.ت ـ ج1 ـ ص : 214 .

(2) ينظر : علم الصّرف الصّوتي ـ ص : 347 .

(3) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ـ ج2 ـ ص : 303 .

يرتطم به ، ثم يتنقل مرّة أخرى وبسرعة شديدة إلـــى وضع وكيفية أخرى بمقدّمه لنطق الصّائت الأمامـــي الانتقالي الضّيّق (الياء) ، وهـــو أمر تنفر منه العربية فتعمـــل على استبدال (الياء) موضع الإشكال بـــما يحقّق الانسجام واليُسر وهـــو (ضمّة) ثانية ، لتشكّل مع الضمّة الأولى صائتا طويلاً ، إلى البنية السّطحية : موقِن و موسِر .

1- 2- 5 : تأثير الكسرة في الفتحة الطّويلة التّالية لها في :

يتجلّى هذا في مثل قول العرب : مصابيح جمع (مِصْباح) ودنانير جمع (دينار) وغيرهما . فقد نصّ الصّرفيون على أنّ الألف تقلب ياءً : " إذا وقعت إثْر كسرة في جمع تكسير أو تصغير ، كقولك فـــي جمع (مصباح) و (دينار) جمعَ تكسير : مصابيح و دنانير ، و في تصغيرهما : مُصَيْبيح و دُنَيْنير ." [1] ويعلّل الصّوتيون هذه الحالة بقولهـــم : إذا كـــان المفرد (مصباح و دينار) فجمعهمـــا على التّكسير يصير (مصابِـــ/ ا /ح ، ودنانِـــ/ ا / ر) ، أما تصغيرهـــما يكون (مُصَيْبِـــ/ ا /ح ، و دُنَيْنِـــ/ ا / ر) ؛ وهنـــا يستحيل على اللّسان في المواضع الأربعة نطق صائتين متواليين ، الصّائت الضّيق الأمامي القصير الكسرة ، المتلوّ بالصّائت المتّسع الأمامي الطّويل الألف ، ومنه تدبّرت اللّغة الأمر فأسقطت الصّائت الطّويل (الألف) موضع الإشكال وعوضتـــه بكسرة مماثله للكسرة الأولى (مصا بِـــ/ ـــِ/ح ، دنانِـــ/ ـــِ/ ن) ، و(مُصَيْبِـــ/ ـــِ/ح ، ودُنَيْنِـــ/ ـــِ/ ر)، ثمّ تداخلت الكسرتان لتحقّقا صائتا طويلا هو ' الياء ' ، إلى البنية السّطحية (مصابيح ، و دنانير) ثمّ (مُصَيْبيح ، و دُنَيْنير) .

---

(1) المدخل إلى علم النّحو و الصّرف ـــ ص : 30 .

وأمّاحاصل ما مرّ بنا من أوجـــه المماثلة بين أشباه الصّوائت و الصّوائت المجانسة يعود إلى استكـــراه العرب الخروج من كسر إلى ضمّ ، أو العكس ، أو تكلّفهـــم تحقيق كسرة بعدها واو ، أو ضمّة قبل ياء ، بسبب الثّقل النّاتج عـــن تيْنك العمليتين المتتاليتين و المتناقضتين المجهدتين للّسان ، واستحالة نطقهم لكسرة أو ضمّة قبل ألفٍ ، كان الدّافع وراء إبدالهم الياء واوا بعد ضمّة ، أو الواو ياء بعد كسرة ، وقلبهـــم الألف ياء بعـــد كسرة أو واوا بعد ضمّة وغيرها ، " إنّمـــا قلبت هذه الحروف بعد هذه الحركات لأنّك إذا بدأت بالكسرة تراجعت عنها إلى الواو ، فقد نقضت أوّل قولك بآخره ، و خالفت بين طرفيه ، فقد جئت ببعض الياء ، و آذنت بتمامها ، فإذا تراجعتَ عنهـــا إلى الواو ، فقـــد نقضتَ أوّل قولك بآخره ، و خالفتَ بين طرفيه . وكذلك إذا بدأت بالضمّة ثم جئت بعدها بالياء ، فقد جئت بأمر غيره المتوقّع ، لأنّك لمّا جئت بالضمّة تُوُقعت الواو ، فإذا عدلت إلى الياء فقد نقضت بآخر لفظك أوّله ." [1]

2 - المماثلة الكلّية التّقدمية المنفصلة :

وفيهـــا يفصل بين الصّائت المؤثّر والصّائت المتأثّر بصائت . يؤثّر صائت الكسر سواءً أكان قصيرا أو طويلا تأثير كلّيا فـــي حركة الضمّ للضمير الغائب المفرد المذكر (ـــهُ) أو الجمع المذكر (هُم) أو الجمع المؤنث (هُن) أو المثنـــى (هُما) لأن الأصل فيها الضمّ [2]. يقول سيبويـــه " و أهل الحجاز يقولون مررت بهوقبل ، ولديهو مال ، و يقرأون (فخسَفْنا بِهو و بدارهو الأرْض) [1] ." [2]

---

(1) سرّ صناعة الإعراب ـــ ج1 ـــ ص : 19 .

(2) ينظر : التّطور اللّغوي : مظاهره و علله و قوانينه ـــ ص : 25 .

(3) الآية 81 من القصص .

(4) الكتاب ـــ ج4 ـــ 195 .

" و يبدو أنّ الكثير من القبائل البدوية حافظت علـــى الصّورة الأصلية (الضمّ) و منها قبائل الحجاز ." [1] وذلك قولك : بهُ ، بهُم ، بهُن، بهُما ، وفيهُ ، فيهُم ، فيهُن ، فيهُما . وفيهـــا يتعثّر اللّسان و يجد صعوبة جمة في الانتقال من الكسر إلى الضمّ ، من الصّائت الأمامي إلى الصّائت الخلفـــي ، فتتدخّل المماثلة لوضـــع التّوازن ، باستبدال الضمّة غير المناسبة بصائت مماثل هو الكسرة ، حتـــى يعمل اللّسان في إتّجاه واحد تيسيرًا للنّطق ، فتصبـــح : بهِ ، بهِم ، بهِن ، بهِما و فيهِ ، فيهِمِ ، فيهِن ، فيهِمـــا . فالجمع بين الضـــمّ و الكسر أو العكس عند العرب بناء ثقيل يأباه الذّوق وتنفر منه السّلقة ، يقول الفرّاء : " يستثقلون كسرة بعدها ضمّة ، أو ضمّة بعدها كسرة ." [2] وقد قال سيبويه في نفس الشّأن : " كرهـــوا في ' عُصِرَ ' الكسرة بعد الضمّة ، كمـــا يكرهـــون الواو مع الياء في مواضع ، ومع هذا أنّه بناء ليس في كلامهم إلاّ في هذا الموضع من الفعل ." [3]

3– المماثلة الجزئية التقدمية المتّصلة :

وفيها يؤثر الصّوت الأوّل في الثّاني فيقرّبه إليه بأن يجعله يماثله في إحدى صفاته.[4]

3– 1: المماثلة بين الصّوامت :

فالبنى العميقة للأفعال ' زَهَرَ ' من ' الافتعال ' هي : زَهَرَ+ اِفْتَعَلَ = اِزْتَهَرَ .

و ' زجر ' من ' الافتعال ' هي : زجر + افتعل = ازتجر .

و ' ضجع ' من ' الافتعال ' هي : ضجع + افتعل= اضتجع .

و ' جَمَعَ ' من ' الافتعال ' هي: جمع + افتعل = اِجْتَمَعَ .

---

(1) عبد القادر عبد الجليل ــ الأصوات اللّغوية ــ ص : 287 .

(2) معاني القرآن ــ ج2 ــ ص : 12 .

(3) الكتاب ــ ج4 ــ ص : 114 .

(4) ينظر : المدخل إلى علم الأصوات ــ ص : 77 .

فالنّاطق للبنيـــة العميقة للفعل ' ضَجَعَ ' من ' الافتعال ' يجد صعوبة في تحقيق صامتين متواليين أحدهما مطبق و الأخر منفتح * ، و يجد الصّعوبة نفسهـــا عند نطق الفعليـــن : ' زَجَرَ ' و ' جَمَعَ ' من ' الافتعـــال ' لتوالـــي صامتين فيها ، أولهمـــا مجهور و ثانيهما مهموس * *. ففي مثل هذه الأحوال تنشط القوانين الصّوتيـــة ، من خلال استدعـــاء عامل المماثلة الذي بواسطته يتمّ إشاعة الانسجام و إبعاد التّنافر بين الأصوات .

فاضْتَجَعَ ←—— ض+ ت = مطبق + منفتح (تنافر وثقل فـــي النّطق) ←——

ض+ ط (تحوّل التّاء المهموسة إلى نظيرها المطبق تحت تأثير الضّاد) ←—— اِضْطَجَعَ .

إنّ الجهـــد العضوي الذي يُبذل فـــي انتاج أصوات الإطباق أكبر دون شكٍّ من الجهد الذي يُبذل مع الأصوات المنفتحة ، بالإضافة إلى سكونها فـــي فاء 'الافتعال ' ممّـــا يطيل زمن الوقوف عندها ، الأمر الذي يُصعّب علـــى اللّسان الانتقال من هذا المستوى إلـــى مستوى آخر مخالف و مضاد ، وهو مستوى تحقيـــق الصّامت المستفل ' التّاء ' ، " فهو يحتاج إلى جهد يبذله اللّســـان مباشرة مع اتخاذه وضع النّطـــق بحرف الإطباق ... مع قرب اللّسان من موضع ' التّاء ' في حالة الإطباق ... ليعود لنطـــق التّاء ...، [و هروبا من هذا الإجهاد] اختاروا مع حروف الإطبـــاق ' الطّاء '، لأن وضع اللّسان عند النّطق

---

*والإطباق هو ارتفاع مؤخّر اللّسان في اتّجاه الطّبق حتّى يلتطم به ، ممّا يلوّن الصّوت بقيمة صوتية خاصّة تمتاز بها الأصوات المطبقة عن غيرها . و الأصوات المطبقة في العربية الفصحى هي : ص ، ض ، ط ، ظ . أمّا الانفتاح فهو صفة تقابل الاطباق تتميّز بها بقيّة الأصوات دون المطبقة ، أثناءها يتّسع الفراغ وينفتح المجال بين اللّسان و الطّبق . (ينظر : التّحديد في الاتقان و التّجويد ـــ ص : 108 ، والأصوات اللّغوية ـــ عبد القادر عبد الجليل ـــ ص : 273 .)

**والجهر هو اهتزاز الوترين الصّوتيين أثناء مرور الهواء المنطلق من الرّئتين بالحنجرة . أمّا الهمس فهو بقاؤهما ساكنين دون أيّ اهتزاز عند مرور الهواء بالحنجرة . (ينظر : الأصوات اللّغوية ـــ عبد القادر عبد الجليل ـــ ص : 124 .)

بـــه هو عين وضعه قبل النّطق به ." [1]

أمّا : اِزْتَجَرَ ◄——— اجتمع فيها (ز+ ت) ، إلى (ز+ د) ———► اِزْدَجَرَ .

وقولهم كذلك : اجتمع ◄——— اجتمع فيهـــا (ج + ت) = مجهور+ مهمـــوس ، (تنافر وثقل) ، إلى ◄——— (ز+د) ، (تحول التّاء المهموسة إلى نظيرها * المجهور الدّال) = مجهور + مجهور؛ (تجانس و سهولة) ———► اِدْدَمَعَ .

يقول ابن جنى " وقد قلبت ' تاء ' الافتعال ' دالا ' مع الجيم في بعض اللّغات ، قالـــوا : ادمعوا في اجتمعوا ." [2] وأورد الفرّاء قول العرب في هذا الصّدد فقال : "حدّثنا علي عن محمد بن فرج ، عن سلمة ، عن الفرّاء ، قال : قوم من العرب يقولون : ' أجْدبيك ' فـــي موضع ' أجتبيـــك ' ، يجعلـــون ' تاء ' الافتعـــال بعد الجيم 'دالا '، و يقولـــون ' اجدمعوا '. " [3]

وبإمكان مواءمة الصّوت لمحيطه أنْ تصبح شيئا مطّردا يسير وفق معيارعام في اللّغة الواحدة ، كما الحال في الإنجليزية التي تنطق فيها (s) الجمع سيناً في كلمة (cats) ، التّالية لـــ (t) المهموســـة ، لكنّهـــا تنطق (z) زاياً فـــي كلمة (Dogs) ،

---

* كانت النّتيجة التي انتهى إليها جاكبسون جدولاً جمع فيه اثني عشرة زوجا تناظرياًيصلح لكلّ لغات العالم ، مفاده أنّ العنصر الرّئيسي في النّظام اللّغوي ليس هو **الفونيم** ، وإنّما **التناظر** أو بالأحرى **القيمة الخلافية** .

(ينظر : Initiation aux problemes des linguistique contemporaines / Catherine Fuchs et Goffic Pirre / Librairie Hachette / Paris / 1995 / p : 125 .et Essais de linguistique générale / p : 124 .)

(1) الدّراسات اللّهجية و الصّوتية عند ابن جنّي ـــ ص : 348- 349 .

(2) سرّ صناعة الاعراب ـــ ج1 ـــ ص : 187 .

(3) الصّاحبي في فقه اللّغة و مسائلها و سنن العرب في كلامها ـــ أحمد بن فارس ـــ علّق عليه ووضع حواشيه : أحمد حسن بسج ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ ط1 ـــ 1997 ـــ ص : 71 .

التّاليـــة لـــ (g) المجهورة . [1]

وفي (قِيل وَ غِيض) ؛ يجانس صائت الكسر- الأمامـــي المستفل- (القاف و الغين) المستعليتين قبله ، فينطق بين الضـــمّ و الكسر على الشّكل : قُيِـــل/ غُيِـــض . يقول حسن ظاظا : " على الضّلع الأسفل بين الضّمة و الكسرة يوجد ما يسميه النّحاة بالإشمام ، وهو مزيج بين الضمّة و الكسرة في حركة واحدة ... و لا يظهـــر ذلك إلاّ في اللّفظ و لا يظهر في الخطّ ... وقد قُرِئ في السّبعة قوله تعالى : **(وقيـــل يا أرض ابلعي ماءَك ويا سماء اقلعي ، وغيض الماء)**[2] بالإشمام في (قيل و غيض) ."[3]

ومن تأثير الصّامت في الصّائت" اتجاه العلّة الأمامية إلى الخلفية بتأثير السّواكن المفخّمة ، ومثال ذلك الكسرة في (طِبْ) و الفتحة في (صَبَرَ) تحت تأثير الطّاء و الصّاد ." [4]

ومن ذلك أيضـــا قولـــهم (فَعَلَ- يَفْعَلُ) بفتح عـــين المضارع مع حروف الحلق و ما قاربهـــا في (سعَر يسعَر ، وسأل يسأل ، و نهَر ينهَر) و غيرها ، و كان من حقّهـــا أن تكون مضمومة كما هي الحال مع باقي الصّوامت من مثل (كتب ، يكْتُبُ) الخ .

ولعلّ ذلك يفسّره قانون اختزال الجهد الصّوتي ،" لأنّ الحروف الحلقية ... تتميّز بالنّطق الإنتاجي المفتوح ، ممّـــا تتناسب معهـــا حركة (الفتحة) ، لأنها حركة أمامية متّسعة ، بالإضافة إلى أنّ الكثرة العالية من هذه الأفعال تقابلهـــا نسبة تردّدية عاليـــة للأصوات الحلقية بالقياس إلى الأصوات الأخرى ." [5] يقول سيبويه : " أنهم فتحوا حروف الحلق

---

(1) ينظر : الصّوتيات ـــ ص : 188 .

(2) الآية 44 من هود .

(3) كلام العرب : من قضايا اللّغة العربية ـــ حسن ظاظا ـــ دار النّهضة العربية ـــ بيروت ـــ 1976 ـــ ص : 11- 12 .

(4) دراسة الصّوت اللّغوي ـــ ص : 329 .

(5) علم الصّرف الصّوتي ـــ ص : 250 .

لأنّ الفتحة بعض الحرف الذي في حيّز حروف الحلق وهو الألف ، و لم يحركوها بالكسر أو الضمّ لأنهما بعض حرفين مرتفعين عن الحلق ." [1]

3- 2 : المماثلة بين الصّوائت و أشباه الصّوائت المجانسة لها :

يحدث أن تتأثّر الصّوائت وأشباهها بما يتقدّمها من صوائت ، وهي مفصّلة كاللآتي :

3-2-1 : تأثير الضّمة في الفتحة الطويلة التّالية لها :

في تصغير : دابّة على (فُعَيْلَة) ؛ فالبنية العميقة لها هي : دُ/ا / يْبَة .

هنا يستحيل النّطق بعد اجتماع الأمثال وبخاصة إذا كانت صوائت و أشباهها (الصّائت الضّيق الخلفي ' الضمّة ' متبوعا بصائت أمامي متّسع ' الألف ' متلوّا بصائت انتقالي أمامي ضيّق ' الياء ' ، فاللّسان يستحيل عليه التّنقل و الحركة بينها ، هنا تتدخّل المماثلة لصدّ النزاع و حسم الخلاف باستبدال الصائت موضع الإشكال (الألف) ، غير المجانس ، بما يجانس الضمّة التّالية للدّال وهي ' الواو ' الذي تلحقه آليا الفتحة ، لأنّ بناء الصيغة يقوم عليها ، تيسيرا للنّطق و إعادة للتّوازن البنائي للوحدة ، لتصبح في بنيتها السّطحية : ⟵ دُوَيْبَة .

و في تصغير : كاتب على (فُعَيْلِل) ؛ فالبنية العميقة يجب أنْ تكون على الشّكل : كُ/ا / يْتِب ⟵ إلى البنية السّطحية : كُوَيْتِب .

3-2-2 : تأثير الضّمّة في الهمزة التّالية لها :

الصّائت الخلفي الضّيّق (الضمّة) يؤثّر في الهمزة فيبدلها صائتا انتقالياً مجانساً تخفيفاً للثّقل الذي يعتري العملية النّطقية أثناء تحقيق الهمزة ـــ الصّائت العسير على النّطق منفردا ، فما بالك باجتماعه مجاورا للضّمة ، أثقل الصّوائت وأصعبها نطقا ـــ

---

(1) الكتاب ـــ ج2 ـــ ص : 252 . و ينظر : الخصائص ـــ ج2 ـــ ص : 143 .

" وذلك قولـــك في : جُوَن ؛ جُوَن ، وفـــي رجُلٍ سُوَلة ؛ سُوَلة ، وفي بُوَر ؛ بُوَر ، وفي لُوَم ؛ لُوَم . " (1)

3-2- 3 : تأثير الكسرة في الصّائت الانتقالي التّالي لها :

فقد تأثّرت ' الواو ' بالكسرة السّابقة لها في : رَضِيَ ؛ فالأصل فيها : (رَضِوَ) . يقول عبد الصبور شاهين : " و على ذلك نرى أن عنصر الضمّة قد أُسْقِط فـــي هذه الأمثلة ، فاتّصلت الكسرة بالفتحة مباشرة ، فكانت الياء نتيجة الانتقال بينهما ، دون أنْ تكون بدلا من الواو كما قيل : $\frac{\text{radi-a}}{\text{y}} < \frac{\text{Radi-u-a}}{\text{w}}$ " (2)

فالدّراسة المقطعية لا تقبل هذا التّحليل ، وبالتّالي فتفسيره بالكيفية المذكورة غير وارد . فالبناء المقطعي لكلا الصّيغتين واحد ، ولا أثر لسقوط الضمّة أو أيّ عنصرآخر من البنية العميقة في البنية السّطحية ؛

رَضِوَ = ص م + ص م + ص م ؛ (ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة من النّوع الأوّل) .

رَضِيَ = ص م + ص م + ض م ؛ (ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة من النّوع الأوّل) .

وعليه نفسر انتقال البنية العميقة (رَضِوَ) إلى البنية السّطحية (رَضِيَ) كالتّالي : رَضِوَ : اجتمع فيها الصّائت الضّيق الأمامي (الكسرة) مـــع الصّائت الانتقالي الخلفي الضّيق (الواو) ، و هـــو اجتماع تينك الحركتين المتناقضتين ـــ كمـــا سلفت الإشارة إليـــه ـــ مما شكّل صعوبة في الأداء الكلامي لهذه البنية ، فاستعانت العربية بالمماثلة التي عملت علـــى استبدال العنصر غير المجانس (الواو) بآخر مجانس للكسرة السّابقة و هو

---

(1) سرّ صناعة الإعراب ـــ ج2 ـــ ص : 560 .

(2) المنهج الصّوتي للبنية اللّغوية ـــ ص : 189 .

' الياء ' ، حتّى يتحرّك اللّسان في إتّجاه واحد لضرب من التّيسير ، لتنتقل الصّيغة إلى : رَضِيَ .

4 – المماثلة الجزئية التّقدمية المنفصلة :

وفيها يؤثر الصّوت الأوّل في الثّاني المنفصل عنه بأن يجعله يماثله في إحدى صفاته .

4 –1 : المماثلة بين الصّوامت :

ومنها قول القائل : " هـــذا نبيذٌ قارص ، و لبنٌ قارص ، أي يقرص اللّسان ... ، و الصّواب (القارس) . و أخذَه قصْرا ، والصّواب (قسْرا) ، و القاف مـــن الحروف المستعلية كالصّاد ... فلعلّهم أبدلوا من السّين صادا لتوافق بالاستعلاء الذي فيها استعلاء القاف قبلها ." [1]

وفي (مِهراز) ؛ وهي البنية السّطحية في لهجة الأندلس العربية في القرن السادس الهجـــري ، للبنية العميقة (مهرا س) ، فقد أثّرت الرّاء المجهـــورة في السّين المهموسة ، فقلبتها إلـــى إحدى صفاتـــها وهي الجهر للمجانسة و التّيسير فـــي النّطق .[2]

أمّا (وقيظ) ؛ فهي البنية السّطحية فـــي إحدى اللّغات القديمة ، للبنية العميقة : وقيذ ، التي اجتمعت فيها القاف المستعلية بالذّال المستفلة ، مما يشكّل عسرا في انتقال اللّســـان من الاستعلاء مع القاف إلى الاستفال مع الذّال ، رغم وجود ذلك الفاصل بينهما و هو الصّائت الأمامي الضّيق الطّويل (الكسرة) ، وعليه تعمل اللّغة على دفعهما إلى المجانسة باستبدال الصّامت غير المجانس بما يجانس القاف و يستعلي معها وهو ' الظّاء ' ، الطّرف

---

(1) نصوص في فقه اللّغة العربية ـــ يعقوب بكر ـــ دار النّهضة العربية ـــ د.ط ـــ د.ت ـــ ج1 ـــ ص : 378- 379 .

(2) ينظر : التّطور اللّغوي : مظاهره و علله و قوانينه ـــ ص : 27 – 28 ، نقلا عن المدخل إلى تقويم اللّسان و تعليم البيان ـــ لابن هشام اللّخمي ، ص : 34 .

الآخر للزّوج التّناظري (ذ ، ظ) ، قصد توحيد الحركة النّطقية والجنوح بها إلى الخفّة واليسر .

يقول ابن جنّي في ذلك : " يقال تركته و قيذا و وقيظا ، و الوجه عندي و القياس أنْ يكون الظّاء بدلًا من الذّال ، لقوله عزّ اسمه : (**والموقوذة**)[1] بالذّال ، فالذّال أعمّ تصرّفا فلذلك قضينا بأنّها الأصل ." [2]

ويتوفّر هذا النّوع من المماثلة في كثير من اللّغات الأخرى كالفرنسية التي يؤثر ' الجيم الهشيشي ' في السّين في كلمة (Jusque) فيجعله يماثله ، يقول مالمبرج : " ينطق بعض الفرنسيين كلمة (Jusque) [بالشّين] بدلاً من السّين ، إنّنا بصدد تأثير السّاكن الأول الهشيشي أو الشّيني على الصّفيري الذي تحوّل إلى ساكن هشيشي [الشّين] ، وهذه هي حالة المماثلة المتباعدة ." [3]

أمّا في الإنجليزية ، فتنطق لاحقة (ed) تاءً [t] أو دالاً [d] تأثّرا بالصّامت مجهورا كان أو مهموسا قبلها ، فإذا كان ما قبلها مهموسا نطقت تاءً [t] كما هي الحال في (liked) التي تنطق [laikt] ، و إذا كان مجهورا نطقت دالا [d] كما هي الحال في [loved] التي تنطق [lavd] .[4]

4-2 : المماثلة بين أشباه الصّوائت و الصّوائت المجانسة لها :

الصائت الانتقالي ' الياء ' يؤثّر تأثيرا جزئيا في حركة الضمّ للضّمير الغائب المفرد المذكّر (ـهُ) أو الجمع المذكّر (هُم) أو الجمع المؤنّث (هُنّ) أو المثنّى (هُما)

---

(1) الآية 4 من المائدة .

(2) سرّ صناعة الإعراب ـ ج1 ـ ص : 228 .

(3) الصّوتيات ـ ص : 118- 119 .

(4) ينظر : الصّوتيات ـ ص : 118 .

للمجانسة تسهيلا وتيسيرا للنّطق ، لأن اللّسان يعتريه الثّقل في الانتقال من الأمام مع ' الياء ' ليعود إلى الخلف مع ' الضّمة ' ، رغم وجود ذلك الحاجز الضّعيف بينهما ، في : عليهِ ، عليهِم ، عليهِنّ ، عليهِما ، و هي البنى السّطحية للبنى العميقة : عليهُ ، عليهُم ، عليهُنّ ، عليهُما .

الصّائت الأمامي ' الكسرة ' يؤثّر في الصّائت الأمامي الطّويل ' الألف ' المنفصل عنه بصامت ، إشاعةً للانسجام و تخفيفا للنّطق . وهو ما أشار إليه القدماء بالإمالة . و الإمالة أن " أنْ تقرّب الحرف ممّا يشاكله من كسرة أو ياء " [1] بمعنى أنْ " تقرّب الفتحة من الكسرة ، و الألف من الياء ، من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه." [2] و أشهر القبائل العربية المعروفة بالإمالة : بنو تميم وأسد و قيس و عامة نجد ، و لا يميل الحجازيون إلاّ قليلا [3] و ذلك في : سِرْبَال و شِمْلاَل و عِمَاد و كِلاَب و غيرها . [4]

المماثلة الرّجعية :

وفيها يرجع التّأثير إلى الوراء على غير عادته مع المماثلة التّقدمية ، إذْ يؤثّر الصّوت الثّاني على الأوّل . " وقد لوحظ أنّ المماثلة الرّجعية هي الصّورة الأكثر وقوعا في اللّغة العربية ، حيث تسير في أمثلتها على قياس مطّرد . " [5]

---

(1) المقتضب ــ المبرّد ، محمد بن يزيد ــ تحقيق : محمد عبد الخالق عضمة ــ عالم الكتب ــ بيروت ــ د.ط ــ د.ت ــ ج3 ــ ص : 46 .

(2) القراءات و أثرها في علوم العربية ــ محمد سالم محيسن ــ مكتبة الكلّيات الأزهرية ــ د.ط ــ 1984 ــ ص : 97 .

(3) ينظر : شذا العرف في فنّ الصّرف ــ ص : 180 .

(4) ينظر : الكتاب ــ ج4 ــ ص : 117 .

(5) المنهج الصّوتي للبنية العربية ــ ص : 210 .

5 – المماثلة الكلّية الرّجعية المتّصلة :

وفيها يذوب الصّوت الأوّل في الثّاني ، حيث لا فاصل بينهما ، بأنْ ينطقا صوتاً طويلا كالثّاني . وهـــي الإدغام في عرف القدامى ، إذْ يلتقي الصّوتان المتجانســـان أو المتقاربان ، وقد أجازوه في " كلّ صوت من أصوات اللّغة العربية ، غير أنّـــه نادر بين أصوات الحلق ، لأنها ليست بأصل للإدغام ."[1]

5–1 : المماثلة بين الصّوامت :

في مثل قوله تعالى : (إنْ نَشأ نخسفْ بِهم الأرْض)[2] ، التقت فيها ' الفاء ' و' الباء ' دون فاصل بينهما ، وهـــما من مخرجين متقاربين جدّا ، ويقعان معا في نفس المجموعة ، هـــي منطقة خارج الفمّ ، التي تضمّ (ب ، م ، ف) حسب تقسيم ابراهيم أنيس و عبد الصّبور شاهين لحالات التّأثير بين الأصوات ـــ المشار إليه سابقا ـــ . و لمّا كان من تقاربهمـــا المخرجي ؛ إذ اللّسان أثناء النّطق بهما يتشكّل في الهيئة المناسبة لنطق ' الفاء ' ، ليعود تقريبا و بسرعة كبيرة إلى النّقطة نفسهـــا لنطق الصّوت الثّاني ' الباء ' ، بالإضافة إلى اختلافهمـــا في الصّفة ، إذْ الفاء مهموسة بينمـــا الباء مجهورة ، ممّا يشكّل صعوبة في النّطق و ثقلا فيـــه ، فكان لا مناص من التّماثل و الاندماج وإدغام الأولى في الثّانية و ليس العكس ، لما تتميز بـــه الباء من القوّة الإسماعية نتيجة جهرها ، ليصيرا في البنية السّطحية (نخســـ/ بّهم) . و يمكن تعليل هذا الإدغام بالقـــول " إنّ الفاء جُهر بهـــا أوّلا ، فأصبحت ذلك الصّوت الشّائع في اللّغات الأوربية ... (v) ، و مثل هذا الصّوت إذا ذهبت رخاوته بانحباس الهواء معه ليصبح انفجاريا ، أشبه الباء كلّ الشّبه ،

---

(1) الأصوات اللّغوية ـــ إبراهيم أنيس ـــ ص : 188 .

(2) الآية 9 من سبأ .

وهذا يمكن الإدغام ." [1]

وقوله تعالى: (و يغفرْ لكم ذنوبكم) [2] ، التقت في الآية 'الرّاء ' مع ' اللّام 'دون فاصل ، وهما من نفس المخرج الخامس (اللّثوي) مع التّكرير الذي في الرّاء قبل اللّام ، الأمر الذي يعرقل سريان العملية النّطقية بين المتكلّم و المستمع . ومع الاتّفاق الذي بينهما في الميوعة و الجهر ، روعِيَ إدماجهما قصد الإسراع بالحركة النّطقية و تخفيفها ، لتصبح (يغفـ/ لّكم) ، " وكلّ الذي يتطلّبه ادغام الرّاء في اللاّم هو ترك التّكرار المختصّة به الرّاء ." [3]

وتؤثر أصوات المجموعة (يرملون) على النّون المتّصلة و التّنوين قبلها ، لما بينها و بين النّون من التّقارب المخرجي و التّماثل في صفة الإجهار ، رغبةً في دفع السّلسلة الكلامية نحو الانسياب والاسترسال ، و ذلك في (منْ يعمل ، منْ رأى ، مِنْ ما ، إنْ لا ، منْ وال ، إنْ نشأ . وَ سكرانًا يمشي ، سكراناً راكب ، سكراناً ماكث ، سكراناً لابس ، سكراناً وافد ، سكراناً ناعس) في البنية العميقة التي تتطوّر في البنية السّطحية إلى (مـ/ يّعمل ، مـ/ رّأى ، مـ/ مّا ، إ / لاّ ، مـ/ وّال ، إ / نّشأ ، وَسكرانَ / يّمشي ، سكرانَ / رّاكب ، سكران / مّاكث ، سكرانَ / لاّبس ، سكرانَ / وّافد ، سكرانَ / نّاعس) .

ويكثر في اللّغة العربية ، بل يشيع شيوعا فاحشا تأثر ' اللّام ' بما يجاورها مباشرة في السّياق الكلامي من أصوات مُقدّم الفمّ (ذ / ث / ظ / د / ت / ط / ز / س / ص / ض / ن / ر / ش) ، وهي أصوات مجاورة لها في المخرج .[4]

---

(1) الأصوات اللّغوية ـــ إبراهيم أنيس ـــ ص :201 .

(2) الآية 12 من الصّفّ .

(3) الأصوات اللّغوية ـــ إبراهيم أنيس ـــ ص : 200 .

(4) ينظر : نفسه ـــ ص : 202 .

ولعلّ مردّ ذلك كلّه إلـــى كثرة شيوع اللّام في اللّغة ، حيث تصل إلـــى حوالي 127 مـــرّة في كلّ ألف من الصّوامت ، مما يعرّضهـــا أكثر من غيرها للتّطور اللّغوي و الميل إلى الفناء في تلك الصّوامت .[1]

ومنه قوله تعالى (بَلْ تُؤثِرون الحياةَ الدُّنيا)[2] ؛ اجتمعت فيهـــا اللّام في (بَلْ) وهي جانبية مجهورة ، مع التّاء الشّديدة المهموسة في (تؤثرون) ، بالإضافة إلى قرب مخرجيهمـــا ؛ و أثناء نطقهمـــا يحصل أن يتذبذب الوتران الصّوتيان أولا مع نطق اللّام ، ويرتفع طرف اللّسان للاتّصال باللّثة ليمنع مرور الهواء الذي يتسرّب مـــن حافتي اللّسان أو إحداهمـــا ، ثم يفتح المجرى الهوائـــي بعد خروج ' اللّام ' ليتوقف الوتران عن الذبذبة ثمّ غلـــق المجرى الهوائـــي ثانية في نفس الموضع تقريبا للتّاء و بسرعة فائقة ، مما يشكّل ثقلا بيّنا على الجهاز الصّوتي أثناء إخراجهمـــا . و منه يحاول النّاطق العربـــي أن يتجنّب كلّ هذا الإشكال عن طريق نطق ' اللّام ' و ' التّاء ' مهموسين معا وانفجاريين معا في نقطة واحدة وبفتح واحد للمجرى الهوائي ، وهو ما تسمح به اللّغة ـــ مع إطالة مدّة الحبس ـــ تيسيرا للنّطق ، على الشّكل : (بـــ / تّـــؤثرون) .

ومنه أيضا قوله تعالـــى : (و مِنَ البَقرِ و الغَنمِ حرّمْنا عليْهم شحومَهُمـــا إلاّ مـــا حملتْ ظُهورُهُما)[3] . فهنـــا جهرنا أوّلا ' بالتّاء ' فصارت ' دالا ' ، لأن الصّوت الثّانـــي أي ' الظّاء ' صوت مجهور ، ثمّ سُمح للهواء معهـــا بالمرور فصارت رخوة ، ثمّ انتقل مخرجها إلـــى الأصوات المسمّاة باللّثوية ، وبهذا صارت ' ذالا ' ، ولا فرق بين الذّال و الظّاء إلاّ في أن الصّوت الثّاني من أصوات الإطباق . فالإدغام هنا له ما يبرره من النّاحية الصّوتية .

---

(1) الأصوات اللّغوية ـــ ابراهيم أنيس ـــ ص : 204 .

(2) الآية 16 من الأعلى .

(3) الآية 147 من الأنعام .

يذكر فندريس مثالا عن المماثلة حيث يقول : " فالمجموعة (tn) (تن) مجموعة غير ثابتة ، فلمّا كانت نقطة الحركة النّطقية للتّاء هي عين نقطة النّون في تركيب مثل (أتْنا : atna) ، كان على اللّسان أن يتحرك بين الفتحتين ... ، ينخفض الحجاب منذ بدء المجموعة ، وتستمر الأوتار الصّوتية في الذّبذبة دون توقّف بين الفتحتين فتكون النّتيجة (أنّا anna) . "[1]

ثمّ يبين الفرق بين الصّوت المضعّف من المنفرد قائلا : " (أتّا : atta) تتميز عن المجموعة (أتا : ata) ، يوجد مسافة بين الحبس و الانفجار يمكن للأذن أن تقدّرها ، ومن الخطأ أن يقال أنّه يوجد ساكنان في (أتّا : atta) و ساكن واحد في (أتا : ata) ، فالعناصر المحصورة بين الحركتين في كلتا المجموعتين واحدة ، عنصر انحباسي يتبعه عنصر انفجاري ، ولكن بينما نجد العنصر الإنحباسي في (ata) يتبعه العنصر الانفجاري مباشرة ، نجده في (atta) ينفصل عنه بإمساك يطيل مدى الإغلاق . "[2]

ويضرب دانيال جونز مثالا عن المماثلة الكلّية الرّجعية المتّصلة التي يسمّيها ' المماثلة السّياقية ' ، بتطوّر السين [s] إلى شين [sh] عندما يتجاور اللّفظان (horse و Shoe) على الشّكل (Horse-shoe).[3]

أما مالمبرج ففي حديثه عن المماثلة يبيّن أنّها سبيل من السّبل التي يلجأ إليها المتكلّم لتجنّب الحركات النّطقية التي يمكن الاستغناء عنها كلّية لإحداث الأثر الأكوستيكي المرجوّ و تحقيق أكبر أثر بأقل جهد ممكن .[4]

---

(1) اللّغة ــ ص : 92 .

(2) نفسه ــ ص : 49 .

(3) ينظر : An outline of English phonitics / p : 218 .

(4) ينظر : الصّوتيات ــ ص : 111- 112 .

ويقدّم أمثلة عنها من الإنجليزية ، فيذكر المركّب (At-ten) ، الذي لا تُنطق فيـــه التّاء الأولى نطقا كاملا ، أي بغلق متبوع بانفجار ، لما في ذلك من إجهـــاد زائد عن الحاجة ، بمعنى فتح مجرى الهواء أوّلا ، ثمّ غلقه ثانية للتّاء [t] الثّانية المشابـــهة للتّاء الأولى في مخرجها وطريقة نطقهـــا . و بدلا من ذلك يحافظ المتكلم علـــى نقطة الالتقاء الأولـــى ممّا يترتّب عنه غلق طويـــل الأمد ، و بهذه الكيفية يتمكّن من الاستغناء علـــى حركتين نطقيتين: الفتح للتّاء الأولى [t] ، و الغلق للتّاء الثّانيـــة . أمّا فـــي حالة نطق (At-down) ، فعل النّاطق الشّيء نفسه في تحقيقه لصوتيْ [t,d] مـــع فـــارق واحد ، هو أنـــّه في منتصف حركة الغلق يبدأ الوتران الصوتيان في التّذبذب و الحركة ، لأنّ صوّت [d] مجهور ، وبالتّالي تقتضـــي هذه العملية غلقاً واحداً فحسب ، بينمـــا يحدث عكس ذلك في لفظ (Bad taste) ، عندما يسبق الصّامت المجهور الصّامت المهموس . [1] بينمـــا " فـــي عنقود ... مكوّن من ساكنيـــن أنفيين (In may) ، (Come now) ، يبقى الممرّ المؤدي إلى الأنف مفتوحا طوال الوقت الذي يتطلّبه نطق السّاكنين الأنفيين ، وبذا يستغني المتكلّم عن مجهود القيام بآداء حركة واحدة مرتين على التّوالي ، وهو مجهود لا جدوى منه في هذه الحالة ." [2]

ويرد في هذا الصّدد ما ذكره الصّرفيون فيما يخصّ قلب الواو و الياء (تاءً) إذا كانت إحداهما واقعة (فاءً) للافتعال وإدغامـــها في تائـــه ، وكذلك ما تصرّف منـــه نحو : اتـــّعد و اتـــّصل و اتـــّسر ؛ من الوعد والوصل و اليسر . [3]

---

(1) ينظر : الصّوتيات ـــ ص : 112 .

(2) نفسه ـــ ص : 112 .

(3) ينظر : شرح الملّوكي في التّصريف ـــ ص : 292 إلى 294 . وشذا العرف في فنّ الصّرف ـــ ص :164.

يقول عبد الصّبور شاهين في تفسير هذا الإبدال وردّ تعليل القدامى له : إنّ تفسيرهم " هذه الأمثلة بقلب الواو أو الياء تاءً ، تأثّرا بتاء الافتعال ، والواقع أنّه تفسير بعيد عن الصّحة مطلقا ، لبعد ما بين التّاء من جانب و الواو و الياء من جانب آخر ؛ فالتّاء : صوت لثوي انفجاري مهموس (من الصّوامت) ، و الياء صوت غاري انطلاقي مجهور انتقالي (نصف حركة) ، و الواو صوت طبقي انطلاقي مجهور و انتقالي (نصف حركة) ، وكل ما حدث هو استثقال الواو و الياء في هذا الموقع ، دفع النّاطق العربي إلى اسقاطها ، وتعويض موقعها بتكرار التّاء ، فالتّاء هنا مجرد وسيلة لتحقيق الإيقاع اللّازم لصفة الافتعال لا غير ." [1]

وفي رأينا أن سبب الإبدال و المماثلة يكمان في الانطلاقية التي تميّز الواو و الياء ، و الوقفية و الحبسية التي تميّز التّاء ، وهما صفتان متناقضتان تشكّلان مجتمعتين ثقلا واضحا ، الأمر الذي لا يستسيغه الذّوق العربي ، فعمد إلى المجانسة بينهما و بين التّاء دفعاً بالعملية التّلفظية نحو البساطة و اليسر ، باستبدالهما بما يمثّل وقف الهواء و حبسه وهو التّاء ، فكانت الصّيغة الصّرفية في البنية العميقة (اوْتعد و اوْتصل و ايْتَسَر) ، وبعد الإبدال أصبحت (اتّعد و اتّصل و اتّسر) التي وصلت إلى البنية السّطحية بعد الإدغام على الشّكل (اِتّعد و اِتّصل و اِتّسر) .[2]

5-2 : المماثلة بين أشباه الصّوائت والصّوائت المجانسة لها :

يحدث أن تتأثّر أشباه الصّوائت و الصّوائت المجانسة لها أثناء تجاور بعضها ببعض ، وتفصيلها كالآتي :

---

(1) المنهج الصّوتي للبنية العربية ــ ص : 210 .

(2) ينظر : علم الصّرف الصّوتي ــ ص : 430 .

5-2-1 : تأثير ' الياء ' في ' الواو ' المتّصلة قبلها :

في (طَوَيْتُ طيّا وَ شَويتُ شَيّاً) ؛ وهما البنيتان السّطحيتان للبنيتين العميقتين (طويت طوْيا وَ شويت شوْيا) ، والذي دعا الصّرفيين إلى إبدال الواو ياءً هو الثّقل الذي أحسّوا به من التّجاور المباشر للصّائت الانتقالي الخلفي (الواو) مع الصّائت الانتقالي الأمامي (الياء) ، و الانتقال السّريع للّسان من حالة تصعّد مؤخّرته واستعلائها مع الواو ، إلى حالة تصعّد مقدّمه مع الياء ، حتّى يدفعوا بالعملية النّطقية نحو الحركة والسّرعة ، فقالوا : طويت طيْيا وَ شويْتُ شيْيا ، لتصبح في البنية السّطحية عن طريق إخفاء [1] " السّاكن الأوّل في الثّاني حتى ينبوا اللّسان عنهما نبوة واحدة ، وتزول الوقفة التي كانت تكون في الأوّل لو لم تدغمه في الآخر " [2] (طويت طيّا وشويت شيّا) .

5-2-2 : تأثير الصّائت في الصّائت الإنتقالي المتّصل الموجود قبله :

يقول صلاح الدّين صلاح حسنين : " تؤثّر الكسرة في الواو السّابقة لها ، فتتحوّل إلى ياء ، ثم تتحوّل الكسرة و الياء إلى كسرة طويلة ستنتقل إلى السّاكن قبلها نحو : مُصْوِب و مُصيب ، مُضْوِف و مُضِيف ، مُقْوِل و مُقيل ."[3] ففي : مُصْوِب و مُضْوِف و مُقْوِل ؛ اجتمعت الواو مع الكسرة ، بمعنى الصّائت الخلفي الانتقالي مع الصّائت الأمامي ، وفي صعود مؤخّرة اللّسان نحو أقصى الحنك مع الواو ، ثمّ صعود طرفه الآخر الذي هو مُقدّمه نحو الغار في نفس اللّحظة تقريبا ، فيه ثقل ومشقّة . في هذه الحالة تؤثّر الكسرة في الواو غير المجانسة فتقلبها إلى ' ياء ' مجانسة (مُصْيِب و مُضْيِف و مُقْيِل) ، و الإشكال لا يزال قائما باجتماع الجنسين الياء والكسرة

---

(1) الخصائص ــ ج1 ــ ص : 49 .

(2) نفسه ــ ج2 ــ ص : 140 .

(3) المدخل إلى علم الأصوات ــ ص : 79 .

ـــ الصّائت الانتقالـــي الضيّق مع الصائت الضيّق ـــ و مـــا يعتري العملية النّطقية عند اجتماعهمـــا من ثقل محسوس ملموس ، كونهما تخرجان من مكان واحد تقريبا ، لذلك لجأت اللّغة إلى تحوير هذه الصّيغ الصّرفية و إعادة التّوازن و الانسجام بين عناصرها عن طريق قانون المخالفة الصّوتية ـــ الذي سنفصل فيه القول في موضعـــه إن شاء الله ـــ الذي يقضي بتنحية الصّائت (الكسرة) الذي بعد الياء في جميعها ، فتصبح (مُصَيْب ، مُضَيْف و مُقَيْل) ، و لما كانت الياء ـــ وهـــي شبه صائت ـــ ساكنة و قبلها الصّامت ساكنا مثلها و بدون حركة ، وهو ما لا تقبله اللّغة ، تحوّلت إلـــى حركة طويلة لـــه ، والنّاطق يحققها كذلك بكلّ بساطة و دون شعور منه .

6 – المماثلة الكلّية الرّجعية المنفصلة :

وفيها يؤثّرالصّوت الثّاني في الصّوت الأوّل المنفصل عنه .

6–1 : المماثلة بين الصّوامت :

تحدث في مثل قوله تعالى : (**يعذّبُ مَنْ يَشاء**) [1] التي تصير إلى : (يعذِ / مّن يشاء) ، و كذلك في قولــه : (**وقَوْلِهمْ على مَرْيَمَ بُهْتــانا**) [2] التي تصير إلى (وقولهم على مريــ/ بّهتانا) [3]. ففي البنية العميقة (**يعذّبُ مَنْ يَشاء**) ، اجتمعت الباء مع الميم " ولا فرق بين الباء و الميم إلا في أنّ الهواء مع الأولــى يتسرب من الأنف ومع الثّانية من الفمّ ، و شكل الشّفتين مع كلّ منهما واحد ." [4] فقد اجتمع جنسان ، وعلى هذا فالأمر لا يخلــو من التّعثر في العملية النّطقيــة ، لذلك لجأت اللّغة من خلال القوانين الصّوتية التي تمثلها هنا المماثلة ، إلى تدبّر الأمر قصد الإسراع بالنّطق و التّعجيل به عن طريق إسقاط الحاجز الذي يفصــل الصّامتين وهــو (الضمّة) كمرحلة أولــى (يعذبْ مَن يشاء) ، ثم إدغام الصّامتين كمرحلة ثانية (يعذّ / مّــن يشاء) . ونكون بذلك قد وفّرنا جهــد عمليتين ووضعين فــي حركة واحدة ، ينطلق الهواء معهــا من الرّئتين ، ثم ينخفض الحنك الرّخو ليسمــح للهواء بالمرور ، فتلتقــي الشّفتان و يهتزّ الوتران الصّوتيان ، ثم تنفصل الشّفتان بعد ذلك إحداهما عن الأخرى .

---

(1) الآية 42 من المائدة .

(2) الآية 155 من النّساء .

(3) المدخل إلى علم الأصوات ــ ص : 80 .

(4) الأصوات اللّغوية ــ إبراهيم أنيس ــ ص : 186 .

وفي البنية العميقة ' يخسفُ بِهم ' ؛ فقد اجتمعتْ فيها الفاء مع الباء ، و الأمـــر الذي يثقل اجتماعهما كونهمـــا من مخرجين متقاربين جدًّا بالإضافة إلى اختلافهمـــا في الهمس والجهر و الرّخاوة و الشّدّة ، رغم وجـــود ذلك العازل الذي يفصلهما و الذي هو الضمّة .

فالمتكلّم يفتح جهازه الصّوتي مرّتين متتاليتين للنّطق بهما ، بما فيهما من التّناقض الحاصـــل بين احتكاك الأولـــى و انفجارية الثّانية ، و العضو الأساســـي للاحتكاك و الانفجار في كليهما واحد ، هو الشّفة السّفلـــى ، بالإضافة إلى اختلافهمـــا في الهمس و الجهر ، و ما يشكّله انبساط المزمار مع المهموس وانقباضه مع المجهور من ثقل زائد ، فكان لازما مع هذا الوضع المتأزّم من إجراء جراحة تسهّل اجتماعهما بإسقاط الفاصل (الضمّة) ثم إدغام أولاهما في ثانيهما ، فتصبح (يخســـ/ بـــّهم) .

وفي البنية العميقة (**وقَوْلِهـــه عَلى مَرْيَمَ بُهْتانا**) ؛ اجتمعت الميم الأنفية مع الباء الشّفوية الانفجارية ، و هما من نفس المخرج ، فبعد التّخلص من الصّائت الفاصل بينهما وهـــو الفتحة ، صارت (**و قَوْلِهِ عَلى مَرْيَمْ بُهْتانا**) ، و هنا يكفـــي غلق التّجويف الأنفي لتتحوّل الميم الأنفية إلى صامت انفجاري[1] بضمّ الشّفتين ثم انفراجهما تحقيقا لهما مجتمعتين ، إلى البنية السّطحية (مريـــ/ بّـــهتانا) .

وتحدث المماثلة الكلية الرّجعية مع مضـــارع صيغتي : تفعّـــلَ و تفاعَلَ ، حيث تؤثّر فاء الفعل إذا كانت صامتا من صوامت الصّفيـــر أو الأسنان علـــى التّاء المنفصلة قبلها ، ويطّرد الحال على صيغة الماضي ، في (يَتَذكّـــرُ و يَتَزَكّـــى و يَتَدارأ و يَتَثاقلُ) و غيرها ، التي وردت في القرآن على صورة التّأثر في أكثر من موضع ؛ قال تعالى :

---

(1) ينظر : الصّوتيات ـــ ص : 113 .

(وما يَذَّكَّرُ إلاّ أولوا الألباب) [1] ، وقال : (وما يُدريك لعلّه يَزَّكّى أو يَذَّكَّرُ فتنفعُه الذِّكْرى) [2] ، و قال أيضا : (وإذا قتلتم نفساً فادّارأتم فيها) [3] ، و قال كذلك : (اثّاقلتم إلى الأرض) [4] .

و الماضي من : يذّكر ← اِذّكر ، ومن : يزّكى ← اِزّكى ،
ومن : يدّارأ ← اِدّارأ ، ومن : يثّاقل ← اِثّاقَلَ .[5]

والمماثلة بالشّكل الذي رأيناه هي التي سمّاها القدماء بالإدغام الكبير ، لأنّه يحتاج إلى عمليتين ؛ عمليـة التّخلص من الصّائت الفاصل ، ثم عمليـة المزج بين الصّوتين ، وصولا بالنّطق إلى غايته المرجوّة اقتصادا في الطّاقة العضلية المبذولـة .ولابدّ من الإشارة إلى قلّة صور المماثلة بأنواعهـا مع أصوات الإطبـاق و أصوات الحلق مع مجانسهـا أو مقاربها ، ومردّ الأمر في ذلك إلى قلّة شيوع هذه الأصوات لذلك لم يحتاجوا إلى تسهيلها بالمماثلة .[6]

6-2 : المماثلة بين الصّوائت :

وفيها يؤثّر الصّائت المتقدّم في الصّائت المتأخّر المنفصل عنه .

يمثّل لهـا رمضان عبد التّواب بكلمة : (emza) في الحبشية التي تقابـل في العربيـة (مُنْذُ) ، وهي في الحبشية كلمة مركبة من (za) بمعنى : مِنْ ، و (em) بمعنى اسم

---

(1) الآية 268 من البقرة .

(2) الآية 3- 4 من عبس .

(3) الآية 71 من البقرة .

(4) الآية 38 من التّوبة .

(5) ينظر : التّطور اللّغوي : مظاهره وعلله و قوانينه ـــ ص : 29 .

(6) ينظر : الأصوات اللّغوية ـــ إبراهيم أنيس ـــ ص : 189 وَ 256 .

الموصول ' ذو ' [1] . وقـــد " حُكي عن بنـــي سليم : ما رأيتـــه مِنْذُ سِتّ ، بكسر الميم " [2] ، مـــمّا يدلّ أن أصل (مُنْذُ) العربية (مِنْ + ذو) فأثّرت ضمة الذّال في كسرة الميم قبلها رغم و جود الفاصل (الصّامت السّاكن) ، فقلبتها إلى مماثل لها وهو الضّمّة لتصير (مُنْذُ) .[3]

ويذكر سيبويه في كتابه ضربا من المماثلة نحتاجها هنا ، يتعلق الأمر بحركة الألف الموصولة ، يقول : " واعلم أن الألف الموصولة فيما ذكرنا في الابتداء مكسورة أبدا ، إلاّ أن يكـــون الحرف الثّالث مضموما فتضمّهـــا ، وذلك قولك : اُقتـــلْ ، اُستُضعف ، اُحتُقر ، اُحرُنجم ، و ذلك أنّك قرّبت الألف من المضموم ، إذْ لم يكن بينهما إلاّ ساكن ، فكرهوا كسرة بعدها ضمّة ، وأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد ." [4]

والظّاهر في لهجة الأندلس في القرن الرّابع الهجري أنّ حركة العين أثّرت في حركة الميم المنفصلة قبلها فقلبتهـــا إلى مماثله لها في صيغتي اسم الآلة : مِفْعَل و مِفْعَلَة ، و هذا مطّرد عندهم تمام الإطّراد ، فـــي نحو : (مَقوَد ومَسَنّ و مَنجَل ومَنبَر) فـــي (مِقوَد و مِسنّ ومِنجَل و مِنبَر) كما قالوا (مَخدّة و مَصيْدة و مَرْوحة و مَكْنَسَة) في (مِخَدّة ومِصيْدة و مِرْوَحة و مِكْنَسَة) [5].

---

(1) ينظر : التّطور اللّغوي : مظاهره وعلله و قوانينه ـــ ص : 32 ـــ 33 .

(2) لسان العرب ـــ دار صادر ـــ بيروت ـــ د.ط ـــ د.ت ـــ المجلّد3 ـــ (منذ) ـــ ص : 510 .

(3) ينظر : التّطور اللّغوي : مظاهره وعلله و قوانينه ـــ ص : 32 ـــ 33 .

(4) الكتاب ـــ ج4 ـــ ص : 146 .

(5) ينظر : التّطور اللّغوي : مظاهره و علله و قوانينه ـــ ص : 33 .

7- المماثلة الجزئية الرّجعية المتصّلة :

وفيها يؤثّر الصّوت الثّاني في الأوّل فيحوّله إلى مجانس له ، يشبهه في أحد صفاته [1].

7- 1 : المماثلة بين الصّوامت :

لقد أجرى العرب آلية نطقهم على حركة واحدة عندما قرّبوا صوتا من صوت ، ففي الكلمات التّالية جانسوا بين الدّال المجهورة و الصّاد المهموسة المتّصلة قبلها ؛ فقالوا في " مصدر : مزدر ، وفي التّصدير : التّزدير ، و عليه قول العرب في مثل : (لم يُحرَم من فُزْد له) ، أصله فُصدَ له ... لمّا سكنت الصّاد ضعفت به ، و جاورت الصّاد — وهي مهموسة — الدّال — وهي مجهورة — قُرِّبتْ منها بأن أُشِمّتْ شيئا من لفظ الزّاي المقاربة للدّال بالجهر ." [2]

فاشراب الصّاد المهموسة شيئا من جهر الزّاي تحت تأثير الدّال المجهورة " هو في الواقع اقتصاد في عملية الانقباض و الانبساط في المزمار الذي يفتح مع المهموس و يضيق مع المجهور ليتذبذب الوتران الصّوتيان " [3] و بالتّالي تنحو العملية نحوا واحدا .كما قالوا في ' سقر ' التي اجتمعت فيها القاف المستعلية مع السّين المستفلة ، و في هاتين الحركتين المتناقضتين عسر و صعوبة أثناء النّطق ، فرأوا أن يوحّدوا بينهما في مستوى واحد ، مستوى التّجانس في الاستعلاء ليكون عملهم من وجه واحد و يدفعوا بالعملية النّطقية نحو الاسترخاء و الاستراحة عندما قالوا ' صقر ' .[4]

---

(1) ينظر : علم اللّغة — ص : 299 .

(2) ينظر : المدخل إلى علم الأصوات — ص : 80 .

(3) الخصائص — ج2 — 144 . و ينظر : المنصف — ج2 — ص : 325 .

(4) ينظر : الخصائص — ج2 — ص : 143 .

7– 2 : المماثلة بين أشباه الصّوائت والصّوائت المجانسة لها :

إذا حدث تجاور ثقيل بين الصّوائت و أشباهها تدخّلت المماثلة لأشاعة الانسجام بينها كما في النّسب إلـــى ' بَصْرَة ' نقول ' بَصْري ' فقد أثّر الصّائت الانتقالي ' الياء ' رجعيا في الفتحة غير المجانسة قبله ليحوّلها إلىصائت مجانس هو الكسرة .[1]

ويؤثّر صائتا الفتح والضمّ سواء أكانا قصيرين أم طويلين في ' الرّاء ' تأثيرا رجعيا متّصلا فيفخماها كما هي الحال في : رَحيم ، رَاشد ، رُكام ، روح ، بينما يؤثّر صائت الكسرة سواء كـــان قصيرا أو طويلا تأثير عكسيا فيها بأن يدفعهـــا إلى التّرقيق كمـــا في : رِزْق و رِيف .[2]

8– المماثلة الجزئية الرّجعية المنفصلة :

وفيها يؤثّر الصّوت الثّاني في الصّوت السّابق المنفصل فيحوّله إلى صوت مجانس .

8–1: المماثلة بين الصّوامت :

يذكر إبن جنّي جملة من الأمثلة أثّرت فيها ' القاف ' المستعلية في السّين المستفلة قبلها والمنفصلة عنها ، سواء أكان الفاصل صوتا واحدا أو أكثر من صوت ، كما في : سَبَقْتَ و صَبَقْتَ و في سُقْتُ و صُقْتُ و فـــي سَمْلق و صَمْلق و في سُوَيْق و صُوَيْق ، فقرّبوا السّين من القاف بأن قلبوهـــا إلى أقرب الحروف إلى القاف من مخرج السّـــين ، و هـــو نظيرها المستعلـــي ' الصّاد ' .[3] و يقـــول فـــي موضع آخـــر " و إذا كـــان بعد السّيـــن ' غين ' أو ' خاء ' أو ' قاف ' أو ' طاء ' جاز قلبها ' صاداً ' ، و ذلك قولـــه تعالـــى : (كَأَنَّهَا يُسَاقُونَ) [4] و يصاقـــون ، و (عَسْرٌ سَقَرَ) [5] وصقر ،

---

(1) ينظر : علم الصّرف الصّوتي ــ ص : 441 .

(2) ينظر : النّشر في القراءات العشر ــ ج2 ــ ص : 69 وَ 75.

(3) ينظر : سرّ صناعة الإعراب ــ ج1 ــ ص : 186 .

(4) الآية 6 من الأنفال .

(5) الآية 48 من القمر .

و (سَخَّرَ الشّمس و القمر) [1] وصخّر ، و (أَسْبَغَ عليْكُم نِعَمَه) [2] وأصبغ و (سِراط الذين أنعمت عليهم) [3] وصراط ." [4] و قد جانسوا بين الطّاء و السّين قبلها بأنْ قلبوا السّين صادا في بعض قراءات القرآن ، في مثل قوله تعالى : (أمْ هم المُسيْطِرون) [5] ، و (لستَ عليْهم بمُسيْطِر) [6] ، بإخلاص الصّاد . [7] وقد فسّر ابن مجاهد هذا القلب و كتابة ' مُسَيْطِر ' بالصّاد بدل السّين في المصحف بقوله : " إنّما كتبت بالصّاد ليقرّبوها من الطّاء ، لأنّ الطّاء لها تصعّد في الحنك ، وهي مطبقة و السّين مهموسة ، وهي من حروف الصّفير ، فثقل عليهم أن يعمل اللّسان منخفضا ومستعليا في كلمة واحدة ، فقلبوا السّين إلى الصّاد ، لأنها مؤاخية للطّاء في الإطباق ، ومناسبة للسّين في الصّفير ." [8]

وقد أثّرت كذلك الخاء المستعلية على السّين المنفتحة قبلها فحولتها إلى نظيرها المفخّم و هو الصّاد في : سخّر و صخّر . [9] و الذي دعاهم إلى ذلك هروبهم ــ كما تقدم ــ من الحركتين المتناقضتين القريبتين من بعضهما ؛ نزول اللّسان مستفلا نحو قاع الفمّ مع الصّوامت المنفتحة ، ثم صعوده مطبقا نحو أقصى الحنك مع الصّوامت

---

(1) الآية 2 من الرّعد .

(2) الآية 19 من لقمان .

(3) الآية 6 من الفاتحة .

(4) سرّ صناعة الإعراب ــ ج1 ــ ص : 211- 212 .

(5) الآية 35 من الطّور .

(6) الآية 22 من الغاشية .

(7) ينظر : النّشر في القراءات العشر ــ ج2 ــ ص : 282 – 283 .

(8) السّبعة في القراءات ــ ص : 49 .

(9) ينظر : المدخل إلى علم الأصوات ــ ص : 81 .

المستعلية ، وجنوحهم إلى العمل من وجه واحد و اختصار العمليتين المكلّفتين في حركة واحدة اقتصادا في الجهد العضلي المبذول وتحقيقا للأثر الأكوستيكي المنتظر .

أما سِرْداب و سَعْتر : فهمـــا البنيتان العميقتان للبنيتين السّطحيتيـــن زِرْداب و زَعْتر ، والذي حدث هو تأثير الرّاء المجهورة في السّين المهموسة المنفصلة قبلها ، لأنها لا تناسبها في هذا التّموضع ولا تنسجم معهـــا ، فتستبدلـــها بما هو أهلٌ للانسجام وهـــو (الزّاي) المجهورة [1]، تجاوزاً لذلك الاضطـــراب الذي قد ينتج من الحركة المزدوجـــة لفتحة المزمار التي تتّسع مع المهموس و تضيق مع المجهور، و ما عدا ذلك فالأمـــر واحد بين السّين و الزّاي ، فبالإضافة إلى الصّفير الذي فيهما و الاحتكاك ، فهما ينطلقان من نقطة واحدة ؛ ما بين طرف اللّسان و الأسنان العليا و اللّثة .

وقد أثّرت الميم فـــي الثّاء المنفصلة قبلها في كلمة (ثوم) ، فقلبتها إلـــى ' فاء ' فصارت ' فوم ' ، " والثّاء و الفاء تتفقان في الهمس و ... الرّخاوة و مخرجاهما متقاربين ... وقد حكمنا على الثّوم بأنّها الأصل لأنّ النّظائر السّامية تؤيّد ذلك ، ففي الأكاديـــة (Šûmu) : شومُ ، و في العبرية (Šûm) : شوم ، و في الأرمية (tûmā) : توما ، و الثّاء في العربيـــة تكون شينا في الأكادية و العبريـــة ، و تاءً فـــي الأراميـــة ، ولعـــلّ (الفاء) فـــي (الفوم) أبدلت مـــن (الثّاء) فـــي (ثوم) مماثلـــة للميـــم في الآخر " [2] ، لتُلقى مهمه التّلفظ بالكلمة (فوم) علـــى عاتق الشّفتين فقط ، بأنْ تقترب الشّفة السّفلى بالأسنان العليا مع الفاء ثمّ تلتقي بعد ذلك بالشّفة العليا مع الميم ، و الأمـــر لا يخلو ـــ كما هو واضح ـــ من كونه عمليةً غايةً فـــي الاقتصاد و ادّخـــار الجهد .

---

(1) ينظر : التّطور اللّغوي : مظاهره و علله و قوانينه ـــ ص : 35 .

(2) نصوص في فقه اللّغة العربية ـــ ج2 ـــ ص : 240 .

8-2 : المماثلة بين الصّوائت :

وتظهر المماثلة بين الصّوائت فيما يسمّى بالإمالة ، " و الإمالة تقريب صوتي بين الصّوائت ، و معناه الإتّجاه بالصّائت قصيرا كان أم طويلا إلى حالة إرتكازية وسطى بين اثنين من قريناته ." (1)

تؤثّر الكسرة في الفتحة الطّويلة المنفصلة قبلها فتميلها نحو الكسرة " فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور ، و ذلك قولك : عَابِد ... مسَاجِد ومفَاتِيح ... ، وإنّما أمالوها للكسرة التي بعدها ، أرادوا أن يقرّبوها منها كما قرّبوا في الإدغام الصّاد من الزّاي ." (2)

كما تؤثّر الكسرة في الضمّة الطّويلة المنفصلة قبلها ، فتنحوا بها نحوها بأن تشمّها رائحة الكسرة الطّويلة ، يقول إبن جني " و أما الضمّة المشوبة بالكسرة فنحو قولك في الإمالة : مررت بمذعُورٍ و هذا ابن بُورٍ ، نحوْتَ بضمّة العين و الباء نحو كسرة الرّاء ، فأشممتها شيئا من الكسرة ." (3) فقد أشار ابن جنّي من خلال قوله هذا إلى قاعدة هامّة تستعذبها اللّغة ، عندما تسير نحو الاطّراد و جمع حركات النّطق في نفس المستوى ، جنوحاً إلى الاقتصاد في الجهد العضلي المبذول أثناء عملية الإنتاج الصّوتي ، فالانتقال من الضمّ إلى الكسر يعتريه الثّقل، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنّ الضمّ يتطلّب ارتفاع مؤخّرة اللّسان دون جزئه الأمامي ، بينما يستدعي الكسر ارتفاع مُقدّمه مع بقاء مؤخرته في حالة سكون ، وبغية التّقريب بين الحركتين تمّ إشراب الضمّ قليلا من الكسر ، إلى توحيد النّطق بهما ليعمل اللّسان في إتجاه واحد ، هو تفعيل جزئه الأمامي فحسب . (4)

---

(1) الأصوات اللّغوية ــ عبد القادر عبد الجليل ــ ص : 306-307 .

(2) الكتاب ــ ج4 ــ ص : 117 .

(3) سرّ صناعة الإعراب ــ ج1 ــ ص : 53 .

(4) ينظر : ظواهر التّشكيل الصّوتي عند النّحاة و اللّغويين العرب حتى نهاية القرن الثّالث الهجري ــ ص : 182 .

وقد تؤثّر الكسرة في الفتحة المنفصلة قبلها فتقلبها كسرة خالصة إشاعة للانسجام ودفعا بالعملية النّطقية إلى السّرعة في الإنجاز ، من خلال " توحيد اتّجاه حركات النّطق والعمل على تشغيـــل جزء بعينه من اللّسان " [1] ، فالبنية العميقة للكلمات (شَعير ــ بَعير ــ رَغيف) تتحوّل بتأثيرالكسرة لتصبح (شِعير ، بِعير، رِغيف) .[2]

9- المماثلة المزدوجة :

وفيها " يحاط صوت بصوتين إذ يؤدّي ذلك إلى ممارسة الضّغط عليـــه ، فيحوّلانه إلى طبيعتهما البنائية ." [3] وتقع فـــي نظر مالمبرج حين يضاهي الصّوت صوتين محيطين بـــه ، ممثلا لذلك بصيرورة الحركة أنفية بسبب وقوعهـــا بين ساكنين أنفيين .[4] ويرى أحمد مختار عمر أنّـــه متى وقع " السّاكن المهموس بين علّتين ، فحينئذ يوجـــد ميل نحو إجهاره ، و أوضح مثال علـــى ذلك (الهاء) التي تجهر فـــي هذا الموضع ." [5] فكلمة (بُهِتَ) وقعت فيها ' الهاء ' بين صائتين (الضمّة قبلهـــا و الكسرة بعدهـــا) و طبيعة الصّوائت الجهر ، و منه فقد مارستا عليها ضغطا مزدوجا (تقدّميا و رجعيا) فحوّلاها إلى طبيعتهما مجهورة . " و فكرة تأثير الحركة السّابقـــة و اللّاحقة على المهموس فكرة صحيحة من النّاحيـــة الصّوتية ، فقد اكتشف العالم الدانماركي فرنر (verner) أنّ بعض المهموس قد يصبح مجهورا إذا وقع بين حركتين ." [6]

---

(1) ظواهر التّشكيل الصّوتي عند النّحاة و اللّغويين العرب حتى نهاية القرن الثّالث الهجري ــ ص : 237 .

(2) ينظر : الخصائص ــ ج2 ــ ص : 143 .

(3) علم الصّرف الصّوتي ــ ص : 435 .

(4) ينظر : الصّوتيات ــ ص : 118 .

(5) دراسة الصّوت اللّغوي ــ ص : 327- 328 .

(6) أثر القراءات في الأصوات و النّحو العربي ــ ص : 280 .

ولعلّ السرّ الذي جعل أحمد مختار يخصّ ' الهاء ' مثالا لفكرته ، ربّمـــا لطبيعتها المخرجية التي تشبه إلـــى حدّ بعيد الطّبيعة المخرجية للصّوائت ، من حيث أنّ إحداث ' الهاء ' يكون نتيجة الاحتكـــاك الحاصل من تقارب الوتريـــن الصّوتيين و تضييق الفرجة بينهمـــا ، ومن حيث أنّ الصّوائت ليس لهـــا غير الوترين لتعتمد علـــى اهتزازهمـــا في تصويتها . فكـــان لازما وقتئذ على الجهاز الصّوتي أن يختزل الحركات الثّلاث ـــ اهتزاز الوتريـــن مع الضمّة ، ثم توقّفهما مع ' الهاء ' ، ليهتزا ثانية مع الكسرة ـــ فـــي حركة واحدة هي حالة الجهر في كلّها اقتصادا في الطّاقة المبذولة .

يقول ابن جنّي : " و من ذلك قولهم (سِتّ) ، إنّما أصلها (سِدْس) ، فقرّبوا السّين من الدّال بأن قلبوهـــا ' تاءً ' فصارت (سِدْت) ، فهذا تقريب لغير إدغام ، ثمّ إنّهم فيمـــا بعد أبدلوا الدّال ' تاء ' لقربهـــا منها إرادة للإدغـــام الآن ، فقالوا (سِتّ) فالتّغيير الأوّل للتّقريب من غير إدغام ، و التّغيير الثّاني مقصود به الإدغام ." [1]

بينما نقول إنّ البنية السّطحية ' سِتّ ' ، لمّا كانت بنيتها العميقة ' سِدْس ' ، فقد وقعت الدّال المجهـــورة بين مهموسين ، رغم وجود الفاصل الذي يفصلها عن المهموس الأوّل ' السّين ' الذي هو (الكسرة) ، و منـــه فالنّطق قد يتعرقل نتيجة التّوتر الحاصـــل من الانتقال بين المهموس إلى المجهور، و العودة مرّة أخرى إلى المهموس .

وفرارا من هذه الحركة غير المرغوبة ، مورِس ضغط مزدوج من المهموسين على المجهور، بأنْ حوّلاه إلـــى طبيعتهمـــا البنائية، فأصبح ' تاء ' و هي نظيره المهمـــوس ' سْتْس ' ، فاجتمعت الأشباه ، وفي ذلك ثقل أشدّ ، فكان لا مناص من الهروب إلـــى الإدغام عن طريق إبدال السّين موضع الضّعف ، الواقعة آخر المقطع ' تاءً ' ثانية ، و هـــما من نفس

---

(1) الخصائص ـــ ج2 ـــ ص : 143 .

المخرج ، و لا فرق بينهما غير انسداد الهواء مع التّاء و السّماح له بالمرور مع السّين ، ثم إدخال بعضهما في بعض ليصبحا في البنية السّطحية على الشّكل : ستّ .

أمّـا تصغيـر : أسْود علـى (فُعَيْلِل) ← أُسَيْوِد ، وَ جدْول على (فُعيلل) ← جُدَيْوِل ، و عجوز على (فُعَيْلل) ← عُجَيْوِز .

يمكننا معرفة هذه الصّيغ الصّرفية و تطوّرهـا إلى ما هي عليه في بناهـا السّطحية ، من خلال المماثلة المزدوجـة كذلك ؛ نقول باختصار شديد : اجتمعت الأشبـاه ، وكان لاجتماعها ثقل ، الأمر الذي عجّل تدخّل القانون الصّوتي المسمّى بالمماثلة المزدوجة إذْ مورس على الواو ــ غير المرغوب فيهـا ، أساس الثّقل ، كونها خلفية بين أماميين ــ ضغطا مزدوجا من الياء و الكسرة ، فحوّلاها إلى مثيل لهما هو ' الياء ' ، فأصبحت البنى (أُسَيِّيد ، و جُدَيِّيل ، و عُجَيِّيز) ، إلى البنية السّطحية عن طريق المماثلة الكلّية الرّجعية المتّصلة (أُسَيِّد ، و جُدَيِّل ، و عُجَيِّز) .

وذكروا في : مُحْتاج أنّ أصله (مُحْتَوَج) ، وفي : باع : بَيَعَ ، و في : قام : قَوَمَ .

و يذهب ابن جنّي في تفسير هـذا التّطور الذي اعترى البنية العميقة قائلا : " فلمّـا اجتمعت ثلاثة أشياء متجانسة ، وهي الفتحة والواو أو الياء ، وحركـة الواو أو الياء ، كُرِه اجتمـاع ثلاثة أشياء متقاربة ، فهربوا من الواو و الياء إلى لفظ تُؤْمن فيه الحركة وهو الألف ، و سوّغهـا أيضا انفتاح ما قبلهـا . فهذه هي العلّة في قلب الواو و الياء في نحو : قام و باع . "[1]

ونفسّرها من خلال المماثلة المزدوجة فنقول في (مُحْتَوَج ، وقَوَمَ ، و بَيَعَ) ، أنّ الصّائت الانتقالي الضّيق ' الواو أو الياء ' تموْقع فيهـا بين صائتين متّسعين ' الفتحتان ' ،

---

(1) سرّ صناعة الإعراب ــ ج1 ــ ص : 22 .

فمارستا عليه ضغطا مزدوجا ، فأفنتاه و تحوّلتا مجتمعتين إلـــى صائت مماثل طويل هـــو ' الألف ' لتصير (مُحْتاج ، وقام ، وباع) دفعا بالنّطق نحوالسّرعة و العجلة واليسر .
و إذا بحثنا في التّشكيل المقطعي و جدناه يفي بالغرض :

مُحْتَوَج ⟵ ص م ص + ص م + ~~ص~~ م ص .
مُحْتاج ⟵ ص م ص + ص م م ص .
بَيَـعَ ⟵ ص م + ~~ص~~ م + ص م .
بـــاع ⟵ ص م م + ص م .
قَـوَمَ ⟵ ص م + ~~ص~~ م + ص م .
قـــام ⟵ ص م م + ص م .

فالفرق بين كلّ صيغتين واضح ، هـــو سقوط ' الياء ' أو ' الواو ' فيهـــا .
ويقول هنري فلاش في مثل ذلك : " و الذي نريد أن نقوله هو : أنّ الواو حين وقعت بين صوتين في (خَوَنَة) ، اختفت وأصبحت (خانة) ، فاجتمع صوتان قصيران تحوّلا إلى مصوّت طويل ، و الحالة هنـــا بسيطة ، لأن المصوّتين القصيرين كانا من جنـــس واحد . " (1)

---

(1) العربية الفصحى : نحو بناء لغوي جديد ـــ ص : 41 .

10-المماثلة المخرجية :

وفيها يتقدّم مخرج الصّوت إلى الأمام أو يتأخّر إلـــى الخلف أو يتّخذ مجراه من الأعلى عبر التّجويف الأنفي ، أو من الأسفل عبر التّجويف الفموي ، نتيجـــة ظروف صوتية معيّنة ، الغرض منها إشاعة الانسجام وخلق التّلاؤم بين الأصوات تيسيراً للنّطق واقتصاداً في الجهد العضلي .

فالصّامت " قد يتقدم أو يتأخّر مخرجه تبعا لنوع العلّة المجاورة ، فالـ (k) في (Car) أكثر خلفية ، وهي في (key) أكثر أمامية ، و ربما تقدّم مخرجها من الطّبق إلى منطقة وسطى بين الغار و الطّبق ." (1)

إذن الكاف الطّبقية التـــي تخرج من أقصـــى الحنك المتبوعة بالكسرة في كلمة (كِتاب) تتقدّم بمخرجها قليلا في إتّجاه وسط الحنك (الغار) .

" وتفسير ذلك أمر هيّن ، فقد عرفنا أنّ الكاف تحدث من التحام أقصى اللّسان بالطّبق ، وإنّ الكسرة تحدث من ارتفاع مُقدّم اللّسان نحو الغار . و معنى ذلك أنّ على اللّسان إذا أراد النّطق بهذيـــن الصّوتين متتابعين أن يقوم بحركتين متتاليتين ، إحداهمـــا بأقصاه ، و الأخرى بمقدّمه ، ولاشكّ أنّ هذه العملية فيها جهد و مشقّة ، تجعل اللّسان ـــ على الرّغم من مرونته الزائدة ـــ يحاول التّخلّص منها بتقريب محبس الكاف من منطقة الغار ليجعل جزءا واحدا منه يقوم بإحداث الصّوتين المتتابعين ." (2)

---

(1) دراسة الصّوت اللّغوي ـــ ص : 328 .

(2) الوجيز في فقه اللّغة ـــ ص : 271 .

ومن صور المماثلة المخرجية مـــا يحدث للنّون عند مجاورتها للباء ، فهـــي تؤثّر بمخرجها في مخرج النّون السّاكنة قبلها ، فتتقدّم به إلى الأمام ، بأن تجرّه من اللّثة فتجعله من الشّفتين حيث مخرج الباء ، و بذلك تتحوّل ' النّون ' إلى ' ميم ' كمـــا الحـــال في ' انْبعث ' في قوله تعالى : (إذ انْبَعَثَ أشقاها) [1] ، في البنية العميقة ، التي تصبـــح في بنيتها السّطحية ' امْبعث ' ، وهوما اصطلح علماء التّجويد علـــى تسميته بالقلب [2] ، و يكون " عند حرف واحد وهو ' الباء ' ، فإنّ النّون السّاكنة و التّنوين يقلبان عندهـــا ميما خالصة مـــن غير إدغام ، وذلك نحـــو (انبئهم) [3] ، و (من بَعْد) [4] ، و (صمٌّ بُكْمٌ) [5] . " [6]

فقد اجتمع ههنـــا صوتان متنافران استثقـــل اللّسان النّطق بهما ، هـــما النّون و الباء ، فـــ ' النّون ' تخرج من اللّثة ، بينمـــا ' الباء ' تنطق من بين الشّفتين ، الأمر الذي صعّب على النّاطقين تحقيق هذين الصّوتين متتاليين ، لما يفصل بينهما من اختلاف في مخرجيهما المتباينين . و طريـــق العربية نحو استبعادهـــا لهذا الثّقل ، يتمّ باستدعاء ظاهـــرة المماثلة المخرجية ، وهـــي واحدة من الظّواهر التّشكيلية التي يلجأ إليهـــا النّظام اللّغوي لفضّ المشاكل التي تصيب عناقيـــده ، فقد عمدت اللّغة ههنـــا إلى قلب ' النّون ' ميماً لمـــا يجمعهـــا من قرابة بالصّوتين المتنافرين ، فهـــي بمثابة حلقة وصلٍ بينهما ، إذْ تشترك مع

---

(1) الآية 12 من الشّمس .

(2) ينظر : الوجيز في فقه اللّغة ـــ ص : 271 .

(3) الآية 32 من البقرة .

(4) الآية 26 من البقرة .

(5) الآية 17 من البقرة .

(6) النّشر في القراءات العشر ـــ ج2 ـــ ص : 21 .

' الباء ' في المخرج ، و تلتقي و ' النّون ' في مجموعة من الصّفات ؛ كالجهر و السّيولة ، وعلى هذا الحال تكون العربية قد خرجت من هذا البناء المستعصي ، إلى بناء أكثر خفّة و سلاسة ، إلى مُلتقى التّجانس والانسجام بين الصّوتين المتنافرين .[1] " فالذي تمّ ههنا هو إدناء الصّوت من الصّوت وتقريبه منه من حيث المخرج ، تسهيلا للنّطـــق و تخفيفا لـــه ، لأنّ محاولة الإبقاء على النّون السّاكنة فـــي النّطق عند مجاورتها للميم أمر يصعب تحقيقه لما يتطلّبه من الكلفة والمشاق ." [2]

وقد انتقل المخرج كذلك فـــي المماثلة الكلّية الرّجعية بين ' التّاء ' و ' الثّاء ' في قولـــه تعالى : (أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ) [3] ، فقد سُمِح فيهـــا أوّلا للهواء بالمرور مع التّاء لتصبح رخوة كالثّاء ، ثم انتقل مخرجها متّجها نحو مخرج الأصوات اللّثوية ثانيا ، و بهذا تماثل الصّوتان كلّ المماثلة فحدث الإدغام .[4] كمـــا انتقل المخرج كذلك عند إدغام ' التّاء ' في ' الجيم ' في قوله تعالى : (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم) [5]، فقد جُهِر أوّلا بالتّاء فتطوّرت إلى ' دال ' ، ثم انتقل مخرج الدّال من أصول الأسنان العليا إلى وسط الحنك ، و بهذا التقـــى بالجيم من حيث كونـــها أقرب أصوات وسط الحنك إلى الدّال في الصّفة ، وبهذا تمّ الإدغام .[4]

" وفي تركيب مثل (ت + ضمة) أو (د + ضمة) تأخذ الشّفتان وضـــع العلّة منذ البداية ، ممّا يؤدّي إلى جذب كلٍّ من التّاء والدّال إلى الوراء بقدر ما يسمح نطقهما

---

(1) ينظر : ظواهر التّشكيل الصّوتي عند النّحاة و اللّغويين العرب حتى نهاية القرن الثّالث الهجري ـــ ص:21 .

(2) نفسه ـــ ص : 22 .

(3) الآية 95 من هود .

(4) ينظر : الأصوات اللّغوية ـــ إبراهيم أنيس ـــ ص : 191 .

(5) الآية 55 من النّساء .

ويكون النّاتج ' تاءً ' و ' دالًا ' شفويتين طبقيتين ." [1]

وقد يتحوّل الصّوت من مجراه في التّجويف الفموي لينتقل إلى مجرى آخـــر في التّجويف الأنفي ، وأكثر ما يحدث ذلك إذا تبع صوت انفجاري آخر أنفي ، فإنّ الانفجار يأخذ طريقه من الأنف كما في كلمة ' بتْـــنا ' التي صعد فيها مخرج ' التّاء ' إلى فوق ، عبر التّجويف الأنفي .[2]

وقد يحدث العكـــس ، بأن ينزل الصّوت من مجراه فـــي التّجويف الأنفـــي إلى التّجويف الفموي كما الحال مع الصّامت الأنفي ' النّون ' إذا تُلِيَ بصامت احتكاكي ، يظهر ذلك بشكل واضح في صيغة ' انْفَعَلَ ' حين الإدغام .

ففي : اِنْظَلَمَ تقول ←——— اِظّلَمَ ، فمنـــذ البداية يتحوّل النّون الخيشومـــي إلى التّجويف الفموي بعد ما سُدّ أمامه المنفذ الأنفي .

وكل هذا الانتقال المخرجي والتّقارب فيه ، ماهو في الواقع إلاّ ضرب من أضرب التّيسير في سريان العملية التّلفظية ومسلكا من مسالك الاقتصاد في الجهد العضوي المبذول .

---

(1) دراسة الصّوت اللّغوي ـــ ص : 328 .

(2) ينظر : نفسه ـــ ص : 327 .

القلب المكاني

تعدّ ظاهرة القلب المكاني ظاهرة قديمة فـــي اللّغات السّامية واللّغات اللّاتينية علـــى حدّ سواء ، ولعلّ قانون الاقتصاد في الجهد و السّرعة في النّطق خير من يفسّر وجودها فيها . والقلب هو " تغيير مواقع الحروف داخل الكلمة " [1] أو هو " تبادل مكاني يحدث بين الأصوات في السّلسلة الكلامية ، وهو ظاهرة صرفية لا تخرج عن دائرة التّقدم و التّأخير في الحدث الصّوتي . " [2]

وهو في منظور عاطف مذكور" ظاهرة صوتية تعني تبادل صوتين لمكانيهما بأنْ يحلّ أحدهما محلّ الآخر ، أو هي تغيير موضع الجذور مع الأحتفاظ بالمعنى الأصلي ، مثل : يَئِسَ وَ أيِسَ ، شاكي السّلاح وَ شائك ، جَذَبَ وَ جَبَذَ ، اضْمَحَلَّ وَ امْضَحلَّ ، قَلْقَلَ وَلَقْلَقَ ... ويمكن عزْو هذه الظّاهرة أيضا إلى الرّغبة في السّهولة والتّيسير في النّطق . " [3]

ويرجع أنيس شيوع الظّاهرة إلى الخطأ في النّطق نتيجـــة تدافع الحروف على اللّسان من أجل السّرعة في الكلام ، التي وجدت لها مرتعاً خصبا بين القبائل العربية البدوية . [4]

و السّرعة في الكلام تستحضر دون شكٍّ السّهولة في إخراج الأصوات .

ومن خلال الأمثلة التي استحضرناها ، يمكن تفسير القلب المكاني فيها كالآتي :

---

(1) أسس علم اللّغة ــ ص : 149 .

(2) الأصوات اللّغوية ــ عبد القادر عبد الجليل ــ ص : 302 .

(3) علم اللّغة بين التّراث و المعاصرة ــ ص : 177- 178 .

(4) ينظر : الأصوات اللّغوية ــ عبد القادر عبد الجليل ــ ص : 302 .

ففي (جَذَبَ وجَبَذَ) ؛ على أنّ الأولى هـــي الأصل ؛ لمّا كانت الجيم والذّال قريبتان بعضهما من البعض في المخرج ، إذْ يفصل بينهمـــا مخرج واحد فقط ، ممّا يعتري نطقهما متجاوريـــن الثّقل ، فأريد التّخفيـــف عن طريق الفصل بينهمـــا بتقديم 'الباء ' الشّفوية إلى مكان ' الذّال ' و حلول ' الذّال ' مكانها .[1]

وفي (يَئِسَ و أَيِسَ) ؛ على أنّ الأولى هي الأصل ، و سبب التّبديل الموقعي في أصوات الثّانية يعود إلى صعوبة النّطق بالهمزة ، لذلك قُدّمت فأصبحت فاءً للكلمة ، من جهة أنّ الصّوت العسير عند التّلفظ يكون أخفّ في أوّل الكلام منه في وسطـــه ، حيث تكون الآلة المصوّتة قد استراحت قبله و استعدّتْ لإنتاجه .[2]

أما (اِكْفَهَرّ و اكْرَهَفّ) ؛ على أن الأولى هـــي الأصل ، فلعلّ القلب المكاني الذي خصّ ' الرّاء ' و ' الفاء ' بأن حلّتْ إحداهـــما محلّ الأخرى ، يعود إلى الإجهاد الذي تلاقيـــه الآلة المصوّتة من خلال النّفس المستمر الذي يتطلّبـــه النّطق بثلاثة أصوات مهموسة متتالية هـــي (الكاف والفاء والهاء) ، فأُريد قطع هذا المدّ الصّوتي المسترسل بواسطة الرّاء المتوسّطة اقتصادا في الطّاقة وتخفيفا على النّطق .[1]

وفي (ناءَ الميّ هي من النّأي) ؛ فالقلب المكانـــي فيها مردّه إلـــى الجنوح نحو السّهولة و التّيسير لا غير ، فتأخير الهمزة بعد فتحه طويلة يسهّل نطقهـــا ، لأن الجهاز الصّوتي يرتاح بإطالة هذا لصّائت الذي في آخره يتمّ إخراج الهمزة .[2]

وفي (شائِك وشاكي) ؛ علـــى أنّ الأولى هي الأصـــل ، فقد تبادلت الهمزة والكاف المكان فصير إلى (شاكئ) ، ولمّا وقعت الهمزة بعد كسرة أثّرتْ فيهـــا فقلبتها إلى صوت مماثل عن طريق المماثلة الكلّية التّقدمية المتّصلة ، هي كسرة مماثلة ، لتكـــوّن مـــع الأولى صائتـــا طويلا هو الياء في البنية السّطحية (شاكي) .[2]

---

(1) ينظر : الوجيز في فقه اللّغة ـــ ص : 274 .

(2) ينظر : علم اللّغة بين التّراث والمعاصرة ـــ ص : 277 .

وفي (واحد وحادي) [1] ؛ على أنّ الأولى هي الأصل ، ولمّا كان صوت 'الحاء' أثقل المجموعة نطقا ، روعي تقديمه فيكون بالتّالي فاءً للكلمة ، وتأخير الواو إلى نهاية الكلمة ، فقيل (حادوْ) ؛ فتجاورت الكسرة المتقدّمة مع الواو المتأخّرة ، وفي تجاورهما ثقل ، فحدث أنْ غيّرت المماثلة الواو بما يتناسب و الكسرة في هذ الموضع و هو ياء . والهدف من كلّ هذا مراعاة النّطق بالصّوائت متّحدة الطّابع .

و لكن كيف نتبين أنّ الكلمة حصل فيها قلب مكاني ؟

يحدّد الصّرفيون أربع قواعد لتبيُّن ذلك :

– العودة بالكلمة إلى مصدرها ، فالفعل (ناءَ : يناء) من الكلمات التي حدث فيها قلب مكاني ، لأن مصدره (نَأْي) ، فقد تقدّمت اللّام (الياء) عن موقعها ، و تأخرت العين (الهمزة) .

– العودة إلى الكلمات التي اشتقّت منها نفس مادة الكلمة محلّ الاستفسار، فالكلمة (قِسِيّ) مفردها (قَوْس) على وزن (فَعْل) ، والجمع منها (قُووس) على زنة (فُعول) ، يقول سيبويه : " إنّما هي في الأصل (القووس) ، فقلبوا كما قلبوا أيْنُقٌ ." [2] فقد تبادلت لام الكلمة (السّين) وعين الكلمة (الواو) المكان ، بأنْ حلّت كلّ منهما محلّ الأخرى لثقل الموضع ؛ على الشّكل (قُسُوو) ، و لثقل اجتماع الأمثال كذلك في هذه الصّيغة الجديدة (الصّائت الطّويل الضّمة + الصّائت الانتقالي الواو) ، خالفت ' الواو ' إلى ' ياء ' لتصبح الصّيغة (قُسوي) ، والثّقل لا يزال قائما لاجتماع الأشباه و عدم التّجانس بين الصّائت الطّويل الضّمة و الصّائت الانتقالي ' الياء ' ، فتدخلت المماثلة لإيجاد التّجانس ، بأن قَلبت الضّمة الطّويلة إلى ما يجانس الياء ، وهي

---

(1) ينظر : علم اللّغة بين التّراث والمعاصرة ــ ص : 277 .

(2) الكتاب ــ ج3 ــ ص : 467 . وينظر : علم الصّرف الصّوتي ــ ص : 64 .

الصّائت الانتقالـــي 'الياء' لتصبح الصّيغة (قُسَيْيٌ) ، ثم بعد الإدغـــام تصير الصّيغـــة (قُسَيّ) ، ليتحوّل صائت الفتح إلى كسرة مماثلة للياء (قُسِيّ) ، فاستثقلوا في الصّيغة الجديدة الحركة المتناقضة والانتقال فيها من الخلف مع الضّمة إلـــى الأمام مع الكسرة ، وهذه وظيفة المماثله الرّجعية المنفصلة بين الصّوائت التي تحوّل الضّمة إلى كسرة مماثلـــة لكسرة السّين ، ثم إلى البنية السّطحية (قِسِيّ) .[1]

– أنْ يحافظ الصّائت الانتقالي في الكلمة على صحته فلا يعتلّ ، لكون أنّ الكلمة حدث بين أصواتـــها قلب مكاني فلا يجب أن تقبل تغييرا آخـــر . فالفعل (أَيِسَ) ضَمّ 'ياء' متحرّكة ، و على ذلك يجب أن تصير إلى فتحة طويلة (ألف) على الشّكل : آس ، حسب عُرف القاعدة الصّرفية : متى تحرّك حرف العلّة وانفتح ما قبله ، قُلب ألفا . أمّا وقد بقي الفعل على حاله ففي ذلك إشارة إلى تغيير الياء لموقعها [2] ، و إذا رجعنا إلـــى المصدر (اليَأْس) تبين لنا أنّ أصل الفعل : يَئِسَ ، فقد غيّرت فاؤه وعينه بين موقعيهما .

– أن تُمنع الكلمة من الصّرف دون سبب ظاهر من ذلك (أشْياء) التـــي تحمل إشارة واحدة لحالتي النّصب و الجرّ و هي ' الفتحة ' .

والمتعارف عليه أنّ وزن (أفْعال) ليس ممنوعا من الصّرف ، فكلمة (أسْماء) تلحقها العلامات الثّلاث رفعاً و نصباً و جرًّا ، تقـــول : أسماءٌ و أسماءً و أسماءٍ . إذنْ كلمـــة (أشْياء) ليستْ على وزن (أفْعال) ، وإنّما هي علي وزن أخر يمنعهـــا من الصّرف . فالمفرد منها (شَيْء) ، على ذلك فالجمع يجب أن يكون ' شَيْئاء ' على زنة ' فَعْلاء ' ، فقد حوى الوزن ألف التّأنيث الممدودة التي تمنع من الصّرف .

---

(1) ينظر : التّطبيق الصّرفي ـــ ص : 14- 15 .

(2) نفسه ـــ ص : 15- 16 .

النّحت

النّحت جنس من الاختصار كما يقول ابن فارس [1]، الذي يعدّ أكثر القدمـــاء اعترافا به وبحثا في جوانبه . والنّحت في الاصطلاح أنْ تأخذ كلمتين أو أكثر ، فتصوغ من مجموع حروفهـــا كلمة مفردة تحمل نفس الدّلالة التـــي كانت تدلّ عليه الكلمات نفسها.[2] " و لمّا كان هذا النّزع يشبه النّحت من الخشب و الحجارة سمّي نحتاً و هو في الحقيقة من قبيل الاشتقاق ، و ليس اشتقاقـــا بالفعل ، لأنّ الاشتقاق أن تنزع كلمة من كلمة ، أمّا النّحت أن تنزع كلمة من الكلمتين أو أكثر ، وتسمّى تلك الكلمة المنزوعة منحوتة ." [2] و تكثر الكلمات المنحوتـــة والمركّبة من كلمتين أو أكثر فـــي الفارسية والأرمينية وفي عدّة لغات أوروبية كالإنجليزية والألمانية ، بينمـــا تقلّ في العربية عن ذلك كثيرا [3]،ربّما لكون العربية تملك وسيلة أهمّ من ذلك تعتمد عليها في توسّعها اللّغوي ، وهي ' الاشتقاق ' الذي قد يُفتقد في مثل تلك اللّغات .

ولقد حدّد القدماء شروطا على أساسها تقبل الكلمة المنحوتة في اللّغة العربية ، و لعلّ أهمّهـــا :

- السّهولة اللّفظية ، فلا يجب أن يكـــون اللّفظ المنحوت نابيا عن الجرس الموسيقـــي والسّليقة العربية .

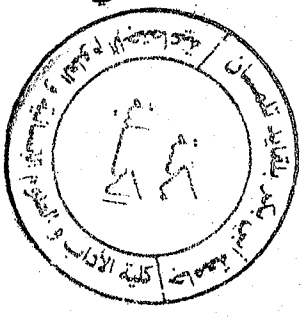

---

(1) ينظر : الصّاحبي في فقه اللّغة و مسائلها و سنن العرب في كلامها ـــ ص : 209 .

(2) ينظر : عوامل التّطور اللّغوي ـــ عبد الرحمان حمّاد ـــ دار الأندلس ـــ بيروت ـــ ط1 ـــ1983 ـــ ص : 34 .

(3) نفسه ـــ ص : 35 .

- وضوح الاختزال ، أي أن يكون اللّفظ المنحوت ساريا على وزن من أوزان الكلمة العربيـــة .[1]

و الملاحظ في الكلمـــات المنحوتة أن معظمها جاء رباعيا ، و مذهب ابن فارس في أنّ الأشياء الزّائدة علي ثلاثة أحرف ، أكثرها منحوت ، يقرّب هذه الرّؤية .[2]

و قد استعملت العربية في سلوكها هذا أربعة أنواعٍ من النّحت :

1- النّحت الفعلي :

وفيه يصاغ علي البناء العربي فعل منحوت من كلمتين أو جملة يدلّ على حكاية القول أو حدوث المضمون .[3] و من أمثلته : حَيْعَلَ المؤذّن ، قال : حيّ على الصلاة . حيّ على الفلاح . طَلْبَقَ ، قـــال : أطال الله بقاءك . دَمْعَزَ : قـــال : أدام الله عزك .[4] وَمَشْكَنَ : قال : ما شاء كـــان ، هيْلَلَ : قـــال : لا اله إلاّ الله [5] ، وَحَوْقَلَ : قـــال : لاحول ولاقوة إلاّبالله ، بَسْمَلَ : قـــال : بسم الله الرحمان الرحيم ، حَسْبَلَ : قـــال : سبحان الله .[6]

---

(1) ينظر : تهذيب المقدّمة اللّغوية للعلايلي ـــ ص : 168- 169 .

وينظر : المولّد في العربية ـــ حلمي خليل ـــ دار النّهضة العربية ـــ بيروت ـــ ط2 ـــ 1985 ـــ ص : 99 .

(2) ينظر : الصّاحبي في فقه اللّغة و مسائلها وسنن العرب في كلامها ـــ ص : 210 .

(3) ينظر : المولّد في العربية ـــ ص : 90 .

(4) غرائب اللّغة ـــ روفائيل نخلة اليسوعي ـــ المكتبة الكاثوليكية ـــ بيروت ـــ ط2 ـــ 1960 ـــ ص: 51 .

(5) ينظر : من أسرار اللّغة ـــ ص : 73 .

(6) ينظر : سرّ صناعة الإعراب ـــ ج1 ـــ ص : 234 .

2- النّحت الأسمي :

يتشكّل الاسم المنحوت في العربية من كلمتين أو جملة ، مثل قولهـــم : جُلْمود ؛ من : جَمَدَ وجَلَد ، حَبْقَر ؛ للبرد ، من : حبّ قرّ .[1] ' ويْلُمّ ' من : ويلٌ لأمه .

3- النّحت الوصفي :

وفيه تبنى في العربية من الكلمتين أو الجملة ، كلمةً تدلّ على صفة ، مثل قولهم : ' الصّلدم ' ؛ صفة منحوتة من : الصّلْد والصّدْم ، وَصَهْصَلِق ؛ صفة منحوتة من : صَهَلَ وَ صَلِق ، و ضَبْطَر ، صفة منحوتة من : ضَبَطَ و ضَبَر وغيرها .[2]

4- النّحت النّسبي :

وفيه يصاغ من كلمتين أو أكثر اسما يدلّ على نسبة صاحبه إلى قبيلته أو بلـــده ، كقولهم : عَبْشَمي أي منسوب إلى (عبد شمس) ، بَعْبَدْر ؛ أي منسوب إلى (بني عبد الدّار) ، بَلْحَرث ؛ أي منسوب إلـــى (بني الحارث) ، حَضْرَمي ؛ أي منسوب إلـــى (حَضْرَ موْت) ، حَنْفَلي ؛ أي منسوب إلى مذهب أبي حنيفة .[3]

و إنّما دعاهم إلـــى هذا النّوع من الاختصار والاختزال جنوحهم العامّ إلى تلمُّس أيسر السُّبل وبذل أدنى مجهود في تواصلهم بعضهم مع بعض للوصول إلـــى أسمى الغايـــات والأهداف .

---

(1) ينظر : فصول في فقه اللّغة ـــ رمضان عبد التّواب ـــ مكتبة الخانجي ـــ القاهرة ـــ ط3 ـــ 1987 ـــ ص : 302 .

(2) ينظر : المولد في اللّغة ـــ ص : 91 .

(3) ينظر : من أسرار اللّغة ـــ ص : 74 .

وَ ينظر : غرائب اللّغة ـــ ص : 51 .

الفصل الثّاني

- **الاقتصاد المورفونولوجي في الظّواهر التّخالفية .**

المخالفة

من التّطورات التي تعرض أحيانا للأصوات اللّغوية في تجاور بعضها مع بعض ، ما يمكن أن يسمّى بالمخالفة . [1] و المخالفة قانون آخر من قوانين الاقتصاد اللّساني ، وهي : " نزعة صوتين متشابهين إلى الاختلاف ." [2] يذهب فندريس في تحديدها إلى أنّها تقع على الضّد من ظاهرة المماثلة ؛ " و ذلك بأنْ لايتّجه الصّوتان المتماسان إلى التّوافق بين عناصرهما بزيادة المشابهة التي بينهما ، تلك المشابهة التي تصل أحيانا إلى التّماثل التّام ... ، بل على العكس من ذلك بأن يستغلاّما بينهما من فروق فيعمّقاها إلى حدّ ألاّ يبقى بينهما شيئ مشترك ، ثمّ يزيلا كل نقطة للتّشابه ، و تلك هي عملية المفارقة التي هي ضدّ التّوافق ." [3]

ويسير رمضان عبد التّواب في النّحو الذي سار عليه فندريس في تعريف المخالفة عندما رأى أنّها قانون صوتي آخر يتّجه عكس متّجه قانون المماثلة ، فإذا كانت المماثلة تبحث على التّقريب بين أصوات المتنافرة ، فإنّ قانون المخالفة يعمد إلى صوتين متماثلين تماما في كلمة من الكلمات ، فيدفع أحدهما إلى المغايرة إلى أحد الصّوائت الطّويلة أو أحد الصّوتين الانتقاليين ، أو إلى أحد تلك الأصوات المتوسّطة ، التي هي (اللاّم ، و الميم ، و النّون ، و الرّاء) . [4]

---

(1) الأصوات اللّغوية ــ إبراهيم أنيس ــ ص : 211 .

(2) المدخل إلى علم الأصوات ــ ص : 81 .

(3) اللّغة ــ ص : 91 .

(4) ينظر : التّطور اللّغوي : مظاهره و علله و قوانينه ــ ص : 37 . و ينظر : ابن جنّي ــ المنصف ــ ج2 ــ ص : 209 .

أمّا أحمد مختار عمر فإنّه يرتكز على الجانب الدّلالي في بيان أهميتها ، عندما قال : " وإنْ كانت ضرورية لتحقيق التّوازن و تقليل فاعليه عامل المماثلـــة ، فالعلماء ينظرون إلى المماثلة علـــى أنّها قوة سالبة في حياة اللّغة ، لأنّهـــا ترمي إلى تخفيض الخلافات بين الفونيمات كلمّا أمكن ، و يتخيّلون أنّه لو تُرِك العنان للمماثلة لتعمل بحرّية فربّما إنتهت إلى إلغاء التّفريق بين الفونيمـــات ، ذلك التّفريق الذي لا غنى عنه للتّفاهم . ولذا فإنّ عامل المخالفة يستخدم لإعادة الخلافات التي لا غنى عنها ، ولإبراز الفونيمات في صورة أكثر إستقلاليـــة ." [1] و يؤكّد اللّغـــوي (بروسنهان brosnahan) أنّ معظم اللّغات تستعمل الأصـــوات الأنفية و التّردّدية كاللاّم و الميم و النّون و الرّاء ، لتحقيـــق ظاهـــرة المخالفة ، التي يمكن في ضوئها تفسير الكثير من الظّواهر التّشكيلية التي تطفـــو على سطوح بعض الوحدات اللّغوية . [2]

ولعلّ السرّ في ذلك أنّ الصّوتين المتماثلين يتطلّبان مجهوداً عضلياً زائداً عن الحاجة حين النّطق بهما في الكلمة الواحدة ، ومن أجل التّقليل من هذا المجهود العضلي إلى الحدّ الأدنى ، يخالف أحد الصّوتين إلى مجموعة الأصوات التي سهلت في الكلام ، كأصـــوات اللّين و أشباهها .[3] " وهذا التّطور هو إحدى نتائج نظرية السّهولة التي نادى بها الكثير من المحدثين ، و التي تشير إلى أنّ الإنسان في نقطة يميـــل إلى تلمس الأصوات السّهلـــة التي لا تحتاج إلى جهد عضلـــي ، فيبدّل مع الأيام بالأصوات الصّعبة في لغته نظائرهـــا السّهلـــة ." [3]

---

(1) دراسة الصّوت اللّغوي ــ ص : 330 .

(2) ينظر : علم الصّرف الصّوتي ــ ص : 291 .

(3) ينظر : الأصوات اللّغوية ــ إبراهيم أنيس ــ ص : 212 .

وقد عالج القدماء هذه الظّاهرة كسيبويه و ابن جنّي و الفرّاء و و غيرهم في ضوء تسميات متنوّعة أخرى ، فجاء عن سيبويه : ' كراهية التّضعيف ' ، وعن ابن جنّي : ' ثقل تكرار الأمثال ' ، و عن الفرّاء : ' إبدال الشّديد ' و عن غيرهم ' كراهة إجتماع حركتين من جنس واحد ' ، و ' كراهه إجتماع الأمثال ' و غيرها .[1] يقول ابن جني : " اعلم أنّ هذا موضع يدفع ظاهره إلى أن يُعرف غوره و حقيقته ، وذلك أنّه أمر بعض الأمثال إذْ ثقُلت لتكريرها ، فيترك الحرف إلى ما هو أثقل منه ليختلف اللّفظان ، فيخفّا على اللّسان ، وذلك نحو : ' الحيوان ' ، ألا ترى أنّـه عند الجماعة ــ إلاّ أبا عثمان ــ من مضاعف الياء ، و أنّ أصله (حَيَيان) ، فلمّـا ثقل ، عدلوا عن الياء إلى الواو وهذا مع إحاطة العلم بأنّ الواو أثقل من الياء ، لكنّه لمّا إختلف الحرفان ساغ ذلك ." [2]

والحقيقة التي ذكرناهـا لا تختلف قليلا أو كثيرا عمّـا جاء في قول ابن جني ، فالأغلب الأعمّ في الصّوت المخالف أن يُعوّض بأخفّ و أسهل نطقاً ، ولا أخفّ ولا أسهل من أصوات مجموعـة المخالفة و المغايرة (الياء ، الواو ، الميم ، النّون ، اللاّم ، الرّاء) ، رغم أنّ اللّفظ الذي مثّل به إبن جنّي يصدق كامل الصّدق لتدليل مذهبه .

---

(1) ينظر : الخصائص ــ ج3 ــ ص : 18 ، وينظر : المدخل إلى علم الأصوات ــ ص : 81 .
و ينظر : مجلة التّراث العربي ــ الصّوتيات عند ابن جني ــ العدد : 15 و 16 ــ ص : 262 .

(2) الخصائص ــ ج3 ــ ص : 18 .

أنواعهـــا :

كما الحال بالنّسبة إلى المماثلة ، تتنوع المخالفة إلى تقدّمية و رجعية . والتّقدمية أنْ يوجد صوتـــان متشابهان ثم يؤثّر أوّلهما فـــي ثانيهما فيكون الثّانـــي هو المخالف ، والرّجعية تأتي على العكس من ذلك ، إذ يؤثّر ثاني الصّوتين فـــي أوّلهمـــا فيكون الأوّل هـــو المخالف ، وبين هذا وذاك ، قد يكون الصّوتان محلّ التّأثير في حالة الاتّصال ، وقد يكونا منفصلين بعضهما عن البعض ، ففي الحالة الأولى تكون المخالفة متّصلة ، بينما في الحالة الثّانية تكون منفصلة ، وإذا خالف الصّوت الموجود بين مثليه أو مجانسيه فالمخالفة مزدوجة إذن ، وقد تكون نحواً آخر إذا حصل تقليص للصّوت أو الزّيادة فـــي كمّيته ، فالمخالفة كمّيةٌ ، أمّا إذا لم يتمّ تعويض الصّوت المثل أو المجانس المحذوف فتكون المماثلة وقتئذ بالحذف . هكذا اجتمع لدينـــا سبعة أنواع من المخالفة ، نمثّل لها كالآتـــي :

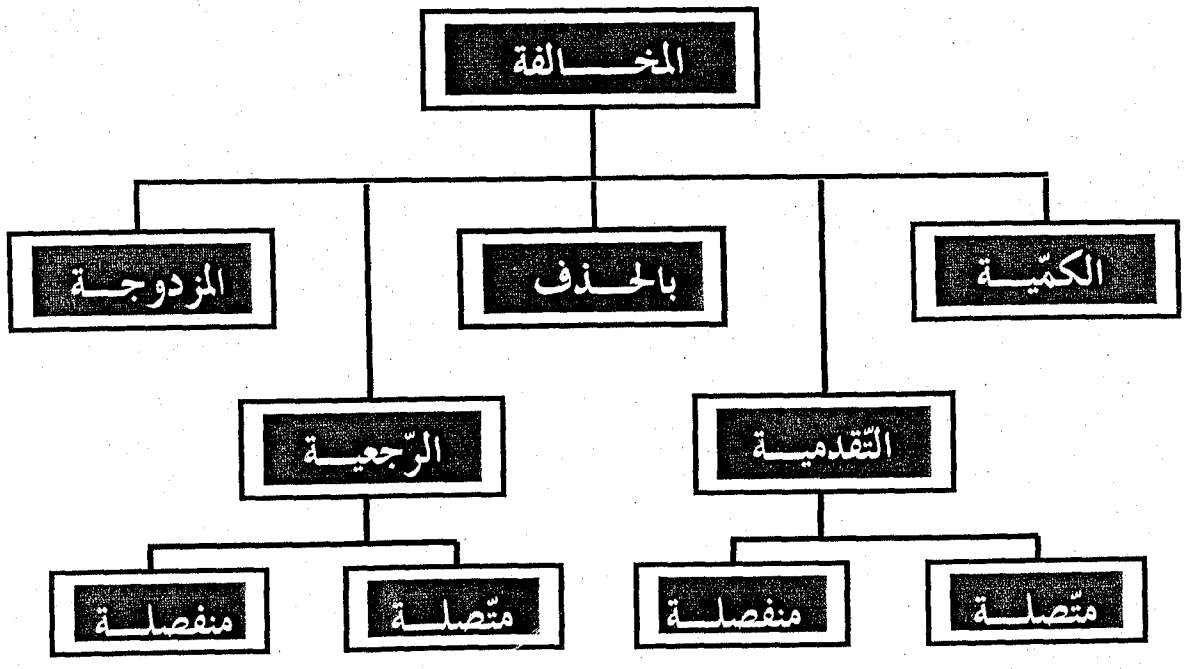

1- المخالفة التّقدمية المتّصلة :

وفيها يؤثّر الصّوت الأوّل في الثّاني المتّصل، فيكون الثّاني هو المخالف .

فالبنية العميقة لـــ: كُرْسانة هي كُرّاسة و تَقَعْوَرَ هي تَقَعّرَ و فَرْنَكَ هي فَـــرّكَ .[1]

لقـــد أحسّ النّاطق للصّيغ (كرّاسة ، و تقعّر ، و فرّك) ثقل الإدغام فيهـــا ، رغم أنّ الإدغام أسلوب من أساليب التّسهيل كونه يختزل عمليتين في واحدة فقط ، إلاّ أنّه أراد أنْ يتحوّل من سهل إلى أسهل منه عن طريق توظيف عامل المخالفة ، بعد فكّ الإدغام والعودة إلى الأصل ثمّ مخالفة الصّوت الثّاني الأول بإبداله بآخر أسهل منه ، من أصوات الإبدال ، كالنّون في الصيغة الأولى و الثّالثة ، أو أشباههـــا ، كالواو في الصّيغة الثّانية .

وفي : ' خَبْخَبوا ' التي بنيتهـــا العميقة هي : ' خَبَّبوا ' بثلاث باءات ، و في ذلك ثقل واضح ، فقد خالفـــوا بالباء الوسطى فجعلوها ' خاءً ' ، و لم يجعلوهـــا أحد الأصوات المتوسطة مماثلةً للخاء الأولى .[2] " وقالـــوا في ' طسّ ' : ' طسْت ' ، و في ' لصّ ' : ' لصت ' و أثبتوها في الجمع ؛ قال الشاعر:

فتَرَكْنَ هُدا عُيّلا أبناؤها * وبني كنانة كاللّصوت المُـــردِّ . "[3]

وإنما دعاهم إلى جعلها تاء ، مجانسةً للسّين في الهمس ، حيث أن المجموعة المائعة كلّهـــا مجهورة ، حتى لا تتعثّر العملية النّطقية و تثقل بالمجهور بعد المهموس .

وفيما يخصّ (دعاء و بكاء) فقد خالفت الواو و الياء على التّرتيب بعد الفتحة الطّويلة المجانسة لهما إلى همزة . و رغم ثقل الهمزة وعسرها في النّطق ، إلا أنها في الموقع الذي تموضعت فيه و بعد إستراحة أعضاء النّطق بالفتحة الطّويلة قبلهـــا ، سَهّلتْ عملية

---

(1) ينظر : المدخل إلى علم الأصوات ـــ ص : 81 - 82 .

(2) ينظر : التّطور اللّغوي : مظاهره و علله و قوانينه ـــ ص : 40 -41 .

(3) سرّ صناعة الإعراب ـــ ج1 ـــ ص : 165 .

التّلفّظ بالصّيغة . فالانسجام الصّوتي لا يتحقّق مع وجود الواو أوالياء ، لأنّ في هذا إنتقال صوتي ثقيل من الفتحة الطّويلة المتّسعة إلى الواو أو الياء الضيّقين ، بالإضافة إلى ما لاجتماع الأمثال من ثقل زائد ، فكان للمغايرة بالهمزة إراحة لأعضاء النّطق .

2 – المخالفة التّقدمية المنفصلة :

وفيها يؤثّر الصّوت الأوّل في الثّاني المنفصل ، فيكون الثّاني هو المغاير .

يقول ابن جنّي في الخصائص في باب ' قلب لفظ إلى لفظ بالصّنعة و التّلطّف لا بالإقدام و التّعجرف ' : " و من ذلك قول العرب (تسرّيت) من لفظ (س ر ر) ، وقد أحالته الصّنعة إلى لفظ (س ر ى) .ومثله (قصّيْتُ أظفاري) وهو من لفظ (ق ص ص) ، وقد آل بالصّنعة إلى لفظ (ق ص ى) ، وكذلك قوله : * تقضّى البازي إذا البازى كَسرْ * ، وهو في الأصل من تركيب (ق ض ض) ، ثم أحاله ما عرض من استثقال تكريره إلى لفظ (ق ض ى) ." [1] و يقول في سرّ الصناعة الإعراب في الموضوع نفسه :" و من ذلك قولهم : تظنّيْتُ و إنما هي (تَفعّلْتُ) من الظنّ ، و أصلها تظنّنْتُ ، فقلبت النّون الثّالثة ' ياءً ' كراهية التّضعيف ." [2] وجاء عنه كذلك في : أمْليتُ الكتاب ، إنّما أصله ' أمْلَلْت ' فقد غايرت اللّام الأخيرة إلى ' ياء ' هربا من التّضعيف ، وقد ورد في القرآن باللّغتين جميعا ؛ في قوله تعالى :(فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) [3]، وقال عزّ اسمه : (وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ) [4] . [5]

---

(1) الخصائص – ج2 – ص : 90-91 .

(2) سرّ صناعة الإعراب – ج2 – ص : 757 .

(3) الآية 5 من الفرقان .

(4) الآية 281 من البقرة .

(5) ينظر : سرّ صناعة الإعراب – ج2 – 759 .

وذكر الزّركشي في برهانه ، في قوله تعالى : (إِلاَّ مُكَاءً و تَصْدِيَةً) [1] ، أنّ أصلـــه (تصْدِدَةً) . و في قول امرئ القيس :

* فسلّي ثيابـــي من ثيابك تَـــنْسلي *

معناه : (تَنْسَلِل) ، و في بيت مجنون بن عامر :

إنّي لأستَنْعي و ما بِي نعسة * لعلّ خيالاً منك يلقى خياليا

أراد (أسْتَنْعِس) . [2]

نستنتج من الأمثلة السّابقة أنّ القدماء صعب عليهـــم التّضعيف ووجدوا فـــي تحقيقـــه عسرا ومشقّة علـــى اللّسان في الارتفـــاع و العودة إلى نفس النّقطة في اللّحظة ذاتهـــا لتحقيق الصّوت ذاته ثانية ، فمالـــوا إلى إبدال الصّوت المضعّف بأحد الأصوات المتوسّطة ، وقد أبدلوه بصائت قصير فقط ، كما الحال في : تمطّى (تمطّطَ) ، وتقضّـــى (تقضّضَ) ، و تنْسلـــي (تنسلِل) ، وأستنْعي (استنعس) وغيرهـــا ، لسهولة هذه الأصوات ويسرها علي النّطق . [3]

وإذا بحثنا عن البنيتين العميقتين لكلمتي : (دهْديْتُ ، وَ صَهْصَيْتُ) ، وجدناهما (دهْدهْتُ ، وَ صهْصهْتُ) . " ولكن لِمَ جعلوها ' ياءً ' دون بقية الحروف ؟ الهـــاء حرف مهموس ، (لا يوجـــد في اللّغة حرف مجهور يقابله) ، ومن ثمّة كان اختيار أيّ حرف صامت ليس له ما يبرره ، و الصّوامت الضّعيفة أوالصّوائت الطّويلة هي حركات مشبعة ، و قد تكون أنصاف حركات أحيانا ، ولذا كثر فيها التّغيير ، فكان الأوفق أن

---

(1) الآية 35 من الأنفال .

(2) ينظر : البرهان في علوم القرآن ـــ الزّركشي ـــ تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ـــ دار الفكر للطّباعة و النّشر و التّوزيع ـــ ط3 ـــ 1980 ـــ ج3 ـــ ص : 389 .

(3) ينظر : الأصوات اللّغوية ـــ عبد القادر عبد الجليل ـــ ص : 296 .

يُختار أحدها ههنا ، وقد استُبعدت الواو ، لأنّ الياء أخفّ على اللّسان منها ، وكذلك الألف لما فيها من مدّ الصّوت ، وهم إنما تحوّلوا عن الهاء هربا من الإجهاد ، فتحوّلهم إلى الياء إذن ... فيه راحة للرّئتين في إخراج الهواء ." [1] فالأمر ههنا لا يتعلّق بالجهر والهمس ، ولا بالبحث عن النّظير المجهور حتّى تتحقّق المخالفة و الإبدال ، و إنما يتعلّق بمجموعة من الأصوات سهلت في النّطق و شاعت في الكلام ، فالتّجئ إليها كلّما اعترى العملية النّطقية ثقل ناتج عن ازدواجية الحركة و تكرارها في اللّحظة نفسها .

و الذي سوّغ اختيارهم لصوت ' الياء ' في المثالين السّابقين و في سواهما دون غيره ، كونه أخفّ أفراد مجموعة الإبدال و المخالفة (ي / و / م / ن / ل / ر) ، فهي صوت " مجهور مخرجها من وسط اللّسان ، فلمّا توسّط مخرجها الفمّ ، وكان فيها من الخفّة ما ليس في غيرها ، كثُر إبدالها كثرةً ليس لغيرها ." [2]

وقد خالفت الهمزة كذلك في (إيمان ، وَ إيلاف ، وَ إيناس) ؛ يقول ابن جنّي : " متى اجتمعت همزتان و انكسرت الأولى منهما ، قلبت الثّانية ' ياءً ' البتّة ، وكان البدل لازما ، وذلك قولك (إيمان ، وَ إيلاف ، وَ إيناس) ، وأصله (إئْمان ، وَ إئْلاف ، و إئْناس) . " [3] وقالوا : آدم ، وَآزر ، و في الفعل : آمنَ ، وَآزرَ ، و في صيغتي التّصغير : أُوَيْدِم ، وَ أُوَيْخِر ، وفي الجمع على التّكسير : أوادم ، وَأواخر .[4]

فقد خالفت الهمزة الثّانية في الصّيغ إلى مصوّت قصير أو طويل وهو الفتحة ، لأنّ الألف قد تساوي اجتماع فتحتين أو أكثر ، وخالفت في الصّيغ الأخيرة إلى ' واو ' .

---

(1) الدّراسات اللّهجية والصّوتية عند ابن جنّي ــ ص : 176 .

(2) شرح الملّوكي في التّصريف ــ ص : 241 .

(3) سرّ صناعة الإعراب ــ ج2 ــ ص : 738 .

(4) نفسه ــ ج1 ــ ص : 101 و ــ ج2 ــ ص : 579 .

ومن صور المخالفة ما يأتي مع جمع التّكسير في صيغة ' مِفْعال ' نحو : قِرْطاس ، تقول : قراطيس ، وفي : مِفْتاح ، تقول : مفاتيح ، وفي : مِصْباح ، تقول : مصابيح .
وكان البناء التّقديري هو : قَراط|ا|س ، وَمفاتـ/ا/ح ، وَ مصابـ|ا|ح .
فالألف الأولى هي ألف الصّيغة الصّرفية للجمع في التّكسير ، و الألف الثّانية هي صوت بنائي في المفرد . فَلِمَ تطوّرتْ إلى مصوّت طويل هو ' الياء ' ؟

نقـول أنّ القوّة المغايرة في الميدان اللّغوي التي هـي المخالفة كانت سبب هذا التّبديل ، ذلك أن المتكلّم كره هذا النّفس المستمرّ ، و هذا المدّ الصّوتـي المتتابـع الذي يتعب الرّئتين و النّاتج عن توالي صائت الفتح ، واستمراره على طول الصّيغة ، فعمد إلى تخفيضه وتضييق مجاله بصوت مخالف هو الكسرة الطّويلة .

ويتّسع القياس و يطّرد الحال و ينسحب المجال علـى " قصْر إعراب جمع المؤنّث السّالم على صورتيْ الرّفـع و الجرّ ، فيقـال : فاعلاتٌ ، و فاعلاتٍ دون أن يقـال : فاعلاتً في حالة النّصب ، بل هي أيضا فاعلاتٍ . وكذلك الحال فـي لاحقـة المثنى ، حيث كُسِرت النّون فقيـل : آنِ ، دون : آنَ ، وسواء في ذلك الأسماء و الأفعال ، فيقال : بابانِ في بابانَ ، ويقـال : يقتلانِ في يقتلانَ ، ويقـال : هذانِ في هذانَ " [1] بدليل بعض الأمثلة الموجودة في مصادر اللّغة التي بقيت علـى الصّورة الأصلية ، مثل : شتّانَ في مثل قولهـم (شتّانَ أخوك و أبوك) ، بمعنى أنّهمـا مفترقان ، فهـو تثنية ' شَتٌّ ' ، والشتّ : المفترق . [2]

والحال نفسها بالنّسبة لـ ' نون ' التّوكيد المشدّدة ، فهي مفتوحة ـ كما هو معروف ـ في : يضربنّ و تضربنّ وما إلى ذلك ، غير أنّنا نجدهـا مكسورة في مثل : يضربان

---

(1) العربية الفصحى ـ ص : 48 ـ 49 .

(2) ينظر : التّطور اللّغوي : مظاهره وعلله وقوانينه ـ ص : 42 .

' إنّـــا ' إلى (33) مرّة مقابل ' إنّـــنا ' مرّة واحدة . [1]

وقد حذفت ' النّون ' من بعض الكلمات عيناً كما في ' مُذ ' و أصلها ' مُنـــذ ' ، وحُذفت في ' إنّ و أنّ ' تخفيفا ، في مثل قوله عزّ وجلّ : (**وإنْ كُـلُّ نَفْـسٍ لَمـا عَلَيْهـا حَـافِظ**) [2] فـ' إنْ ' هنا مخفّفة من الثّقيلة ' إنّ ' .[3]

وإذا بحثنا في ' السّين ' و ' سوف ' وجدنا أنّ الأولى كانت نتيجة تطوّر الثّانية ، لأنّ 'سوف ' أقدم من ' السّين ' ، والسّين جزء مقتطع منهـــا فقط ، بدليل وجودهـــا على الأصل في اللّغات السّامية الأخرى ، فهي في الآرامية (sawpā) ، وهـــي اسم معناه فيها الغاية و النّهاية ، بينما كان في العربية القديمة أداة تفيد الاستقبال في الأفعال ، ثم بدأت تنحو في تطوُّرها نحو الاختزال و الاختصار ، إذْ تعرّضت لقصّ بعض أطرافهـــا في الفترة التـــي سبقت نزول القرآن ، فقد ورد عن العرب قولهـــم : ' سَوْ ' يكون ، و'سَفْ ' يكون ، و'سا ' يكون ، وسيكون . [4]

وحذفوا ' النّون ' من 'يكن' ، فقالوا ' يك ' ، كما حذفوهـــا في التّثنية والجمع ، نحو: الضّاربا زيدا ، والضّاربوا زيدا ، و في قولـــه تعالى : (**والمُقيمـي الصّلاة**) [5] تخفيفا لطول الاسم . كما تحذف عن طريق عامل المخالفة الكمّية ' تاء ' التّأنيث قبـــل 'ياء ' النّسب ، كما في : غـــزّة ←——— غزّي ، و في مكّة : ←——— مكـــّي ، وفي بصْرَة : ←——— بَصْرِي .[6]

---

(1) ينظر : التّطور اللّغوي : مظاهره وعلله وقوانينه ـــ ص : 46 .

(2) الآية 4 من الطّارق .

(3) ينظر : سرّ صناعة الإعراب ـــ ج2 ـــ ص : 547 - 548 .

(4) ينظر : التّطور اللّغوي : مظاهره وعلله و قوانينه ـــ ص : 98 ـــ 99 .

(5) الآية 33 من الحجّ .

(6) ينظر : التّطبيق الصّرفي ـــ عبده الرّاجحي ـــ دار النّهضة العربية ـــ بيروت ـــ د.ط ـــ 1979 ـــ ص : 141 .

وحذف التّنوين من كلّ علم تصفه ' بابن ' و تضيفه إلـــى عَلَم آخر مثل قولك : هذا زيدُ بن عمرو .[1] كما سقطت ياء المخاطبة وواو الجماعة من النّطق إذا تليت بنون التّوكيد ثقيلة أو خفيفة أو ألف الوصل ، أو' ال ' التّعريف فـــي نحو : (اكتبي اسمك ، واكتبوا الدّرس ، واكتبنّ ، و اكتبنْ) ؛ تقول فيهـــا : (اُكتُبِ سْمَـــكَ ، واكتُبِ دّرسَ ، واكتبـــنّ ، واكتبـــنْ) .

وقد حُذِفتْ اللّام في ' ظَلْتَ ' والأصل ' ظَلِلْتَ ' بتضعيفها ، هروبا من الحركة المزدوجة في النّطق ، كما حُذِفتْ ياء الجماعة المتكلّمة في قوله تعالي : (ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ)[2] للسّرعة في النّطق و الاقتصاد في الجهد .[3] " و من ذلك حذف ' الياء ' فـــي قوله تعالي : (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ)[4] للتّخفيف."[5] والحقيقة أنّها كسرة طويلة قلّصت إلى قصيرة . وقد سقط صائت لام الفعل في ' فَعَلَ ' عند إسناده إلي ضمير الرّفع ،كمـــا هـــي الحال في (قَرَأَ) في حال إسناده إلى الضّمير المتكلّم المفرد (تُ) والمثني والجمـــع (نا) ، والمخاطب المفرد المذكر (تَ) و المفرد المؤنث (تِ) والمثنّـــى المذكر (تما) والمثـــنّى و الجمع المؤنّث (تنَّ) ، والغائب المؤنّث في حالة الجمع (نَ) ، نقول فيه : قرأتُ وقرأنا و قرأتَ و قرأتِ و قرأتما و قرأتن و قرأنَ .

فالملاحظ على هذه الصّور الإسنادية الجديدة خلوّها من صائت لام الفعل ، أي سقوط فتحة الهمزة ، و لعلّ مردّ ذلك إلى قانون المخالفة الكمّية ، فالعربية تكره توالـــي

---

(1) ينظر : نصوص في النّحو العربي ـــ ج1 ـــ ص : 515 .

(2) الآية 63 من الكهف .

(3) ينظر : الدّراسات اللّهجية و الصّوتية عند ابن جنّي ـــ ص : 208 .

(4) الآية 4 من الفجر .

(5) من أسرار البلاغة في القرآن ـــ محمود السيّد شيخون ـــ مكتبة الكلّيات الأزهرية ـــ القاهرة ـــ ط1 ـــ 1984 ـــ ص : 44 .

أربعـــة مقاطع متشابهة ، وهـــو ما عالجه القدمـــاء تحت فكرة ' كراهة توالـــي أربعة متحركات ' ، الأمر الذي يشكّل دون ريب ثقلا مستمرّا ، و من أجل إعادة التّوازن إلى هذه الصّيغ ، اجْتزأتْ المخالفة فتحة الهمزة ، وقلّصَت مقطعين في مقطع واحد من النّوع المتوسّط بما يتلاءم و حالات الاتّجاهات الصّوتية و قانون اختزال الجهد . [1]

والأمر سار في الإسناد علي الشّكل التّالـــي :

قرأ : تُقطّع إلى : ⟵ ص م + ص م + ص م .

قَرَأَ+تُ ⟵ ص م + ص م + ص م + ص م . (توالـــي أربعة مقاطع مـــن النّوع القصير ، جميعها مفتوحة) .

قرأْتُ ⟵ ص م + ص م ص + ص م . (تمّ انصهار مقطعين في مقطع واحد بعد إسقاط الصّائت و تقلّص المقاطع المفتوحة من أربعة إلى اثنين فقط) .

ووجدت المخالفة بالحذف مُتنفّسهـــا عند 'الهمزة'. فلمّا كانت الهمـــزة صوتا عسيرا على النّطق تخرج بإجتهاد كما قال سيبويه [2] ، كونها صوت حنجري انفجاري لا هـــو بالمهموس و لا هو بالمجهور ، تحتاج في نطقها إلى ثلاث حركات متوالية (قطع النّفس ، إنطباق الوترين الصوتيين ثم انفراجهما) ، كان لابدّ من التّوجّه بـــها إلى جادّة التّسهيـــل .[1] والأمر من مهموز ' الفاء '(أَكَلَ) ، كان القياس أن نقـــول (أُؤْكُلْ) كما يقـــال في الأمر من (ضَرَبَ) (اُضْرُبْ) ، لكن لمّا اجتمعت الهمزتان وكانتا أوّل الصّيغة والحال لا يخلو من الصّعوبة عند النّطق بالحركة المزدوجة وبخاصة إذا تعلـــق الأمر بالهمزة ، وجرياً وراء التّيسير والاقتصاد في الجهد، تخلّصت اللّغة منهما جميعا ومن كامل المقطع الذي يضمّهما عن طريق قانون المخالفة بالحذف ، فصارت الصّيغة (كُلْ) .

---

(1) ينظر : علم الصّرف الصّوتي ـــ ص : 171- 172 .

(2) الكتاب ـــ ج3 ـــ ص : 548 .

(3) ينظر : نفسه ـــ ص : 177- 178 .

والسّبيل نفسه يكون مع مهموز الوسط (رَأَى) عند صياغة المضارع منه ، فالقياس يرى أنّ المضارع من (رأى) (يَرْأى) ، ولمّا كانت الهمزة عند الحجازيين وغيرهم من القبائل العربية تخفّف إلى صائت طويل من جنس حركة ما قبله صار الأمر إلى (يَرْاى) ، فتوالى صائتان طويلان واضطربتْ الصّيغة المقطعية (ص م ص+ م م + م م) ، ولإعادة التّوازن لها ولاستحالة النّطق بصائتين متواليين ، تخلصت المخالفة بالحذف من أوّلهما لتنتهي الصّيغة إلى (يرى) . والأمر منه يجب أن يكون (إرْأ) على القياس الصّرفي . والبناء المقطعي للصيغة بناء صحيح يقبله البناء الصّوتي العامّ للّغة ، إلاّ أنّ الإشكال يتركّز حول وجود الهمزتين في الصّيغة ، وقد ذكرنا أنّ الهمزة تُسهّل عموما ، ولعلّ صيرورة الفعل في الأمر إلى (رَ) يعود بالدّرجة الأولى إلى تسهيل الهمزتين وتخفيفهما إلى صائتين طويلين على الشّكل (يـ رْا) .

ولعلّ اضطراب هذه الصّيغة الجديدة سببه الصّائت الطّويل الذي بدأت به ، ممّا لا يتناسب و سنن العربية ، بالإضافة إلى ذلك فقد أحيطت الرّاء بنواتين ولا بدّ من تركيب المقطع على نواة واحدة ، فسقطت النّواة الأولى وقُلّصت الثّانية ، فصار الأمر إلى البنية النّهائية على مقطع واحد (رَ) كما هي الحال في : وَفى ← ف ، وعى ← عِ ، وقى ← قِ ، وشى ← شِ وغيرها .[1]

فالمخالفة بالحذف كانت لها مهمّة تقليص المقطعين الصّوتيين في :

إرْأ (ص م ص + ص م) إلى مقطع واحد في (رَ) (ص م) .

و يجري الإسناد مع بقية الضّمائر على الشّكل : رَ ، ريا ، روا ، رينَ ، ري ، وفي المضارع : يرى ، يريانِ ، تريانِ ، يرَوْا ، يرَيْنَ ، ترَيْنَ .[2]

---

(1) ينظر : علم الصّرف الصّوتي ـ ص : 51-52 .

(2) ينظر : نفسه ـ ص : 182 إلى 184 .

وجاء في القرآن قوله تعالى : (سَلْ بَنِي اسْرائيل) [1] . " و أصله ' اِسْأَلْ ' ، فلمّا خُفّفت الهمزة ، حُذفت وألقيت فتحتها علـــى السّين قبلها ، اعتدّ بهـــا ، فحذفت همزة الوصل قبلهـــا لتحرُّك الحرف بعدهـــا ، و نظائر هذا كثير . " [2] و قد سار الأمر وفق الآتـــي :

(اِسْأَلْ) خُفّفت الهمزة في الصّيغة فصارت إلى (اِسالْ) ، و لما تحرّكت السّين بالفتحة الطّويلة المخفّفة عن الهمزة ، حُذفت همزة الوصل ، ثمّ قُلّصت الفتحة الطّويلة إلى قصيرة فصير إلى (سَلْ) .

وقد أجْرتْ المخالفة الكمّية البناء المقطعي كما يلي :

اِسْـــأَلْ = ⟵ ص م ص + ص م ص .

اِســـالْ = ⟵ ص م + ص م م ص .

ســـال = ⟵ ص م م ص .

ســـلْ = ⟵ ص م ص .

وجاء في الهمزتين إذا التقتا من كلمتين ، وكانتا جميعا متفقتيْ الحركة ، حُذفت أولاهما ، كما هي الحال فـــي قراءة أبي عمرو قوله تعالى : (فَقَدْ جا أشْراطُها) [3] ، بحذف همزة 'جاء'، وقوله أيضا : (وَإذا شا أنْشَرَه) [4] ، بحذف همزة ' شاء ' . [5]

---

(1) الآية 209 من البقرة .

(2) سرّ صناعة الإعراب ـــ ج2 ـــ ص : 486 .

(3) الآية 19 من محمد .

(4) الآية 22 من عبس .

(5) ينظر : سرّ صناعة الإعراب ـــ ج2 ـــ ص : 788 .

وجاء في حالة الهمزة السّاكنة المفردة : الحذف ، وينوب عنه إطالة حركة الصّامت قبله ، وكان ذلك مطّردا خاصة في الهمزة المسبوقة بالضمّ لثقل تجاورهما ، مثل : مُؤْمنون ومومنـــون ، والمُؤْتون الزّكاة والموتـــون الزّكاة ، و الفَأْس والفاس ، والكَأْس والكاس ، و البِئْر والبير ، ومِئْرة وميرة ، وغيرها .

و نمثّل لأثر المخالفة بالحذف في البناء المقطعي لهذه البنى بالصّيغتين : فـــأس وَ فـــاس .

فـــأْس = ص م ص ص . (حال الوقف)

فـــاس = ص م م ص . (حال الوقف كذلك)

والفرق بين البناءين المقطعيين كمـــا يبدو ، هو تحوّل المقطع الطّويل من النّوع الخامس ، وهو مقطع غير مرغوب فيه ، تفرّ منـــه العربية متى سنحت لهـــا الدّلالة بذلك ، إلـــى مقطع طويل من النّوع الرّابع الذي ترضى به اللّغة حال الوقف .

وحُذفتْ الهمزة كذلك في درج الكلام دون حركتها ، لتتبع السّاكن قبلها في مثل قولهم : (هذا زيدُنَ بوك) . وفي القرآن على قراءة من قرأ بالحذف قوله تعالى : (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ كَادُ أُخْفِيهَا) [1] ، وقولـــه أيضا : (وَمِنْ خَيْرِ سوءِنَ ايتُـــنَ خـــرى) [2] [3] .

وقالوا : عِدة ، وَ زِنة ، وَ هِبة ، من (وَعَدَ ، وَ وَزَنَ ، وَ وَهَبَ)؛ بإسقاط الفاء في المصادر. كما قالـــوا في : يَدٌ ، دَمٌ ، فَمٌ ، هَنٌ ، أبٌ ، أخٌ ، حمٌ ، باسقاط " اللّام " فيها . [4]

---

(1) الآية 14 من طـــهَ .

(2) الآية 21 من طـــهَ .

(3) ينظر : سرّ صناعة الإعراب ـــ ج2 ـــ ص : 490 .

(4) ينظر : البرهان في علوم القرآن ـــ ج3 ـــ ص : 115 .

وتسقط فاؤه كذلك عند إسناده إلى حروف المضارعة ، فنقول : يعِـدُ ، أزِنُ ، نَهَبُ ، والأصل أن يقال علـى القياس الصّرفـي : يَـ + وَعَدَ = يَـوْعِدُ ، وَ : أ + وَزَن = أَوْزِنُ ، وَ : نَـ + وَهَبَ = نَوْهِبُ ، على وزن (فَعَـلَ ـ يَفْعِلُ) ، ويجري التّركيب المقطعي كالآتي :

يَوْعِدُ ⟵ ص م ص + ص م + ص م .

والملاحظ أنّ هذا التّركيب المقطعـي صحيح لا يعْتوِره الاضطراب ، والإشكال يسببه احتماع الأمثال فـي المقطع الأوّل ممّا ينتج عنـه ثقل أثناء النّطق ؛ فالياء و الواو صائتان انتقاليان ضيّقان ، أولهما أمامي وثانيهما خلفي ، يتوسّطهما صائت متّسع ، وفي انتقال أعضاء النّطق من الحركة الضّيقة إلى المتّسعة وَ العودة مرّة أخرى إلـى الضّيقة مع تشابه هذه الحركات ، فيه بالغ الصّعوبة ، الأمر الذي يستدعـي تدخّل عامل المخالفـة الكمّية لتسوية الوضع وفضّ النزاع والعودة بالصّيغة إلى الاسترسالية في النّطق عن طريق تقليص هذا المقطع واجتزاء هامشه الثّاني الذي هو (الواو) ليصير :

يَعِـدُ ⟵ ص م + ص م + ص م .

أمّا (قال وباع) ؛ فالبنية العميقـة لكلٍّ منهمـا هي : قَوَلَ و بَيَعَ ، من (القَوْل والبَيْـع) ، وتركيبهما المقطعي يسير كما يلي :

قَـوَل ⟵ ص م + ص م + م ص .

بَيَـعَ ⟵ ص م + ص م + ص م .

يلاحظ في تحليلهمـا توالي ثلاثة مقاطع مفتوحة فيهمـا من نفس النّوع ، " والسّلوك المقطعي في اللّغة العربية يكره تتابع الحركات ويعمد دائمـا إلى اختصارها ، فإذا توالت ثلاث حركات اختصرها إلى اثنتين ، وإذا توالت حركتان مكروهتان كضمة وكسرة ،

حُذفت إحداهـــما و أطيلت الأخرى . وهكذا تعالج اللّغة صعوبة توالي الحركات ." [1]

وعلـــى هذا قلّصت المخالفة المقطعية المقطعين القصيرين المفتوحين ، الأوّل و الثّاني إلى مقطع واحد متوسّط من النّوع المفتوح ؛

قَـــوَلَ ←——— قال = ص م م + ص م .

بَيَـــعَ ←——— باع = ص م م + ص م .

و في (مَقول و مَبيع) ؛ يقول الصّرفيون أنّ أصلها (مَقْوول وَ مَبْيوع) ، فلمّا استثقلوا الضمّة على الواو و على الياء ، نقلوها إلى الصّامت قبلهمـــا ، فاجتمع لديهم ساكنان فحذفوا أحدهما . غير أنّ سبب هذا الثّقل يمكن تفسيره كما يلي :

لمّا اجتمع الصّائتان الانتقاليان (الواو و الياء) بصائت مجانس لهما ، ثقُلا على اللّسان ، وكان لابد من إجراء جراحة علـــى البناء ، و المهمّة موكولة إلى المخالفة الكمّية لتتدبّر الأمر ، و الحال يخصّ المقطع الثّانـــي الطّويل المغلق ، بتخفيض كمّيته عن طريق حذف هامشه الأوّل وهو ما يقع على الصّائت الانتقالـــي (الواو) ، فيضطرب المقطع عندما يصبح مبدوءا بنواة ، ممّا هو غير مستساغ ولا موجود في قواعد اللّغة العربية ، فيتخلّـــى المقطع الأوّل على هامشه الثّاني له ، فتتوازن الصّيغة .

مَقْـــوول ←——— ص م ص + ص م م ص .

مَبْيـــوع ←——— ص م ص + ص م م ص .

ثمّ : مَقـــول ←——— ص م + ص م م ص .

مَبيـــع ←——— ص م + ص م م ص .

---

(1) المنهج الصّوتي للبنية العربية ـــ ص : 185 .

وفي الاسم المنقوص : ' قاضيٌ ' الذي يصير إلى قاضٍ .

قاضِـــيٌ ⟵ ص م م + ص م + ص م ص .

قـــاضٍ ⟵ ص م م + ص م ص .

فقد تحوّلت البنية العميقة إلى البنية السّطحية كالآتي :

تجاورت الأشباه في البنية العميقة (قاضِيٌ) (كسرة الضّاد + الياء + الضمّة) ، وانتقال اللّسان فيها من الأمام إلى الخلف أمر يعجّل تدخّل المخالفة بالحذف التي تتخلّـــص من موضع الثّقل و هو الياء المحركة بالضّمة ، (الصائت الانتقالي الأمامي الضيّق + الصّائت الخلفي الضيّق) ، ليصبح البناء الجديد في البنية السّطحية (قاضٍ) .

والحال في تصغير (سَفَرْجَل) و (فَرَزْدَق) يسير وفق الصّيغة (فُعَيْلِل) الخاصة بتصغير الخماسي ، فيقال : سُفَيْرِجِل وَ فُرَيْزِدِق ، وقد يقال : سُفَيْرِيج وَ فُرَيْزِيد علـــى الصّيغة (فُعَيْليل) ، كما قيل في (قنديل) (قُنَيْديل) ، إلاّ أنّ الصّيغتين سارتا في طريق الاختزال و الاختصار ، عندما قلّصت المخالفة بالحذف من مقاطعهمـــا ، فالعربية تسير إلى تقصير البنى الطّويلة اقتصادا في الجهد عند نطقها ، ومنه :

سُفَيْرِجِل
وَ فُرَيْزِدِق ⟵ ص م + ص م ص + ص م + ص م ص .

فقد اجتمع لكلّ صيغة أربعة مقاطـــع ، اثنان قصيران مفتوحان ، و الآخران من النّوع المتوسّط المغلق ، الأمـــر الذي يتطلّب جريانا متواصلا في الجهد المبذول ، مما استدعـــى تخفيض عدد المقاطع تقليصاً لطول الصّيغتين و تسهيلا لنطقهما ، فكان المقطع الأخير هو مدار الاجتزاء ، فصار الوضع إلى ثلاثة مقاطع .

فقالـــوا :

سُفَيْرِج
وَ : فُرَيْزِد ← ص م + ص م ص + ص م ص .[1]

إنّ الأمثلة التي سقناها و المعالجة تحت قانونيْ المماثلة والمخالفة الصّوتيين لتبيّن ذوق النّاطق العربي و ميوله إلى السّهولة واليسر في الآداء ، و هجره ـــ ما أمكنه ذلك ـــ تلك العناقيد التي تثقل على اللّسان و تجهِد الآلة المصوِّتة .

إنّ المماثلة و المخالفة ظاهرتان متعاكستا الاتجاه ، فكلّ منهما يحاول جذب البنية اللّغوية ناحيته و بالتّالي يتحقّق للّغـــة سمتهـــا التّوازنية التي يحكم بنيتهـــا قانون اختزال الجهـــد والتّيسير في النّطق .[2]

و في الرّسم الموالي [3] يتبيّن لدينـــا دوركلّ من المماثلـــة التي تسعـــى إلى التّقريب بين الصّوتين المتجاورين إلى أن يصبحا أحيانا متماثلين كلّ التّماثل ، ثم يأتي دور المخالفة التي تعمل في الاتّجـــاه المناظر ، فتقلب أحد الصّوتين المتماثلين أو المتقاربين إلى أحد أصوات اللّين و أشباههـــا ، بغية التّقليل من المجهود العضلـــي المبذول ، وفي ذلك أقصى مراتب التّيسير .

---

(1) ينظر : الخصائص ـــ ج3 ـــ ص : 117 . و ينظر : الكتاب ـــ ج4 ـــ ص : 365 .

(2) ينظر : الأصوات اللّغوية ـــ عبد القادر عبد الجليل ـــ ص : 292 .

(3) ينظر : نفسه ـــ ص : 293 .

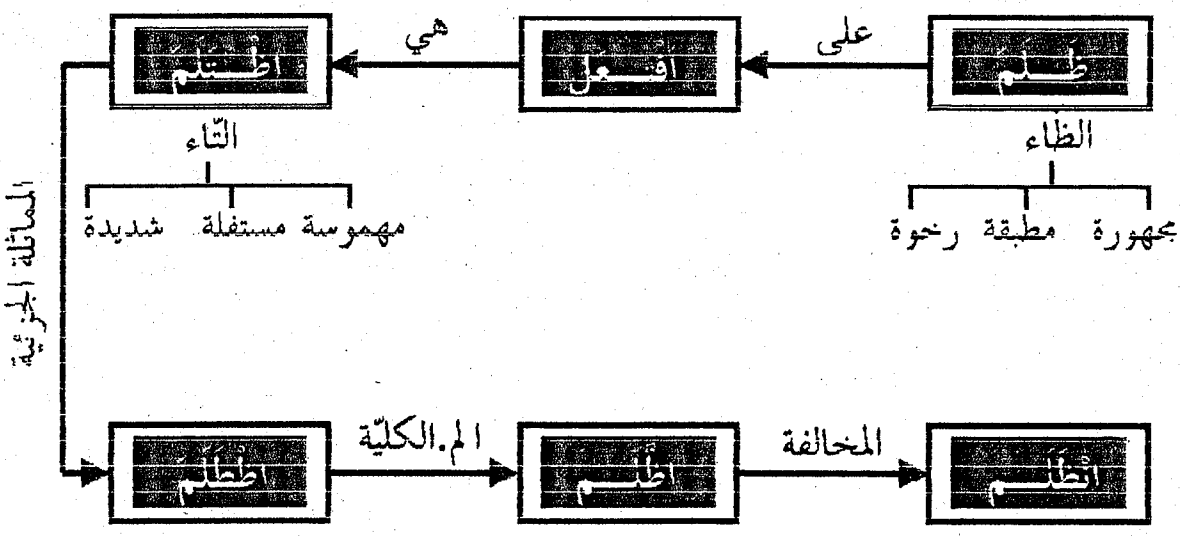
ظلم
على
افعل
هي
اظتلم
الظاء
مجهورة مطبقة رخوة
التّاء
مهموسة مستفلة شديدة
المماثلة الجزئية
اظطلم
المخالفة
اطّلم
الم.الكليّة
اطّلم

الفصل الثّالث

وظيفة الاقتصاد المورفونولوجي في عملية التّواصل من خلال سورة " طَهَ " :

- جوانب العمليـة التّواصليـة .
- وظيفة الاقتصاد المورفونولوجي فيها من خلال سورة " طَهَ ".

جوانب العملية التواصلية

*التّواصل باعتباره أهمّ وظيفة في اللّغة :

اللّغة مجموعة من الأدلّة وُضعت بالتّواطؤ و الاصطلاح لتفصح عن معانٍ وفق نظام محدّد يميزها عن غيرها من الأنظمة . فاللّغة بهذا الشّكـــل تعرب عن ذكاء الإنسان الخارق و بحثه الدّائم عمّا يكفل لـــه الرّاحة و يضمن له الاقتصاد في الطّاقة . فالإنسان باختراعه هذا يوفّر جهود إحضار الأشياء بعينهـــا و يكتفي بذكر ما يدلّ عليهـــا [1] . يقـــول ابن جنّي : " لكلّ واحدٍ منها لفظ إذا ذكر عرف به مسمّاه ليمتاز عن غيره و يغني ذكره عن إحضاره إلى مرآة العين ، فيكون ذلك أقرب و أخفّ وأسهل من تكلف إحضاره ." [2] فالدّليل اللّغوي بهذه الكيفية يتضمّن معنى الاقتصاد . وهو ينقسم إلـــى صنفين ؛ دليل صوتي و دليل كتابي [3] ، وكلاهما كيان مكوّن من(دال) و هو الصّورة الصّوتية في الدّليل الصّوتي ، بينما في الدّليل الكتابـــي هو الصّورة الحرفية ، بمعنى تصوّر السلسلة المتوالية من الحروف التي يتكوّن منها الدّليل ، و(مدلول) وهو المفهوم و المعنى المقصود من (الدّال) ، و (مرجع) وهو ذلك الشّيء الموجود فعلا في الواقع .

و يمكن تشخيص هذه الدائرة الدّلالية من خلال المثلّث اللّسانـــي المشهور الذي يشـــير إلى العلاقة الثّلاثية بين الدّال و المدلول و المرجع : [4]

---

(1) ينظر : محاضرات في علم النّفس اللّغوي ـــ حنفي بن عيسى ـــ الشّركة الوطنية للنّشر و التّوزيع ـــ الجزائر ـــ ط2 ـــ 1980 ـــ ص : 92 .

(2) الخصائص ـــ ج1 ـــ ص : 44 .

(3) ينظر : ماهي السّيميولوجيا ـــ برنار توسان ـــ ترجمة : محمد نظيف ـــ افريقيا الشّرق ـــ ط1 ـــ 1994 ـــ ص : 11 .

(4) ينظر : مبادئ اللّسانيات ـــ ص : 289 .

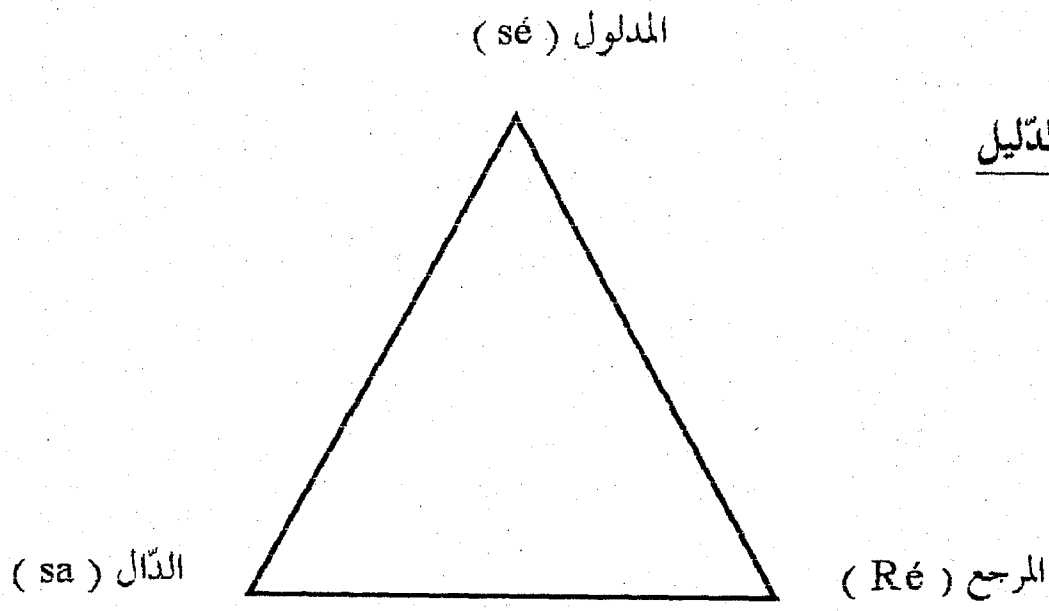

و اللّغة أداة تستعمـــل لتؤدّي و ظائف و أغراضا مختلفة داخل المجتمع ، فهـــي وسيلة في شكلها المكتوب لحفظ حضارات الأمم و نقل تراثها " من الماضي إلى الحاضـــر ، ومن الحاضر إلى المستقبل ، فهي الجسر الذي تعبر عليه الثّقافة عبر الأجيال ." [1] وهي الرّابطة بين العبد وربّه ، فبوساطتها يؤدّي الفرد صلواته و أدعيته و يقوّي علاقتـــه مع خالقه ، وهي طريق الفكر إلى التّحليل و التّركيب و التّصوير و التّجريد ، وهي أداة الفرد للتّأثير علـــى الغير من خلال أوامره و طلباتـــه ، كما تستخدم كذلك للتّعبير عن العواطف و المشاعر الإنسانية وغيرهـــا . " ولكن علـــى الرّغم من تعدّد وظائفها ، تبقى وظيفتها كوسيلة للاتّصال بين البشر أهمّ تلك الوظائف جميعا ." [2]

---

(1) اللّسانيات من خلال النّصوص ــ عبد السّلام المسدّي ــ نقلاً عن محمود أحمد السيّد ــ الدّار التّونسية للنّشر ــ ط2 ــ 1986 ــ ص : 18 .

(2) أضواء على الدّراسات اللّغوية المعاصرة ــ نايف خرما ــ سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثّقافة و الفنون و الآداب ــ الكويت ــ سبتمبر 1978 ــ ص : 32 .

فاللّغة ماهـــي إلّا وسيلة لنقل الأخبار و المعارف والمعلومـــات ، بل إنّ علومها كالفونولوجيا و الصّرف و النّحو والبلاغة لتجتمع على حصول الدّلالة أو عدم حصولها ، معنى ذلك أنّها تؤسّس على عنصر التّبليغ و التّواصل .[1]

يقول ابن جني مشيرا إلى هذه الوظيفة الأساسية للّغة التي هي التّواصل : " أمّا حدّهـــا فإنّها أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم ." [2] و إلى هذا المعنى يجنح فندريس فيرى أنّه " في أحضـــان المجتمع تكونت اللّغة ، ووجدت اللّغة يوم أحسّ النّاس بالحاجة إلـــى التّفاهم فيما بينهم ... ، فاللّغة هي الواقع الاجتماعي بمعناه الأوفى ، تنتج من الاحتكاك الاجتماعـــي ، وصارت واحدةً من أقوى العُرى التـــي تربط الجماعـــات ، وقد دانت بنشوئها إلى وجود احتشاد اجتماعي ." [3]

فالعبارتان : ' يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهـــم ' ، و عبارة ' وُجدت اللّغة يوم أحسّ النّاس بالحاجة إلى التّفاهم فيما بينهم ' تشير بوضوح إلى الوظيفة المركزيّة و الأهمّ في اللّغة التي هي ـــ دون منازع ـــ التّواصل و التّفاهم المتبادل بين أفراد العشيرة والقبيلة أو المجتمع و الأمّة الذين يتبادلون نفس السّنن .

ويذهب أندري مارتني ولسانيون آخرون فـــي نفس الشّأن ، عندما يرون أنّ إحدى وظائف اللّغة الأساسية هي تواصل النّاس مع بعضهم بعضا ، ودخولهم بواسطتها في علاقات تضمن التّفاهم المتبادل بينهم .[4]

---

(1) ينظر : اللّسانيات العامّة ـــ مصطفى حركات ـــ دار الآفاق الجزائر ـــ د.ط ـــ د.ت ـــ ص : 9-10 .

(2) الخصائص ـــ ج1 ـــ ص : 33 .

(3) اللّغة ـــ ص : 35 .

(4) ينظر : اللّغة و التّواصل ـــ عبد الجليل مرتاض ـــ دار هومة ـــ الجزائر ـــ د.ط ـــ 2000 ـــ ص : 80 .

فالتّواصل بهذا الإعتبار يعدّ عنصرا من الأهمية بحيث لايستطيع أن يستغنـــي عنه الإنسان ، فهو أكسجينه الثّاني ، يحيا معه و ينتهي بوفاته ، وقد يستمرّ بعده من خلال آثاره المكتوبة . فإذا كانت اللّغة ظاهرة صوتية فـــي المقام الأوّل ، فإن الكتابة ما هي إلاّ صورة مرئية لها ، تنقلها من بعدها الزّمني إلى البعد المكاني[1] ، " فالظواهر الصّوتية تتتابع في الزّمن ، والحروف المكتوبة تتتابع في المكان ." [2]

العملية التّواصلية :

لقد طالعتنا نظرية شانون المعلوماتية منذ 1949 بتعريفها للتّواصل بأنه : " تحوّل الإعلام أو تنقُّله بين باثٍ و متلقٍّ ، وذلك بفضل مرسلة تمرّ عبر قناة ، مثل الإعلام عن طريـــق [الهاتف] حيث الباثّ أو المتكلّم سيرسل إلى مستقبله أو مكالمه مرسلةً بفعل ذبذبات كهربائية ، بواسطة قناة الخط الهاتفي . " [3] و الملاحظ في هذا التّعريف أنّـــه مادّي شكلـــي لا يضْطلع بجميع أجزاء العملية التّواصلية و تفاصيلهـــا ، " فإنّ نظرية المعلومات لا تأخذ بعين الاعتبار المظهر الدّلالي و لا تهتـــمّ إلاّ بالإرسال و التّحويل أو النّقل و استقبال المرسلة الواردة عليها كشكل ." [3]

كمـــا وُضعت تعريفات أخرى للتّواصل ، منهـــا ما أشار إليـــه جون ديبـــوا (J.Dubois) في معجم اللّسانيات ؛ عندما قـــال أنّ : " التّواصل تبادل كلامي بين المتكلّم الذي ينتج ملفوظـــا أو قولا موجّهـــا نحو متكلّم آخر يرغب في السّمـــاع أو الإجابة ." [4]

---

(1) ينظر : اللّسانيات من خلال النّصوص ــ نقلاً عن محمود فهمي حجازي ــ ص : 43 .

(2) نفسه ــ ص : 43 .

(3) اللّغة و التّواصل ــ ص : 80 .

(4) نفسه ــ ص : 78 .

وما أشار إليه روبير لافون (R.Lafon) عند ما قال إنّ " التّواصل هوما يتمّ تبادله من أفعال كلامية شفوية كانت أم مكتوبة بين متخاطبين ، ولكـــي يتحقّق هذا التّبادل لابدّ أن يتوفّر شرط أساســي وهــو : أن ينطلق المتخاطبان من وضع لغــوي (Code) واحد في الإرسال والاستقبال ." (1)

و يصوغ الباحث الأمريكـــي شارل كولي (C. cooly) تعريفا آخر يقترب فيــه من التّعريف السيميولوجي للتّواصل ، يقول فيه : " هــو الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية و تتطوّر ، إنّه يشمل كلّ الرّموز الذّهنية مع وسائل تبليغها عبر المجال و تعزيزها في الزّمان ، و يتضمّن أيضــا تقاسيم الوجــه و تعابيره ، و هيئات الجســم والحركات ، و نبــرة الصّوت و الكلمــات و الكتابات و المطبوعات ... و التّلغرافات والتّلفون وكلّ ما يشمله آخر ما تمّ من اكتشافات في الزّمان و المكان ." (2)

فالتّواصل بالشّكل الذي عرضه (كولي) ، يدرج كــلّ أنواع التّواصل ، سواء تعلق الأمر بالتّواصل عن طريق اللّغة الإنسانية المعروفة التي يمثلها ' اللّسان ' أو غيرهــا من اللّغات الأخرى ، كلغة الإشارة ولغة الرّموز و ما إليها .(3)

ولعلّ ' اللّسان ' هو أهمّ أنظمة التّواصل جميعها ، وهو نظام تتحاور وحداته و تتقابل وفق قواعد مضبوطة لتأدية الدّلالة و حصول الفائدة بين مستعمليه . " إن امتلاك اللّغة الإنسانية هي السّمة الأكثر تمييزا للفــرد عن باقي التّبعات الثّقافية الأخرى ، يتعلّق الأمر بسمة ليست فقط مشتركة بين كلّ النّاس بغض النّظر عن انتماءاتهم الثّقافية ، بل

---

(1) المجلس الأعلى للّغة العربية ــ بشير ابرير ــ التّواصل مع النّصّ ــ مجلّة فصلية يصدرها المجلس ــ العدد الرّابع ــ 2001 ــ ص : 203 .

(2) نفسه ــ ص : 204 .

(3) Les Formes de la communication / Jaques Durand / Bordas / Paris / 1981 / p : 2 .

هي الوسيلة الأكثر انتشارا و استعمالا فـــي التّواصل الإنساني ." [1] و يعتقد مارتينـــي و أصحاب المدرسة الوظيفية أنّ ما يميز اللّسان البشري عن باقي أنظمة التّواصل ، هو أنّه مركّب بطريقة ثنائية [2] من خلال ما ' أسماه بالتّمفصل المزدوج ' ، فهـــو يتركّب من وحدات دالّة علـــى معنى كالجمل وشبه الجمل و الكلمات ، أصغرها ' المونيم ' ، من جهة ، ومن وحدات خالية من المعنى ، أصغرها ' الفونيم ' ، من جهة أخرى .[2]

ولمّا كان ' اللّسان ' يتكـــوّن من وحدات دالّة و أخرى غير دالّـــة ، وجب على طرفـــي التّواصل ؛ المرسل و المرسَل إليـــه أن يمتلكا نفس السّنن و إلاّ تعطّـــل التّواصل و لم يؤد الغرض المرجو منه .

فالتّواصل اللّغوي مسار يجب أنْ تحمل فيـــه السّلسلة الصّوتية نفس المعنـــى بين المتكلّم والمستمع ، " فقد يكون من الضروري أنْ نستخلص من ذلك أن متكلمـــي لغة طبيعية معيّنة يتواصلون فيما بينهم في لغتهم ، لأنّ كلّاً منهم يمتلك ـــ بصورة أساسية ـــ نفس تنظيم القواعد . " [3] وعلى هذا الأساس ، فالتّواصل نظام ينطلق فيه المتكلم و المخاطب " من الوضع نفسه لبناء الخطاب و فكّ رموزه و ارساله و استقباله ، و من ثمّة فهمه في مختلف ظروفه واحواله ." [4]

و تبنى العملية التّواصلية على العناصر التّاليـــة : [5]

---

(1) La Science de la communication / Judith LAZAR / que sais- je ? / Dahleb / 2 ème édition / 1993 / p : 79 .

(2) ينظر : اللّسانيات العامّة ـــ ص : 8 .

(3) اللّغة و التّواصل ـــ ص : 37 .

(4) التّواصل مع النّصّ ـــ المجلس الأعلى للّغة العربية ـــ ص : 204 .

(5) انظر : خولة طالب الإبراهيمي ـــ مبادئ في اللّسانيات ـــ دار القصبة للنّشر ـــ الجزائر ـــ د.ط ـــ 2000 ـــ ص : 27 ـــ 28 .

ـ المرسـل : و هو المتكلّم ، صاحب المرسَلة و باعثها .

ـ المرسل إليه : وهو المخَاطب ، ملتقط المرسلة و باعثها .

ـ القنـاة : وهي موصِلُ المرسَلة بين المتكلّم و المخاطب ، فقد تكون الهواء أو مادة معدنية أو غيرها .

ـ المرسَـلة : وهي الخطاب الذي يحمل الدّلالة .

ـ السُّنـن : النّظام المشترك والمتّفق عليها بين طرفي التّواصل : المرسِل و المرسَل إليه .

ـ المرجـع : هو الشّيئ الحقيقي الموجود فعلاً في الواقع ، الذي تحيل إليه المرسَلة .

و تتّخذ العملية التّواصلية " عدّة أبعاد ذهنية و تصوّرات فكرية وقنوات فيزيائية وصوتية ونفسية وفيزيولوجية . " (1)

وهي تقوم وفق مايلـي :

أولا ؛ لابد أن يتوفّر ' مثير ' يدفع ' المرسل ' إلى الكلام ، و إلاّ لمـا احتاج إلى ذلك . وقد يكون هذا المثير (Stimulus) داخليـا كأن يشعر الإنسان بالألم أو الجـوع أو العطش أو السّرور و غيرها ، و قد يكـون خارجيا ناتجا عـن العالم الخارجي الذي يحيط بالإنسان ، كمشاهدة شخص فـي موقع خطـر يجب تنبيهـه و تحذيـره و ما إلى ذلك . (2) ثم يعمد بعـد ذلك إلى التّصور الفكري الملائم واختيار المعانـي المناسبة و وضعها في قوالبها الجاهزة المتوفّرة في لغته ، إلى اختيار الأصوات المناسبة التي بإمكانها أن تحمل تلك القوالب المعنويـة ، إلى إصدار الدّماغ أوامره إلـى الآلة النّطقية لتتحرّك بالكيفية المناسبة لإصدار هذه السلسلة اللّغوية ، فتخرج الأصوات مـن حيِّز الكتمـان

---

(1) اللّغة و التّواصل ـ ص : 9 .

(2) ينظر : أضواء على الدّراسات اللّغوية المعاصرة ـ ص : 78.

إلى الوجود ، وهنـــا تقف مهمّة المرسِل المتكلّم .[1] تنتقل هذه الأصوات علـــى شكل ذبذبات عبر الهواء وغيره إلى أذن المرسَل إليه " فتدقّ طبلتهـــا و تحدث اهتزازات في أذنه الوسطى و الدّاخليـــة ، لتنتقل عبـــر الأعصاب إلى الدّماغ ."[2] فيقوم بحلّ رموزهـــا وتفكيك شفرتهـــا إلى إدراك تركيبها الصّوتي و الصّرفي و النّحوي وصولا إلـــى إدراك دلالتها ومقصود المتكلّم من خلالها ، ولا يتأتّـــى ذلك إلاّ إذا اشترك المتكلّم و المخاطب في نفس السّنن .

ومن خلال ما سبق يمكننـــا تمييز ثلاث مراحـــل كبرى تبنـــى عليهـــا العملية التّواصلية :

1- مرحلة أولى فيزيولوجية عصبية نفسية حركية داخلية تخصّ المرسل المتكلّم .

2- مرحلة ثانية فيزيائية محضة تقع بين فمّ المرسل و أذن المستمع تهتمّ بنقل المرسَلـــة .

3- مرحلة ثالثة فيزيولوجية عصبية نفسية حركية داخلية تخصّ المرسل إليه المخاطب .[3]

و في الرّسم البياني التّالي بيان لذلك :

---

(1) ينظر : أضواء على الدّراسات اللّغوية المعاصرة ـــ ص : 83 .

(2) نفسه ـــ ص : 84 .

(3) ينظر : اللّغة و التّواصل ـــ ص: 11 . و ينظر : اللّغة بين المعيارية والوصفية ـــ ص : 156 .

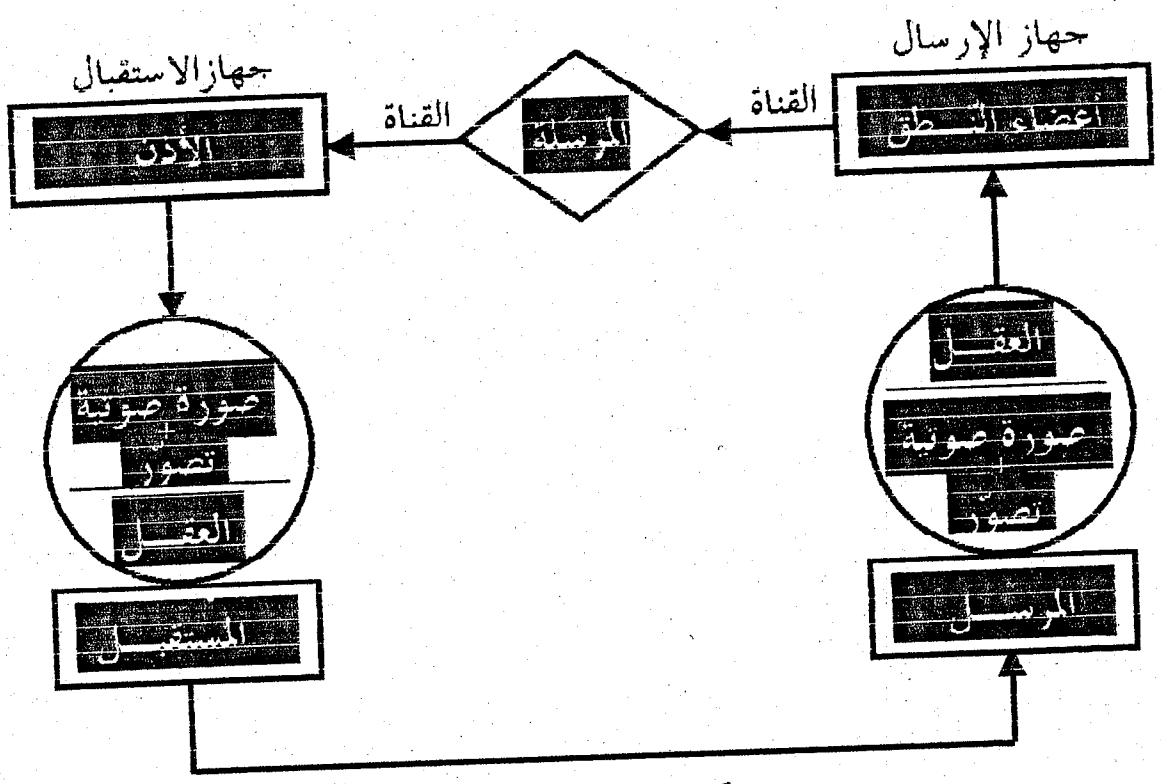

انعكاس متّجَه الإرسال

— تواصـــل —

و كان ممّن حدّد أبعاد العملية التّواصلية الأوائل بالشّكل الذي أشرنا إليه ، العالم اللّغوي السويسري المشهور فرديناند دي سوسير ، الذي يشترط أنْ تتوفّر دورة التّواصل على الأقلّ على فردين ؛ (أ وَ ب) ، بحيث تكون نقطة انطلاق الدّورة التّواصلية في ذهن (أ) أين توجد المعاني مرتبطة مع صورها السّمعية التي تمثّلها .

إنَّ أيّ مفهوم أو معنى ما ، يثير في الذّهن صورة سمعية مناسبة ، وهي عملية فيزيائية متبوعة بعملية فيزيولوجية متمثلة في دفع الذّهن أعضاء النّطق لتتحرّك بكيفية مناسبة للصّورة السّمعية ، ثمّ تنتشر الأمواج الصّوتية من فمّ (أ) إلى أذن (ب) ؛ و هي مرحلة فيزيائية محضة .

ثمّ يستمرّ المسار التّواصلي إلى (ب) على شكلٍ عكسي ؛ من الأذن إلى الدّماغ ، وهي عملية تحويلية فيزيولوجية للصّورة السّمعية ، التي تربط في الذّهن فيزيائيا مع المعنى المناسب ، و إذا تكلّم (ب) بدوره ، فإن هذا الحدث الجديد يسلك نفس المسار ويتبع نفس الخطوات التي سلكها (أ) .

و مسار العملية التّواصلية في منظور دي سوسير ، يسير وفق الشّكل التّالي : [1]

---

(1) ينظر : Cours de linguistique générale / p : 27 .

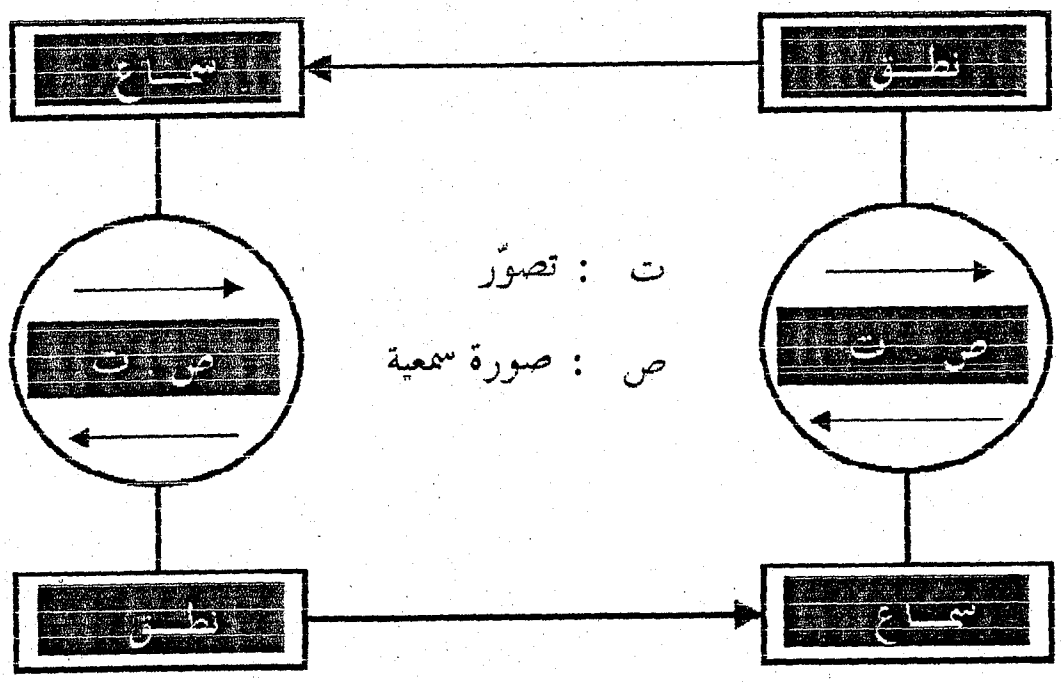

و يعترف دي سوسير بأنّ التّحليل الذي قدّمه لا يخْلُ من النّقص ، و أنّه ركّز على ماهو مهمّ في العملية التّواصلية .[1]

وإذا كان اللّسانيون يعيبون على سوسير إهماله لبعض جوانب العملية التّواصلية " ولاسيما ما كان مرتبطا منهـــا بالقاعدة الفيزيائية التي تساعد على تبليغ المرسَلة و نقل إشاراتها ، و نعني بهـــا القناة ، فضلا عن السّياق الدّال علـــى المقام و الظّروف المحيطة بالإبلاغ ... ، فإنهم يطمئنون أكثر "[2] إلى الدّائرة التّواصلية الجاكوبسونية .

فإذا كـــان رومان جاكبسون في بحثـــه علـــى تحديد ' الوظيفة الشّعرية ' في اللّغة قصْد عزلها ، قد أعاد رسم الدّائرة الكلاسيكية للتّواصل من أجل تكْملتهـــا و دراسة كل ما يرتبط بهـــا . فقد جعل لكلّ عملية تواصلية ستّـــة عناصر تتكوّن منها :

---

(1) ينظر : cours de linguistique générale / p : 26 -27-28 .

(2) اللّغة و التّواصل ـــ ص : 11 .

مرسِـــل ، مرسَل إليه ، مرسَلة ، قناة ، سنـــن ، و سياق (مرجع) .
و تمثل لها الدّوائر اللّسانية بالخطاطة التّاليـــة : [1]

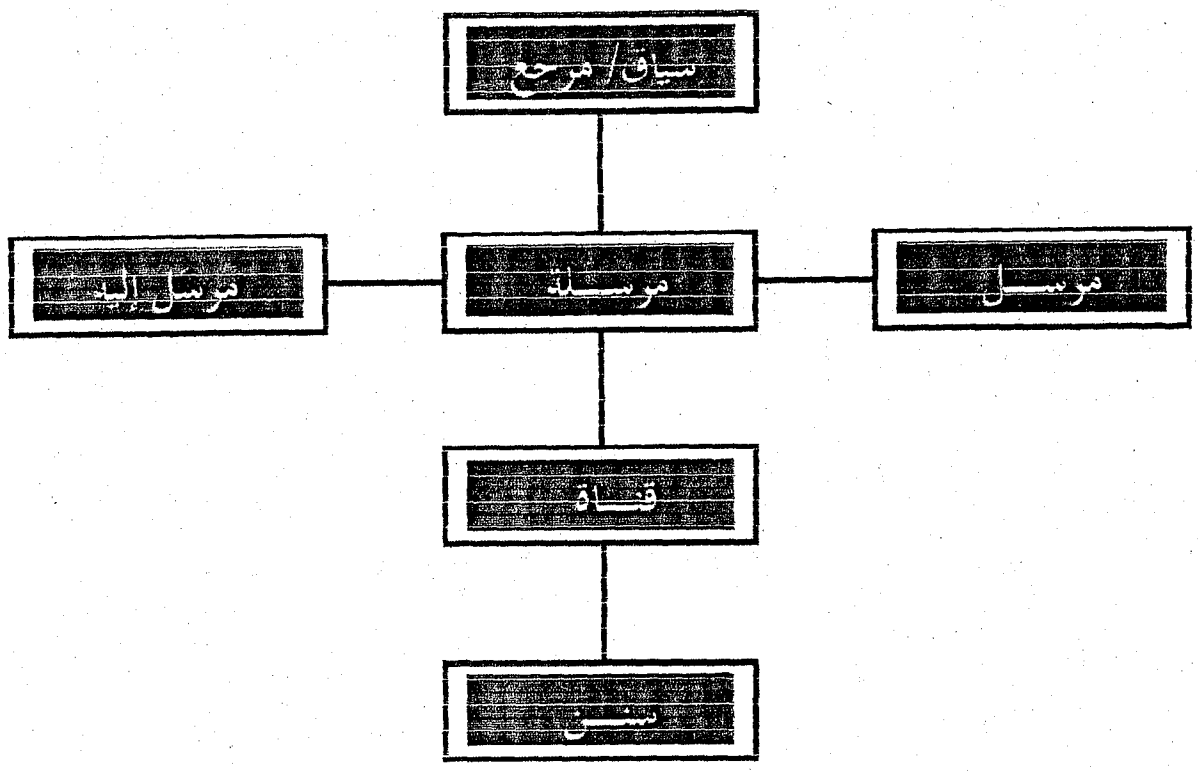

فالمرسَلة التي يوجّههـــا المرسل إلى المرسَل إليه ، فهـــي تحيل على مرجع ، كما تشترط وجود رابطة بين المرسِل و المرسَل إليه ، بالإضافة إلى توفّر سنن مشترك بينهما . وكلّ من هذه العناصر يؤدّي دوره و يترك تأثيره على المرسَلة . فيكون بذلك ما أسماه

---

(1) ينظر : Initiation aux problèmes des linguistiques contemporaines / p : 115.

جاكبسون ' بوظائف اللّغة ' ، و تفصيلها كالآتـــي : [1]

1- الوظيفة المرجعية (F. référentielle) :

تتعلّق بمرمى و هدف المرجـــع الذي هو ' التّبليغ ' و ' التّواصل ' و ' نقل الخبر ' .

وتعتبر أساس الوظائف الأخـــرى ، فهي جزء منها و فرع عنها .

2- الوظيفة التّعبيرية (F.éxpressive) :

تتعلّق بالمرسِل ، ومن خلالها يفصح عن مشاعره و أفكاره و أغراضه . فكل مرسَلة تحمل سمات صاحبها و تبيِّن طبيعتـــه .

3- الوظيفة الخطابية (F. Conative) :

تتعلّق بالمخاطب من حيث أنّ المرسَلة موجّهة إليه ، فالتّوجـــه إلى المخاطب يعني إثارة وجدانه و ردود أفعالـــه .

4- الوظيفة التّوصيلية (F. Phatique) :

تعكس الظّروف التي تمّ فيها الخطاب ، و التّأكد من كون المرسَلة تصل فعلا إلى المرسَل إليه . و أحسن مثال على ذلك هو استعمال كلمة ' ألو ' في الهاتف ، التي ليس لها معنى غير التّحقّق من أنّ الاتّصال واقع و موجود .

5- الوظيفة ما بعد اللّسانية (F.Méta-Linguistique) :

تعكس وعي المرسِل بالقواعد والسّنن التي يستعملها ، وتتجسّد هذه الوظيفة في الشّروح التي تتخلّل العملية التّواصليـــة ، كقول المتكلّم للمخاطب ، أعني بهذه الكلمـــة كذا ، و أقصد بالأخرى كذا ... .

---

(1) ينظر :

Initiation problèmes aux des linguistiques contemporaines / p : 115 -116 .

و ينظر : خولة طالب الإبراهيمي ــ مبادئ في اللّسانيات ــ ص : 30-31 . وانظر : محمد الصغير بناني ــ النّظريات اللّسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ من خلال البيان و التّبيين ــ ديوان المطبوعات الجامعية ــ الجزائر ــ د.ط ــ 1983 ــ ص : 195 .

6- الوظيفة الشّعرية الجمالية (F. Poétique) :

تعكس الشّحنة الإضافية و الدّلالة الزّائدة التـــي تُنْقَل بهـــا المرسَلة ، فالإهتمام فيها ليس منصبًّا على الإخبار بقدر ما هو منصبّ على الكيفية التي صيغت بها هذه الأخبار .

و كلّ هذه الوظائف تتعانق وتتعايش مع بعضهـــا البعض لإقامة العملية التّواصلية ، ولا يمكن بأي حالٍ من الأحوال عزل إحداها و تخصيصها بالتّواصل والتّبليغ دون بقيتها .(1)

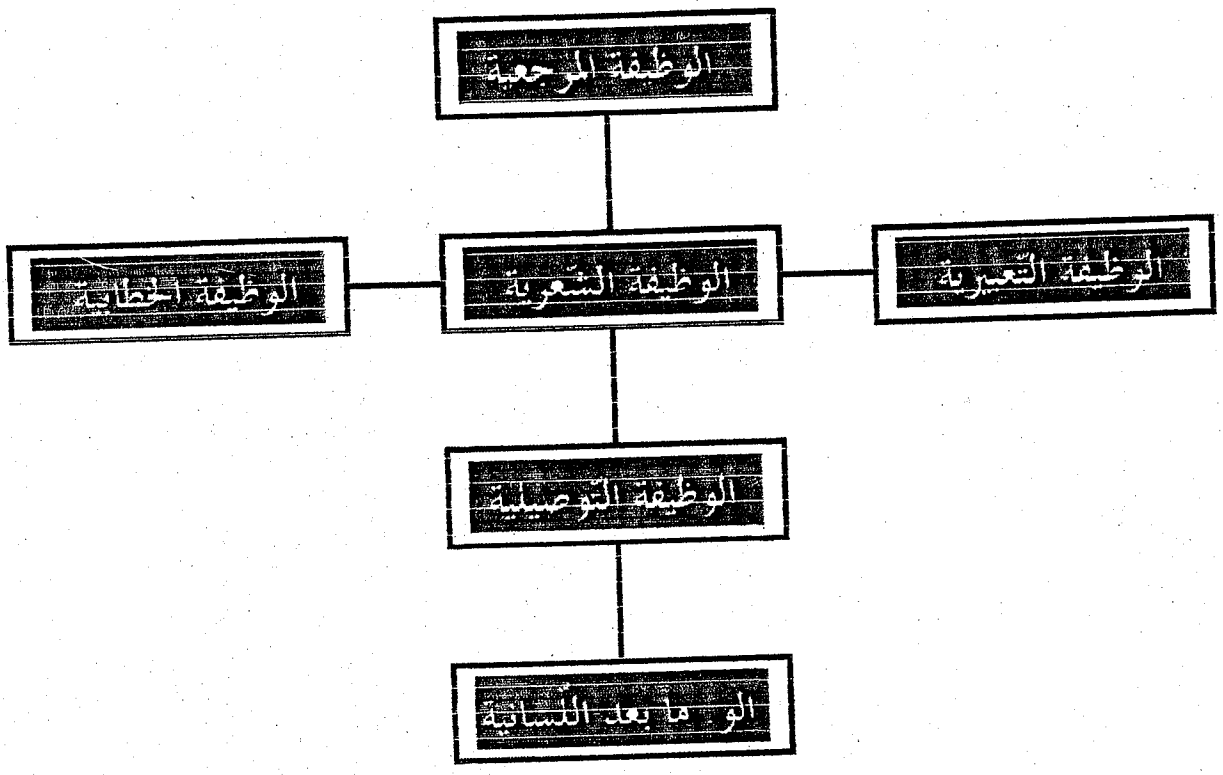

و العملية بهذا الشّكل لا تتمُّ بين الباثّ و المتلقّـــي إلاّ بتوفّر اتّفاقٍ دلالـــي يوازي اتّفاقا صوتيا يوازي تواضعا بين الطّرفين .(2)

---

(1) ينظر : Initiation aux problèmes des linguistiques contemporaines / p : 116 .

(2) ينظر : اللّغة و التّواصل ـــ ص : 40 .

المرسِل	المتلقّي
الاتّفاق الدّلالي المتبادل (المدلول)	
الاتّفاق الصّوتي المتبادل (الدّال)	
التّواضع اللّغوي المشترك (العلامة اللّسانية)	

وأحسن مثال لها هي ' الحياة التّعليمية ' ، من حيث أنّـــها تمتلك كلّ آليات التّواصـــل وعناصـــره ، فالأستاذ يمثل المرسِل ، و الطّلاب يمثلون المرسَل إليـــه ، و المادّة التّعليمية المتبادلة بينهما تمثل المرسَلة ، و المقام و السّياق الذي قيلت فيه هذه المادّة العلمية ، يمثّل المرجع ، والقناة النّاقلة للأصوات بين فم الأستاذ و آذان الطّلبـــة أو العكس هي الهواء الموجود في قاعة الدّرس ، و السّنن أو الوضع المشترك بين الإرسال و الاستقبال هو اللّغة المستعملة و المفهومة لدى الطّرفين .

فالعملية التّواصلية تتحقّق على أكثر من صعيد .

و في هذه الدّائرة تلخيص لصيرورتها داخل قاعـــة الدّرس :

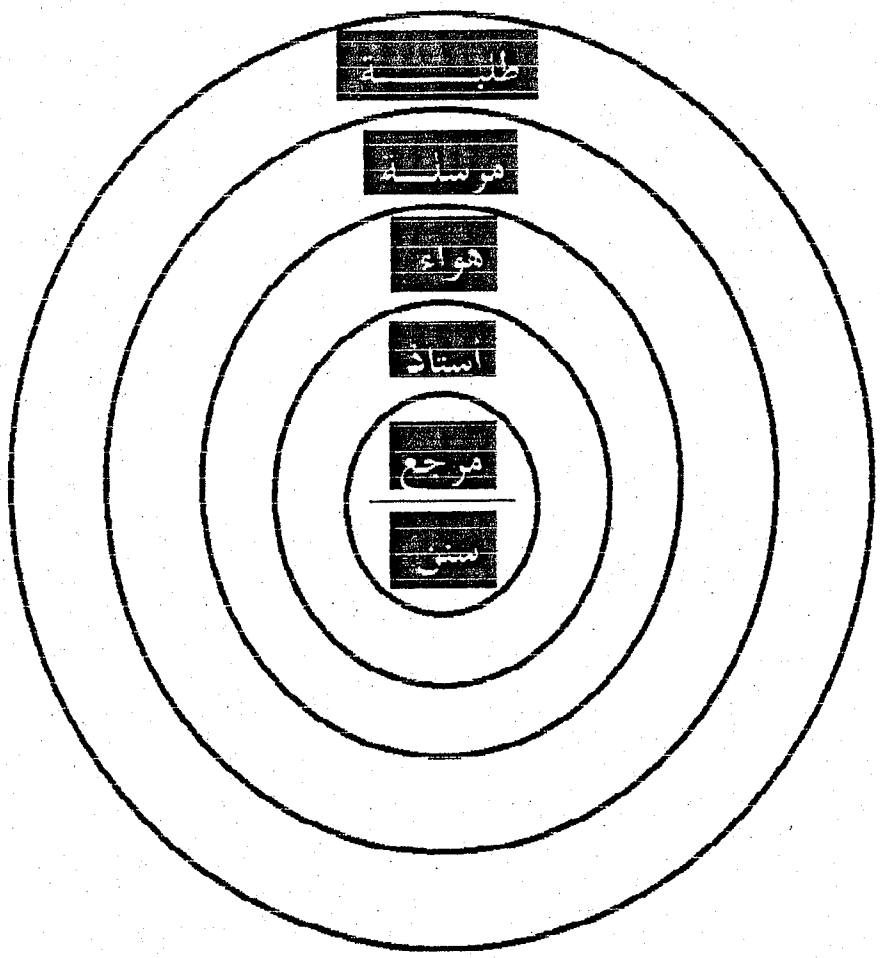

وبعد استعراضنا لنموذجيْ تواصل لقطبين من أقطاب اللّسانيات في أوربا ، لابأس أن نعرّج على قطب آخر و نموذج مغاير من نماذج التّواصل وإن التقت كلّها حول الأهمّ والأصل ، يتعلق الأمر بنموذج ' نيو كمب ' (New Comb) التّواصلي الذي أسماه بالنموذج المثلّث ، وهو أوّل من أشار إلى أهمية التّواصل في العلاقات الاجتماعية .

فبالنّسبة لـــه ، يلعب التّواصل دوراً بالغ الأهميـــة فـــي حفظ التّوازن داخل النّظـــام الاجتماعي .[1]

و النّموذج الذي عرضه يتعلّق بالعلاقات ما بين الأفراد ؛ و يمثّل لـــه بالشّكل التّالي :

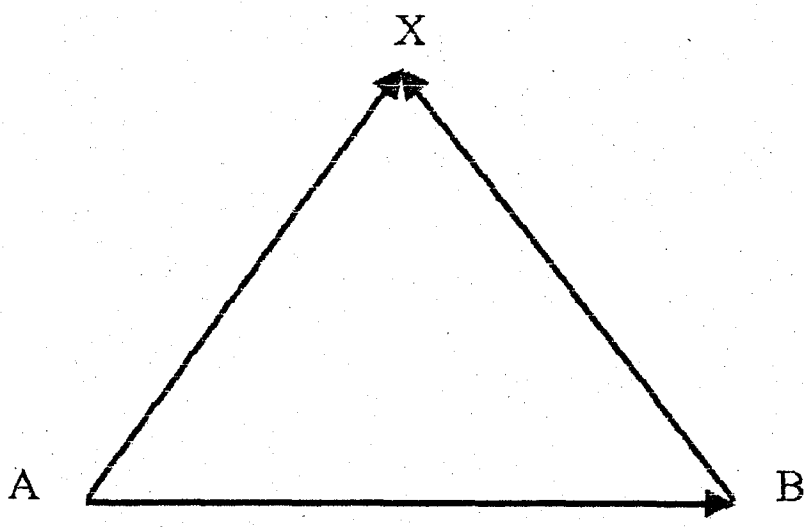

فـــ(A) وَ (B) هما المتكلّم و المخاطب ، يتعلّق الأمر بأفراد ، وقد يتعلّق بمؤسّسات وحكومات . و (X) ينتمي إلى محيطهما الاجتماعي ؛ فقد يكون شخص مثلهما ، كما قد يكون شيئ ما ، و العناصر الثّلاثة (X . B . A) تكوّن مجتمعة نظاما ، بمعنى أنّه تجمعهم علاقات متبادلة ، فإذا تغير (X) يتغيّر كذلك (A) و(B) بدورهما وهكذا .

---

(1) Science De la communication / p : 109 .

فمن خلال هذا النّموذج ، يتبيّن أنّ الوظيفة الأساسيـــة للتّواصل هـــي السّماح لفردين أو مجموعة من الأفراد من الحفاظ على علاقاتهم تجاه بعضهم بعضا من جهة ، و تجاه العالم الخارجـــي الذي يحيط بهم من جهة ثانية ، فطرفا التّواصل كلاهما متّجه نحو الآخر و نحو (X) في الآن ذاتـــه .

فالتّواصل بهذا الشّكل يُفهم على أنّه المساق الذي يسعى للإبقاء على الوضعية نفسها بين العناصر الثّلاثة ، عن طريق تبليغ المعلومات المتعلّقة بكلّ التّطورات المتوقّعة حتـــى يتـــمّ التّلاؤم معها . و رغم إهمالـــه لبعض عناصر العملية التّواصلية ، فإنّ هذا النّموذج ركّز على ما رآه مهمًّا فيها وهو حاجة الأفراد للتّواصل فيما بينهم ، قصد التّكيف مع المحيط الذي يجمعهم .[1]

أنواع التّواصل اللّساني :

1- التّواصل بين الأفراد :

وهو أساس وقاعدة التّواصلات الإنسانيـــة ، لذلك لم يكن غريبا أن اهتـــمّ به الباحثون .[2] وفيه تربط العلاقة بين عنصرين (مرسِل و مستقبل) بوساطة قناة . ومثال هذا الإرتباط بين المرسِل و المرسَل إليه ، خطّ يربط بين نقطتين ، كخطّ الهاتف : [3]

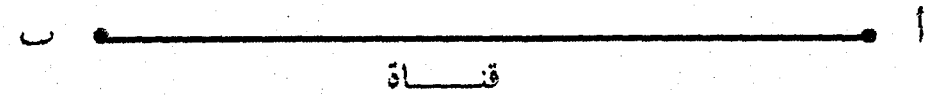

(1) ينظر : Science De la communication / p : 110 - 109 .

(2) نفسه ـــ ص : 53 .

(3) Les Formes de la communication / p : 33 .

و يقسّم بدوره إلـــى : [1]

أ ــ تواصل موجّـــه : يستمرّ فيه التّواصل عبر قناة بين عنصرين لهمـــا دوران مختلفان ؛ أحدهما مرسِل و الآخر مستقبِل .

ب ــ تواصل متبادَل : هو الذي يمكِن أنْ يصبح فيه القطبان كلاهما مرسِل ومُستقبِل ، وهو الأساس في العملية التّواصلية .

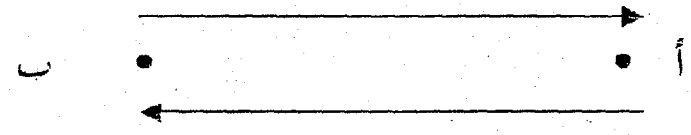

2- التواصل الجماهيري :

وهو نتاج التّطـــور الصناعي و العمرانـــي ، فهو الذي خلق الوضعية المناسبـــة لظهوره .[2] و فيه تتعدّد أقطاب العملية التّواصلية أين تُترجم العلاقة بين مصدر الإعلام والجمهور . و في الشّكل التّالي تمثيل لذلك :

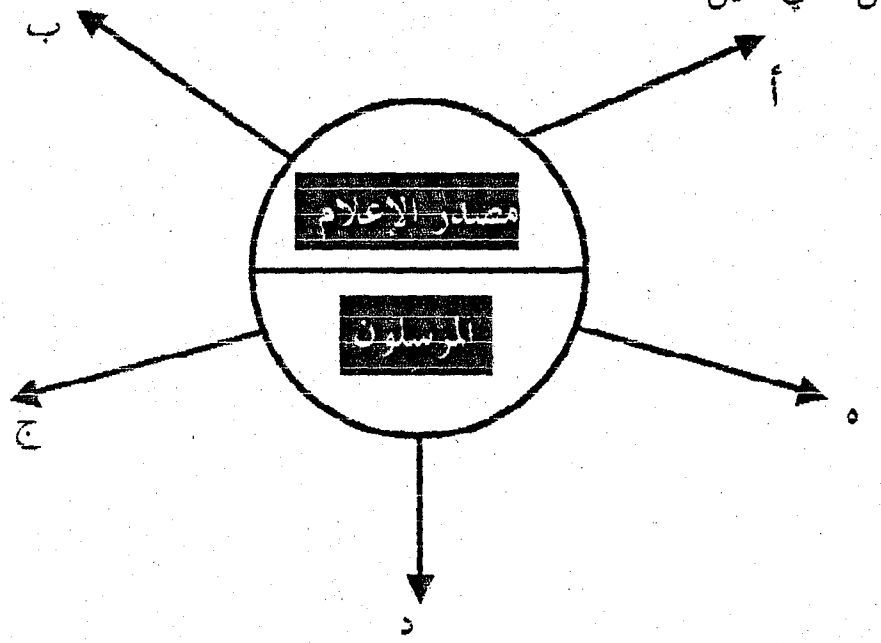

---

(1) Les formes de la communication / p : 34-35 .

(2) Science De la communication / P : 65 .

وقد عرف النّاس في تواصلهم اللّساني قنوات ووسائل و تقنيات جديدة بالإضافة إلـــى التّقنية القديمة التي هي المشافهة .

1- الكتابة :

من أهمّ الابتكارات التي ميّزت الإنسان ؛ الكتابة . فهي تعدّ إلى جانب المشافهة أساس التّواصل الإنسانـــي من حيث أنّها حاملة الفكر و متضمّنة جميع معارف و علوم الإنسان ، مخترقة في ذلك الزّمان و المكان .[1]

2- المذياع و الهاتف :

نتاج التّطور التكنولوجي الذي عرفه الإنسان ، فالمذياع و الهاتف مثالان لتسهيل التّواصل بين الأفراد و الجماعات .[2]

3- السّمعي البصري :

هو ذلك التّطور العجيب الذي وصل إليه الإنسان خلال العصر الحديث ، وهو يوضّح القدرة على مضاعفة ' مرسَلة ' موجّهـــة من خلال سبل سمعية أو سمعية بصرية لتمسّ شريحة أكبر من الأفراد .[3]

4- الإعلام الآلي و الإنترنات :

آخر الابتكارات الإنسانية في مجال التّواصل ، تتميز بسرعتها في الآداء و القدرة على الانتقال إلى أيّ مكان على وجه الأرض ، ومن ثمّة التّواصل مع أفراده .[4]

---

(1) La science de la communication / p : 89-90 .

(2) نفسه ـــ ص : 94 .

(3) نفســه ـــ ص : 95 .

(4) ينظر : نفسه ـــ ص : 98 .

و يمكننا ـــ في آخر المطاف ـــ تصوّر خطاطـــة تلخّص لنا العملية التّواصلية العامة في أبسط صورها :

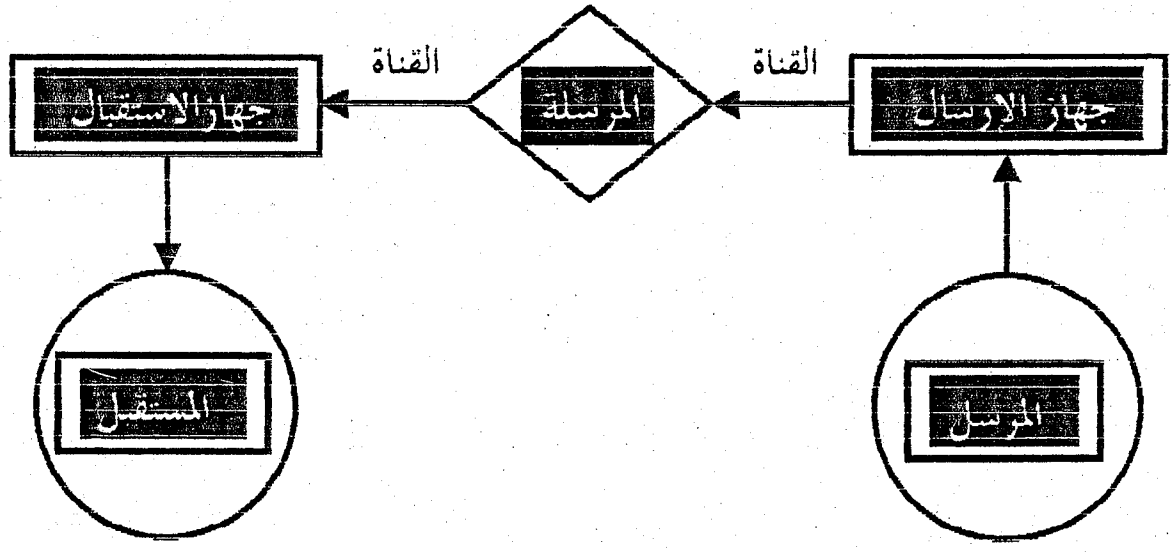

وظيفة الاقتصاد المورفونولوجي فيها من خلال سورة "كلا".

التّعريف بالسّورة

(طـــهَ) [1] هي السّورة العشرون من ترتيب سور القرآن ، وهي من السّور المكية ، وآياتها مائة وأربع وثلاثون (134) ، و تمثل الحزب الثّالث والثّلاثين من ترتيب أحزاب القرآن الكريم .

والأصل في ' طَهَ ' هو أمر (بالوطْء) على الأرض ، حيث أنّ النبي ــ صلّى الله عليه و سلّم ــ كان يقوم في تهجّده على إحدى رجليه ، فأُمِر بأنْ (يَطَأ) الأرض بقدميه معا . ولّما كانت الهمزة أعسرَ على النّطق ، خُفّفت في (طأها) ــ بمعنى (طأ الأرض) ــ إلى (ألف) مماثلةً للفتحة قبلها لتصير (طاها) . وسعيا لتخفيف العملية النّطقية ، ورغبة في الإسراع بها ، اختُصرت الفتحة الطّويلة في (طا) و (ها) إلى قصيرة ، لتصل إلى صورتها السّطحية على الشّكل (طَهَ) .[2]

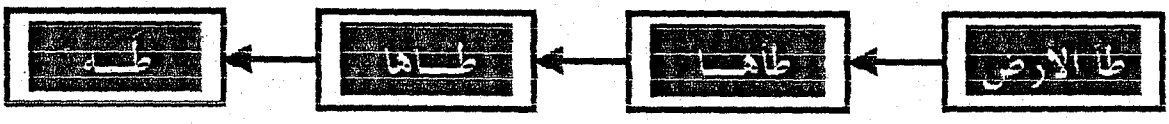

و قيل أنّ أصل (طَهَ) هو الحرفان المقطعيان (طاء ، هاء) ، و لّما ثقلت عليهم ' الهمزة ' في الموضعين خُفّفت لتصبح (طا ها) كمرحلة أولى ، ثم اختُصرت الفتحة الطّويلة في كليهما لتصير (طَهَ) كمرحلة ثانية .[3]

---

(1) الآية 1 .

(2) ينظر : تفسير الكشّاف عن حقائق التّنزيل و عليون الأقاويل في وجوه التّأويل ــ الزّمخشري ــ تحقيق وتعليق : محمد مرسي عامر ــ دار المصحف ــ القاهرة ــ د.ط ــ د.ت ــ ج4 ــ ص : 25 .

(3) ينظر : في ظلال القرآن ــ سيّد قطب ــ دار الشّروق ــ بيروت ــ ط12 ــ1986 ــ المجلد 4 ــ ص : 2326 .

وإذا بحثنا في مضمون هذه السّورة ، وجدناها تُبيّن في مطلعهـــا ، المهمّة الموكلة للرّسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وحدود تكاليفه ، فهي ليست ثقلاً أُلقي على عاتقه أو شقاءً كُتب عليه ، إنّما هي رحمة ونور و تذكرة و إنذار و سبيل إلى الجنّة .[1] فالعودة إلى الله أمر واقع ، و الرّجوع إليه أكيد ، وعندها سيقف الخلق طائعهم و عاصيهم أمام جلالته ينتظر و عيده ، فتُجزى كل نفسٍ بما اكسبت في دنياها . ثم تتعرّض لقصة سيِّدنا موسى ـــ عليـــه السّلام ـــ من بدْء رسالتـــه إلى غاية اتّخاذ بني إسرائيـــل العجل بعد خروجهم من أرض مصر ، فتبيِّن مناجاة الله ـــ سبحانه و تعالـــى ـــ لكليمه موسى في الواد المقدّس ، ثمّ تتعرّض إلـــى رحلة موسى وأخيه هارون إلى فرعون لدعوته إلى الهدى ودين الحقّ ، وتُصوِّر تلك المناظرة التي دارت بينهما ، وحال منازلته للسّحرة التي انتهتْ بإيمانهم به و بأخيه هارون ، إلـــى قصّته مع البحر ثم هلاك فرعون وجنده ، لتعرض بعد ذلك لقصّـــة سيدنا آدم ـــ عليه السلام ـــ موجزة سريعة " تبرز فيها رحمة الله لآدم بعد خطيئته و هدايته له ، و ترك البشر من أبنائه لما يختارون من هدى أو ضلال بعد التّذكير والإنذار ."[1] و تختم السّورة كما بدأت بإشارتها إلى ثواب وجزاء عِباد الله ، فيذهب الطّائعـــون إلى الجنّة التي وعدهم الله بهـــا ، بينما يسير العصاة إلـــى النّار نتيجة كفرهم وعنادهم .

وبعد البحث في السّورة ، تبيّن أنّ الظّواهر المورفونولوجية الواردة فيها فتنحصر في ظاهرة المماثلة والمخالفة بأنواعهما وظاهرة النّحت ، وقد وصل عدد تكرّرها فيها إلى حوالي (442) مرّة ، وهي مفصّلة كما يأتي :

---

(1) ينظر : في ظلال القرآن ـــ مج4 ـــ ص : 2326 .

وينظر : تفسيرالقرآن الكريم ـــ ابن كثير ـــ دار الأندلس للطّباعة و النّشر و التّوزيع ـــ د.ط ـــ د.ت ـــ ج 4 ـــ ص : 494 .

وقد تكرّرت في سورة ' طَـــهَ ' مقارنة بجميع أنواع الظّواهر المورفونولوجيـــة الأخرى بنسبة (64,21 %) ، و من نماذجها :

1 – المماثلة الكلّية التّقدمية المنفصلة :

كان عدد ورودها في السّورة (8) مرّات ، بنسبة قدرهـــا (1,80 %) ومنها لفظ 'خطايانا ' فـــي قوله تعالـــى : **(ليغفر لنـــا خَطايانـــا)** [1] ؛ فهي جمع للكلمة المفردة (خطيئة) . والأصل فيها ' الهمز ' ، فكانت في بنيتها العميقة (خطايِـــئ) على صيغة (مفاعِل) ، يقول التّحليل الصّرفي أنّهـــا مرّت بمجموعة من المراحل حتّى استقرّت على صيغتها النّهائية ؛ فلمّا وقعت الياء متحرّكة بعد ألف صيغة مفاعل أبدلت همزة (خطائِئ) ، ثقل عليهم اجتماع همزتين فأبدلـــوا الهمزة المتطرّفة ياءً (خطائِي) ، ثمّ استثقلـــوا الكسرة بعد الهمزة فـــي هذا الموضع فأبدلوهـــا فتحة لتصير (خطاءَي) ، فتقدّمت الياء المتحرّكة فتحةً فقلبوهـــا ألفاً لتصبح (خطاءا) ، فوقعت الهمزة بين ألفين و هي شبيهة بهما فقلبت ياءً مخالفة لهما لتصل إلى (خطايا) .[2] وهي طريق طويلة كما هو واضح .و يمكننا تفسير تطوّرهـــا من بنيتها العميقة إلـــى بنيتهـــا السّطحية وفق منظور صوتي ، نقول أنّ الثّقل في البنية ناتج عن وجود الصّائت الانتقالي

---

(1) الآية 72 .

(2) ينظر : الخصائص – ج3 – ص : 5 . وينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – ج2 – ص : 297 .

الضّيّق الياء المتبوع بصائت ضيّق آخر هو الكسرة بين صوتين متّسعين هما صائت الفتح الطّويل الألف و صامت الهمزة ، الأمر الذي يعيق انسيابية الحركة النّطقية و تدفّقها على اللّسان وحسن وقعها علـــى الأذن ممّا يعرقل سريان العمليـــة التّواصلية بين المتكلّـــم و المستمع ، ممّا استدعى تحويل الكسرة إلى فتحة مماثلة للألف المنفصل قبلها والهمزة المتّصلة بعدها لتصبح (خطايَئ) ، لتتجاور الفتحة والهمزة وهما جنسان فحُمع بينهما في حركة توحّد النّطق بهمـــا وذلك بإبدال الهمزة ألفاً مماثلة كلّية للألف السّابقة لتصير البنية إلـــى مرحلتها الأخيرة على الشّكل (خطايا) ، جنوحاً بها إلى التّيسير والتّسهيل .

وفي الخطاطة التّالية تمثيل لانتقال الكلمة من بنيتها العميقة إلى البنية السّطحية :

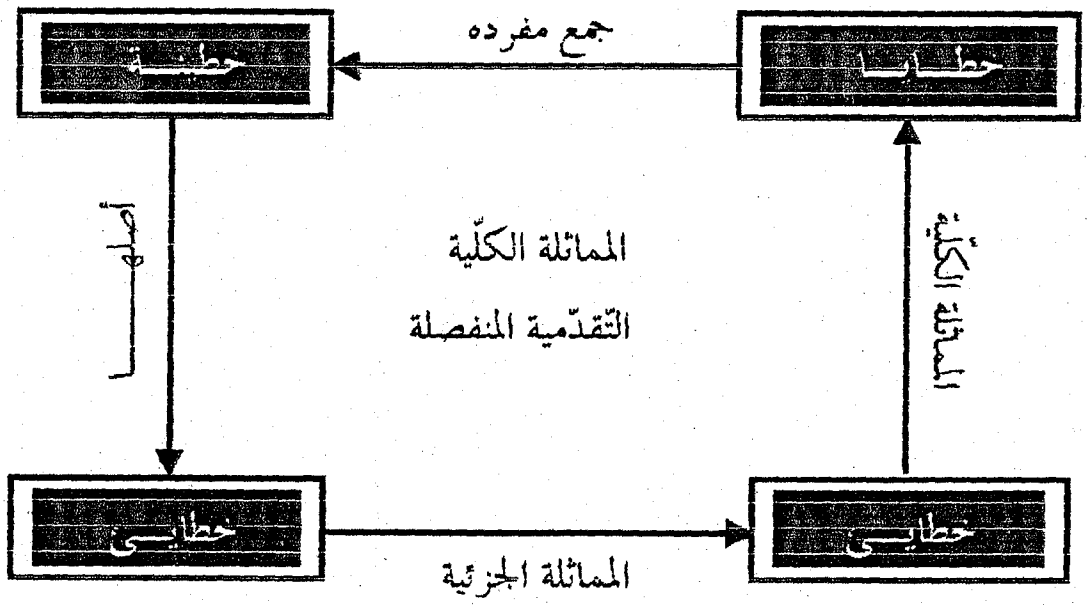

و في الألفاظ (بِهِ ، اقْذفيهِ ، سِحْرِهِم ، فيهِ) في الآيات :

ـ (اُشْدُدْ بِهِ أزري) [1] وَ (اِقْذفيهِ فِي التّابوت) [2] وَ (مِن سِحْرِهِ أنّها تسعى) [3] وَ (لا تطغَوْا فيهِ) [4] .

ففي هذه البنى قد تأثّرت حركة الضمّ للضّمير الغائب المفرد (ـهُ) ، و الجمع الغائب المذكر (هُم) ، بصائت الكسر المنفصل قبلها سواء أكان قصيرا أم طويلا ، فقُلبت إلى صوت مماثل ، وهو صائت الكسر نفسه تخفيفاً للنّطق واقتصاداً في الجهد بتوحيد الصّوائت وجعلها في مستوى واحد دفعاً بالعملية التّواصلية نحو السّلاسة والاسترسال بين المتكلّم و المستمع . فإذا كان الأصل في الضّمير : الضمّ ، فكان من حق البُنى أن تكون (اُشدد بِهُ) وَ (اِقذفيهُ) وَ (من سحرِهُم) وَ (لا تطغوا فيهُ) ، معنى ذلك أن العملية التّواصلية تتعثّر في طرفها الأوّل الذي هو المتكلّم من حيث أنّ لسانه يثقل عليه الانتقال من الكسر إلى الضمّ ، أي من الصّائت الأمامي إلى الصّائت الخلفي . فهي حركة من الصّعوبة بمكان ، إذْ يصتعصي عليه الارتفاع بمقدّمه نحو الغار ، ليعاود الكرّة بمؤخّرته والصّعود نحو أقصى الحنك في نفس اللّحظة تقريبا . و تتعثّر في طرفها الثّاني الذي هو المستمع من حيث أنّ جهاز استقباله لا يَستأنس عدم التّجانس المسجّل بين الكسر والضمّ ، رغم وجود الصّامت الذي يفصلهما .

---

(1) الآية 30 .

(2) الآية 38 .

(3) الآية 65 .

(4) الآية 79 .

2 – المماثلة الجزئية التّقدمية المتّصلة :

تكرّرت في السّورة حوالي (4) بنسبة لا تتجاوز (0,90 %) ومن أضربها :

2-1 :المماثلـــة بين الصّوامت :

في تأثير(فاء) الافتعال فـــي (تائه) ، لّما كانت الفاء (صادًا) في قوله تعالى :

(اِصْطَبِـرْ عليها) [1] وَ (اصْطَنَعْتُـكَ لنفسي) [2].

ـــ فالأصل من : اِصْطَبِرْ : صَبَرَ + افْتَعِلْ ←——— اِصْتَبِرْ .

ـــ والأصل من : اِصْطَنَعْتُك : صَنَعَ + افْتَعَلْتُك ←——— اصْتَنَعْتُك .

إنّ طرفي العملية التّواصلية يجدان ـــ كلٌّ من جهته ـــ صعوبة في إنتاج واستقبال صامتين علـــى التّوالي ؛ أحدهما مطبق و الآخر منفتح ، فأعضاء النّطق تتعثّر أثناء الانتقـــال من الاستعلاء والإطباق مع الصّاد ، إلى الاستفال والانفتاح مع التّاء مباشرة . والمعروف أنّ الأصوات المطبقة تخرج من بين أقصى اللّسان و أقصى الحنك ، فارتفاع أقصـــى اللّسان إلـــى أقصى الحنك فيه مشقّة وعسر مضاف إلى مشقّة وعسر الانتقال من الإطباق مـــع ' الصّاد ' إلى الانفتاح مع ' التّاء ' . أمّا جهاز الاستقبـــال ، فإنّه يستهجـــن هذا التّنافر الموجود بين الصّامتين و يستقبحه وينفر منه ، وهـــو ما دفع باللّغة إلى تسوية الوضع عن طريق تجنب الحركات النّطقية التي يمكـــن الاستغناء عنهـــا اقتصادا في الجهد و ميلا إلى التّيسير ودفعا بالعملية التّواصلية إلـــى الخفّة والسّرعة من خلال توحيد النّطق بينهمـــا و جعله في نفس المستوى . فسار الوضع إلى تحويل تلك البنى العميقة إلى سطحية ، يتحقّق فيها عنصر الانسجام والتّلاؤم بين الأصوات ، علـــى الشّكل التّالي :

---

(1) الآية 131 .

(2) الآية 41 .

ـ اِصْتَبَر ← اجتمع فيها (ص + ت) = مطبق + منفتح (عدم التّجانس + عسر النّطق و ثقله) ← نحو تحوّل ' التّاء ' إلى نظيرهـا المطبق ' الطّاء ' تحت تأثـير ' الصّاد ' ، إلـى (ص+ ط) = مطبق + مطبـق ، إلـى البنية السّطحيـة و الانسجام ← اِصْطَبَرْ .

ـ اِصْتَنَعْتُ ← اجتمع فيها (ص + ت) = مطبق + منفتح (عدم التّجانس + عسر النّطق وثقله) ← تحوّل ' التّاء ' إلى نظيرهـا المطبق ' الطّاء ' تحت تأثير ' الصّاد ' للمماثلة ← إلى (ص + ط) = مطبق + مطبق ، إلى البنية السّطحيـة والانسجام ← اصْطَنَعْتُ .

وفي الشّكل التّالي اختصار لعملية تطور الكلمتين :

أولا : مع صيغة (اِصْتَبِـرْ) :

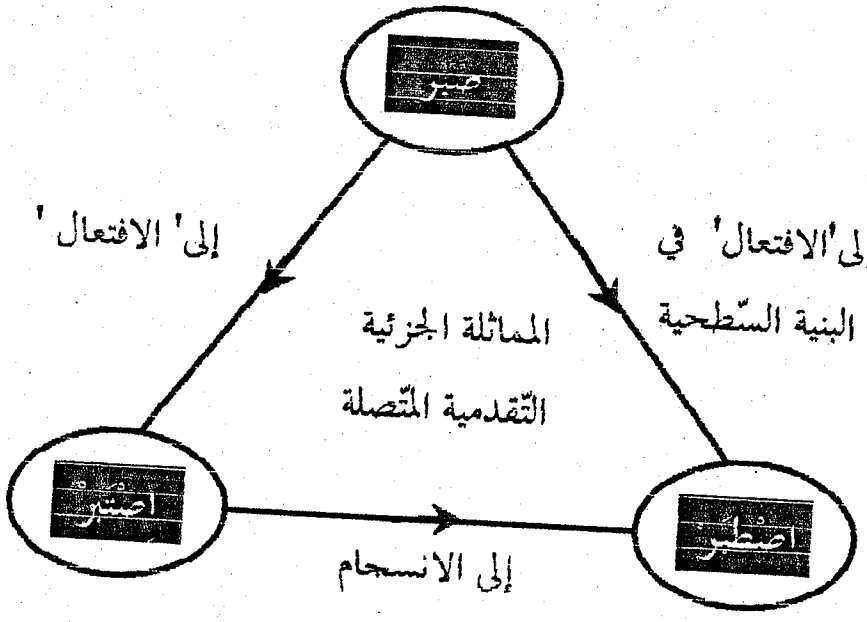

ثانيا : مع صيغة : (اصْطَنَعْـــتُ) :

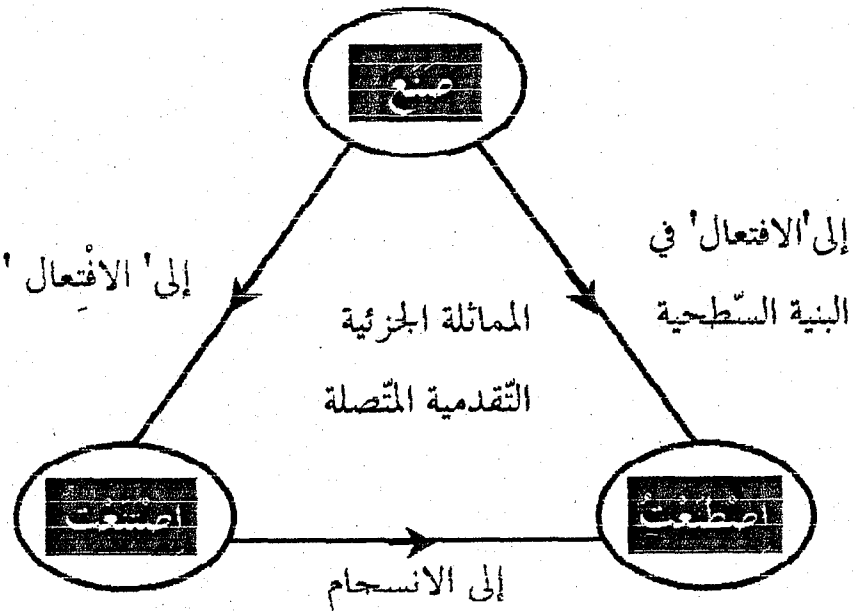

2- 2 : المماثلة بين الصّوائت والصّائتين الانتقاليين :

في 'الدّاعِيَ ' في قوله عزّ وجلّ : (**يومئذٍ يتّبعون الدّاعِيَ لا عوج له**) [1] ؛ اسم فاعل من الفعل الثّلاثي المعتلّ (دعا ـــ يدعو ـــ دعوةً) .

فمن خلال المضارع و المصدر ، يتبيّن أنّ أصـــل الصّائت الانتقالي' الياء ' في (الدّاعِيَ) هـــو : ' الواو ' . وعليه ، فأصل الفعل الثّلاثـــي ' دعا ' هو (دَعَوَ) ، واسم الفاعـــل منـــه على زِنة ' فاعل ' هو : داعِوٌ .

---

(1) الآية 105 .

دَعـَوَ ← على وزن ' فاعل ' ← داعِـو ← ' الدّاعِوَ ' .

فـ ' الدّاعِوَ ' اجتمع فيها صائت الكسرة الأمامي الضيّق مع الصّائت الانتقالي الخلفـي الضيّق ' الواو ' ، و في اجتماعهما تعثّر لانسيابية الحركة النّطقية و ثقل عليهـا ، نتيجة الانتقال بينهما من الأمام إلى الخلف ، فالكسرة لا تناسبها ' الواو '، وسعيا إلى الانسجام و بحثا عنه ، من حيث أنّ الأصوات المنسجمة أقلّ عبئاً على الذّاكرة السّمعية وأيسر على عملية التّلفظ [1] ، تحوّل الصّائت الانتقالي ' الواو ' تحت تأثير الصّائت القصير' الكسـرة ' إلى مجانس ، وهو الصّائت الانتقالي ' الياء ' ليصبح فـي البنية السّطحية : الدّاعِـيَ .

و في الرّسم التّالي توضيح لعملية التّطور التي مسّت الكلمة :

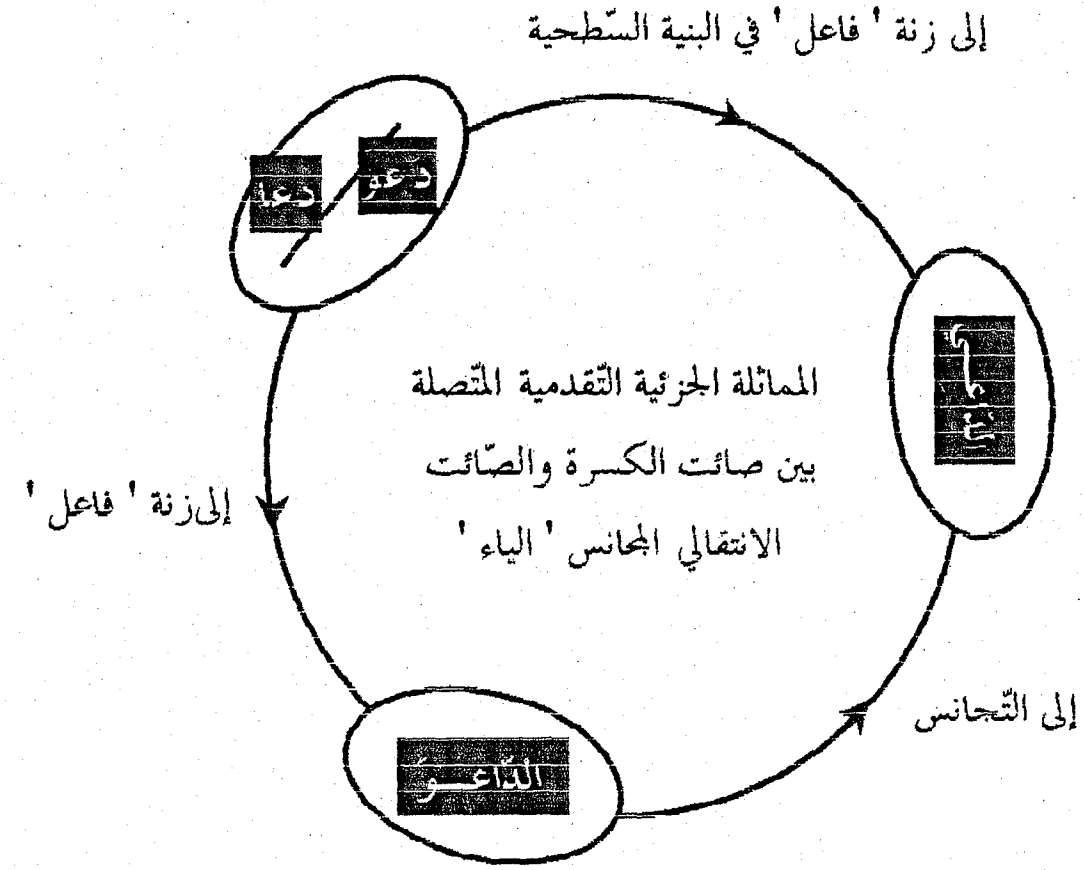

(1) ينظر : موسيقى الشّعر ـــ إبراهيم أنيس ـــ دار القلم ـــ بيروت ـــ ط4 ـــ 1972 ـــ ص : 14 .

و في 'خِيـــفَةً ' في قوله : (**فأوجس في نفسه خِـيفَةً موســى**) [1] ؛ فهي مصدر : خاف ـــ يخاف ـــ خَوْفا و خيفَةً .

فأصل ' الياء ' في (خيفـــة) ، وصائت الفتح الطّويل ' الألف ' في : خاف ـــ يخاف ؛ هو الصّائت الانتقالي ' الواو ' ، وعلى ذلك فالبنى العميقة لتلك الصيّغ كانت : خَوَفَ ، يَخْوُفُ ، خَوْفـــا ، و خِوْفـــةً .

ففـــي (خِوْفـــةً) ؛ التقى صائت الكسرة مع الصّائت الانتقالـــي ' الواو ' دون فاصل بينهما ، وفي التقائهمـــا تنافر يُذهب رنّة الانسجام التي تُريح أذن السّامع و تُطرَب بها ، الأمر الذي دفع بقانون المماثلة الصّوتـــي إلى التّدخُّل من أجل إشاعة الانسجام بينهما ، عن طريـــق تحويل أحدهما إلـــى ما يجانس الآخر ، فتحوّل الصّائت الانتقالـــي ' الواو ' ـــ كونه واقع آخر المقطع ، فهو هامشه الثّاني ـــ إلى الصّائت الانتقالي ' الياء ' ، الذي يتحوّل بدوره إلى مجرّد صائت قصير آخر مماثل للكسرة الأولى ، ليشكّلا معـــا الصّائت الطّويل ' الياء ' ، تسهيلا لعملية النّطق والاستماع .

والرّسم التّالي من شأنه يزيدنا توضيحـــاً :

---

(1) الآية 66 .

إلى المصدر ' فِعْلة ' في البنية السّطحية .

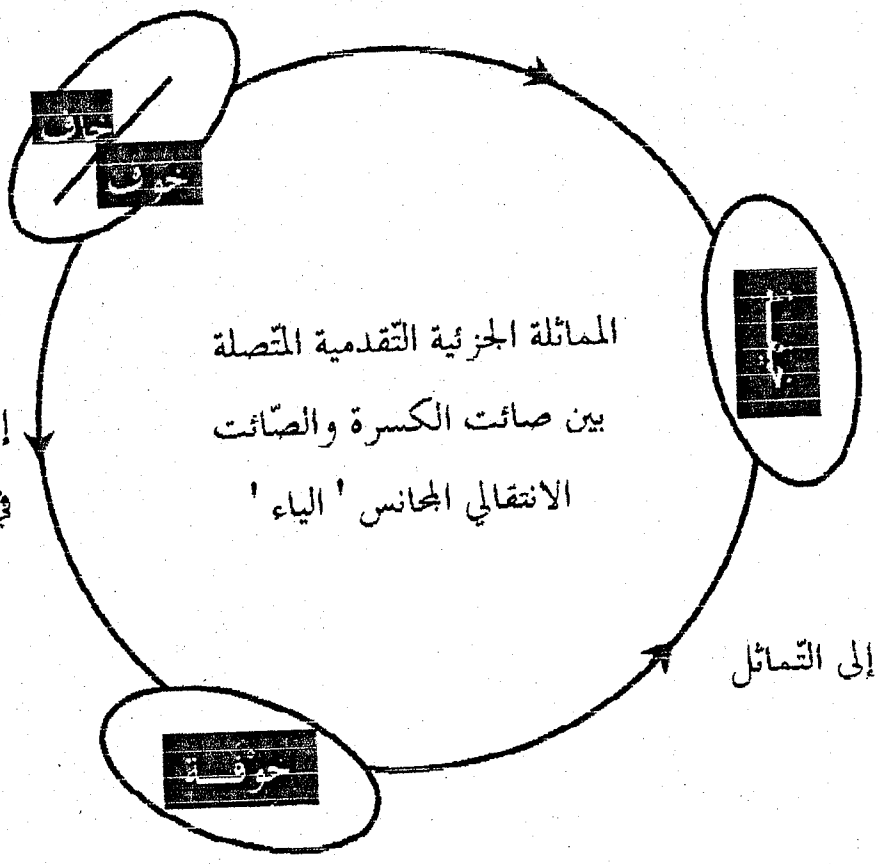

2- 3 : المماثلة بين الصّوامت و الصّوائت :

في اللّفظين : ' تَسْعى ' و ' يسألونك ' في قوله : (**أنّهـا تَسْعى**) [1] ، و (**و يَسْألونَكَ عن الجبال**) [2] ؛ فقد فُتحت عين المضارع فيهما مع أصوات الحلق ؛

---

(1) الآية 65 .

(2) الآية 103 .

(العين في : تسعى ، و الهمزة في : يسألونك) ، فجاءت على ميزان (فَعَلَ ــ يفْعَلُ) للمجانسة . فالأصل فيهـا أنْ تكون مضمومة علـى صيغة (فَعَلَ ــ يفْعُل) ، كما في (كتَبَ ــ يكْتُبُ) و (نصَرَ ــ يَنْصُرُ) أو مكسورة علـى صيغـة (فَعَلَ ــ يفعِلُ) ، كمـا فـي (ضَرَبَ ــ يضْرِبُ) و (غلَقَ ــ يغْلِقُ) . فقد اختارت العين الفتحـة لأنّ وضع الفـمّ مـعها يتناسب ووضعه مع العين لاتّساع مخرجيهما ، و لم تختر الضّمة أو الكسرة لضيق مخرجيهما ، جنوحا بالنّطق نحو الخفّة و السّهولة و الاقتصاد في المجهود العضلي . (1)

3 – المماثلة الجزئية التّقدمية المنفصلة :

وقد وصل عددها في السّورة إلى (15) بنسبة قُدِّرت بحوالي (3,39 %) وكان منها لفظ ' كِتاب ' في الآية : (قال علمها عند ربّي في كِتابٍ) (2) ؛ تؤثّر ' الكسرة ' التّالية للكاف مباشرة في الفتحة الطّويلة المنفصلة بعدها ، فتميلها نحـو الكسرة الطّويلة للمماثلة و التّقريب فتنطق بين الفتحة الطّويلة والكسرة الطّويلة ، إشاعةً للانسجام بين أصوات الكلمة و إسراعا في تحقيقها .

كِتاب ← كِـتَاب .

وحركة الضّمير في : (يُخَـيَّل إليْـهِ) (3) ؛

فقد تأثّرت حركـة الضّم فـي ضمير الغائب المفرد (ــهُ) بالصّائت الانتقالي ' الياء ' ، فقُلبت إلـى صوت مجانـس هو ' الكسرة ' تيسيرا للعمليـة الكلامية بين

---

(1) ينظر : الكتاب ــ ج2 ــ ص : 252 . وينظر : الخصائص ــ ج2 ــ ص : 143 .

(2) الآية 51 .

(3) الآية 65 .

المتكلّم والمخاطب ودفعاً بها إلى السّرعة في التّحقيق .

فاللّسان يعتريه الثّقل أثناء نطق الجملة ' يُخَيَّلُ إليْهُ ' في بنيتها العميقة ، عند الانتقال والصّعود من الأمام مع ' الياء ' ليعود إلى الخلف و الصّعود ثانية مع الضّمة في حركتين متتاليتين تقريبا ، إذ الصّامت الحاجز بينهما ضعيف في موضعه ، و الأصوات فيها يميّزها التّنافر الذي يذهب الانتباه ولا يشدّ رابطة الاتّصال بين المتكلّم و المخاطب .

قد كان تحوّلها على الشّكل التّالي :

يخيّل إليهُ ← يخيّلُ إليهِ .

4 – المماثلة الكلّية الرّجعية المتّصلة :

فهذا النّوع من المماثلة هو الأكثر وقوعاً في سورة (طَهَ) ؛ و فيه يؤثّر الصّوت التّالي في السّابق فيدفعه إلى الفناء والذّوبان فيه . وكان عدد وروده فيها حوالي (103) بنسبة (23,30 %) من أمثلته :

* **(تذكرةً لمن يخشى)** [1] ، **(نارًا لعلِيَ)** [2] ، **(منْ لا يؤمن بها)** [3] ، **(عدوٌّ لي)** [4] ، و غيرها .

فقد التقت في هذه الآيات ' النّون ' السّاكنة والتّنوين مع ' اللّام ' دون فاصل بينهما ، وهما من نفس المخرج ' اللّثوي ' (ن ، ر ، ل) ، ممّا قد يثقل حركة اللّسان عند النّطق بهما مجتمعين . فنطق ' النّون ' نطقا كاملا بغلق الآلة المصوِّتة ثمّ فتحها ، ثمّ العودة

---

(1) الآية 2 .

(2) الآية 9 .

(3) الآية 15 .

(4) الآية 38 .

إلى النّقطة نفسها وبسرعة فائقة لتحقيق ' اللّام ' تحقيقـــا كاملا ، فيه عسر و مشقّة .

ولّما وجدت اللّغة حلاّ تستغني بوساطته عن الحركات النّطقية الإضافية و تقتصد به الجهد العضلي المبذول فرّت إليـــه ، فكان ذلك الحلّ هو المماثلة الكلّية بين الصّوتين فيزيد رنينهما وقوّة اسماعهما ممّا يسهّل العملية التّواصلية بين المرسل والمستقبل ويبقـــي عليها . فالنّاطق عَوَّضَ القيام بعمليتين لنطق الصّوتين ـــ بمعنى غلق الآلة المصوِّتة مرّتين وفتحهـــا مرّتين كذلك ـــ بعملية نطقية واحدة فقط ، هـــي الغلق ' للنّون ' والفتح ' للاّم ' مع إطالة مدّة الغلق واستمرار اهتزاز الوترين الصّوتيين كون الصّوتين مجهورين معا ، ويكون بذلك قد استغنى عن الفتح بالنسبة إلى ' النون ' و الغلق بالنسبة ' للاّم ' .

وكان التّطور من البنى العميقة إلى البنى السّطحية وفق الآتي :

ـــ تذكرةً لِمَنْ يخشى ←—— تذكرةَ لّمن يخشى .

ـــ نـــاراً لـــعلّيَ ←—— نـــارَ لّعلّيَ .

ـــ مـــنْ لا ←—— مـــ/ لاّ .

ـــ عدوٌّ لـــي ←—— عدوّ لّـــي .

ومنه كذلك في : (قال لهم موسى) [1] و (فلأقطعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف) [2] ؛

فقد تجاور مثلان ــ الميم مع الميم ــ دون فاصل بينهما ، ممّا سهّل المماثلة بينهما تيسيرا وتسهيلا لجريان السّلسلة الكلامية . و كلّ ما يؤدّيه النّاطق بهما هو الإكتفاء بغلق واحد تزيد مدّته و فتح واحد فقط ، عوض تكرير نفس الحركة النّطقية مرّتين و ما في ذلك من جهد زائد . ليصير النّطق في البنية السّطحية كالآتي :

ــ لهمْ موسى ←——— لهـ/ مّوسى .

ــ وأرجلكمْ من خلاف ←——— و أرجلكـ/ مّن خلاف .

وفيما يخصّ الآيتين : (قد جئناك بآية من ربّك) [3] ، و (قال فمن ربّكما يا موسى) [4] ؛ فقد التقت فيهما النّون السّاكنة مع الرّاء ، وهما من المخرج نفس ، ويشتركان في صفتي الجهر و الميوعة ، الأمر الذي سهّل على عملية المماثلة الكلّية الرّجعية المتّصلة أن تجمع بينهما في حركة نطقية واحدة .

والذي يحدث في النّطق بهما هو ابقاء التّجويف الأنفي مغلقا مع النّون ليستمر النّفس مع التّجويف الفموي ، ثم يصعد طرف اللّسان مرتعدا نحو

---

(1) الآية 60 .

(2) الآية 70 .

(3) الآية 46 .

(4) الآية 48 .

اللّثة مع إطالة مدّة الارتعـــاد ، وبذلك يكون المتكلّم قد اختصر حركة نطقية إضافيـــة وجهدا زائدا يعيق استرسال العملية الكلامية ، فكان التّطور الحاصل هو الآتي :

ـ مـــنْ رَبّـــك ←———— م/ ربّـــــك .

ـ فمنْ ربّـــكما ←———— فمـــ/ ربّـــكما .

5 – المماثلة الجزئية الرّجعية المتّصلـــة :

وكان عدد تكرّر هذا النّوع في الصّورة (61) مرّة ، بنسبة (13,80 %) ومن نماذجـــه :

5-1 : المماثلة بين الصّوامت و الصّوائت :

تمثّل لها بلفظ ' وجوه ' في قوله تعالى : (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) [1] ؛ فإنّ بنيته العميقة هي ' أُجوه ' . و منه سار إلى بنيته السّطحية كالآتي :

لقد تجاورت ' الهمزة ' مع ' الضّمة ' ، فالتقى ثقيل مع ثقيل ، إذ ' الهمزة ' من أثقل الصّوامت و أعسرها على النّطق ، بينما ' الضّمة ' تمثل أثقل الصّوائت علـــى الإطلاق ، فلزم عند ذلك إجراء جراحة في اللّفظ لتسهيل نطقه ، فكان أن جيء ' بالواو ' مكـــان ' الهمزة ' للمناسبة مع الضّمة بعدهـــا ، وموافقة الضّمة الطّويلة المنفصلة بعد الجيم حتى يكون العمل من وجه واحد و في مستوى واحد ، لتنتهي إلى :

ـــ أُجـــوه ـــــــ◄ وُجـــوه .

5-2 : المماثلة بين الصّوامت :

وفي الآيات : (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ) [2] ، و (إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا) [3] ؛ قد تجاور صامت ' النّون ' مع ' الياء ' ، وهما من مخرجين متقاربين ، ممّا يعتري عملية النّطق بهمـــا متتاليين صعوبة وثقلا . وسعيا من اللّغة إلـــى تجاوز هذه الصّعوبة وهذا الثّقل ، ولمّا كانا يشتركان في صفة الجهر ، روعِي نطقهمـــا دفعة واحدة

---

(1) الآية 108 .

(2) الآية 40 .

(3) الآية 44 .

من باب المماثلة بينهمـــا ، فكان أنْ أقفل التّجويف الأنفي مع ' النّون '، وإطالـــة مدّة التّضييق مع ' الياء ' ، لتصبح البنية السّطحية كما يلي :

البنية العميقة	البنية السطحية
مـــنْ يكفلـــه	مـــ/ يّـــكفلـــه
أنْ يفـــرط	أ/ يّـــفـــرط

أمّـــا في : (فإذا هِيَ حيّـــةٌ تَسْعـــى) [1] ؛ فقد تجاور فيها ' التّنوين ' مع ' التّاء ' ـــ بمعنى النّون السّاكنة مع التّاء ـــ دون فاصل بينهما ، و هما من مخرجين متقاربين بالإضافة إلى جهر الأولى و همس الثّانية ، ممّا يثقل اجتماعهما أثناء النّطق ، إذْ يتطلّب إخراجهما أنْ يتذبذب أولا الوتران الصّوتيان مع ' النّون ' و يترل الحنك اللّين مع جدار اللّسان ، فيغلق التّجويف الفموي و يمنع الهواء من المرور عبره ، فيفتح لـــه المجرى الأنفي ليتسرّب منه ، ثمّ يفتح التّجويف الفموي من جديد ، فيتوقـــف الوتران الصّوتيان عن الذّبذبة و يتحقّق صوت ' النّون ' كاملا ، ليعاود غلق المجرى الهوائي ثانية و بسرعة فائقة ، و في نفس الموضع تقريبا مع ' التّاء ' ، و فـــي ذلك مشقّة و جهد زائدين ، تفرّ منهما اللّغة العربية كلّما سنحت الفرصة . وهو مـــا يحصل في هذا الموضع ، حيث يتمّ نطق ' التّنوين ' و ' التّاء ' دفعة واحدة وفي نقطة واحدة و بغلقٍ واحدٍ و فتح واحد ، مع إطالة مدّة الحبس و دون اهتزاز للوترين الصّوتيين ، تخفيفاً على النّاطق .

---

(1) الآية 19 .

6 – المماثلة الجزئية الرّجعية المنفصلة :

كان عدد ورودها قليلاً في السّورة إذْ بلغ (3) مرّات فقط بنسبة (0,67 %) ومنها لفظ ' النّار ' في: (لعلّيَ آتيكُم منها بقَبَسٍ أوأجِدَ على النّارِ هدى)[1] ؛ فقد تأثّرت ' الفتحة الطّويلة ' بعد النّون ' بالكسرة ' المنفصلة بعدها ، فأُميلت بسببها و أُشربت شيئاً من ' الياء ' ، بأنْ نُطقت وسطا بين الصّائت الطّويل ' الألف ' والصّائت الطّويل ' الياء ' ، و في ذلك تقريب لها من ' الكسرة ' التّالية للرّاء تخفيفا للنّطق بالكلمة .[2] فكان التّحول من البنية العميقة إلى السّطحية وفق الآتي :

ـ النَّـارِ ← النَّـارِ .

أمّا ' صِراط ' في الآية : (من أصحابِ الصِّراط السّويّ)[3] ، فأصلها (سراط) . فقد جانسوا بين (الطّاء و السّين) في نطقهم لكلمة (سراط) ، بأن قلبوا ' السّين ' المنفتحة إلى نظيرها المطبق ' الصّاد '، و الذي دعاهم إلى هذا ، هروبهم من حركتين متناقضتين قريبتين من بعضهما ؛ نزول اللّسان مستفلا نحو قاع الفمّ مع الصّوامت المنفتحة كالسّين ، ثم صعوده مطبقا نحو أقصى الحنك مع الصّوامت المستعلية كالصّاد ، وجنوحهم إلى العمل من وجه واحد اقتصادا في الجهد العضلي المبذول ، ورغبة في تحقيق الأثر السّمعي المرجو[4] . فكان التّحول إلى البنية السّطحية كالآتي :

ـ سِراط ← صِراط .

---

(1) الآية 9 .

(2) على قراءة أبي عمرو و الكسائي ـ النّشر ـ ج2 ـ ص : 42 .

(3) الآية 134 .

(4) ينظر : سرّ صناعة الاعراب ـ ج1 ـ ص : 212 ، التّطور اللّغوي ـ ص : 36 ، القراءات وأثرها في علوم العربية ـ ج1 ـ ص : 101 .

7- المماثلة المزدوجـــة :

تكرّرت فـــي السّورة بمعدّل متوسّط إذْ بلغ عددهـــا حوالي (49) بنسبة (11,08 %) فـــي الآيـــات : (قال ســـيرَ تَمشيَ) [1] ، و (أعطال عليهـــهُ العهد) [2] و (متاب عليـــه وهدى) [3] ، و (قـــال ألقها يا موسى) [4] ؛ يقول الصّرفيون في هذه الألفاظ أنّ أصل ' الألف ' فيها ' واو ' .[5]

فـــ : عصـــا ← أصلها عَصَوَ .

وَ : طال (يطول ـــ طولاً) ← أصلها طـــوَلَ .

وَ : تـــاب (يتوب ـــ توبةً) ← أصلها تَوَبَ .

وَ : قـــال (يقول ـــ قولاً) ← أصلها قَوَلَ .

ففي هذه البنى العميقة (عَصَوَ ، طَوَلَ ، تَوَبَ ، قَوَلَ) ، وقع الصّائت الانتقالي الخلفـــي الضيّق ' الواو ' بين صائتي ' الفتح ' الأماميين المتّسعين ، الأمر الذي صعّـــب عملية النّطق بها مجتمعة ، فكان لا مناص من تدخّل عامل المماثلة المزدوجة ،التي مارست ضغطا مزدوجا بواسطة صائتيْ الفتح علـــى الصّائت الانتقالي المشكل ' الواو' فأفنيـــاه و تحوّلا مجتمعيْن إلى صائت الفتح الطّويل ' الألف ' فـــي البنية السّطحية ليصير الوضع إلى

---

(1) الآية 17 .

(2) الآية 85 .

(3) الآية 119 .

(4) الآية 18 .

(5) ينظر : سرّ صناعة الإعراب ـــ ج1 ـــ ص : 22 . وينظر : شرح ابن عقيل ـــ ج2 ـــ ص : 306 .

(عصا ، طال ، تاب ، قال) .[1] و في التّحليل المقطعي التّالي توضيحٌ لذلك :

عَصَـوَ ← ص م + ص م + ﴿ل م .
عصـا ← ص م + ص م م .
طَـوَلَ ← ص م + ص م + ﴿ل م .
طـال ← ص م م + ص م .
تَـوَبَ ← ص م + ص م + ﴿ل م .
تـاب ← ص م م + ص م .
قَـوَلَ ← ص م + ص م + ﴿ل م .
قـال ← ص م م + ص م .

فالفرق واضح بين الصّيغة فـي البنية العميقة و البنية السّطحية في كلّهـا ، هو سقوط الصّائت الانتقالي ' الواو ' .

(1) ينظر : العربية الفصحى ـــ ص : 41 .

8 – المماثلة المخرجية :

وفيهـــا يتحوّل مخرج الصّوت ، فإمّا أنْ يتقدّم إلى الأمام ، و إمّا أن يتأخّر إلـــى الخلف ، أو يصعد إلى التّجويف الأنفي أو ينزل منه إلى التّجويف الفموي نتيجة ظروف صوتية محيطة إشاعة للانسجـــام و خلقا للتّلاؤم بين الأصـــوات ، قصد توفير الجهـــد والاقتصاد فيه ، وقد وصل عدد ورودها في السّورة (41) بنسبة (9,27 %) .

ففـــي : (لتجزى كلّ نفس بما تسعى) [1] ، وَ (قال فإنّا قد فتنّا قومك من بعدك) [2] ، وَ (قال اهبطا منها جميعًا بعضكم لبعض عدوّ) [3] ، وَ (و لمْ يؤمنْ بآياتِ ربّه) [4] ، قد اجتمعت فيها ' النّون الساكنة ' و' التّنوين ' مع ' الباء ' .

ولمّا كان مخرج ' النّون ' من اللّثة ، ومخرج ' الباء ' من الشّفة ، صعُب علـــى النّاطـــق تحقيقهما متجاورين لما فيهما من التّنافر و عرقلة سيرورة العملية التّواصلية وانسيابيتها ، ومن أجل الإسراع بالعملية التّلفظية و الاقتصاد في المجهود العضلـــي و إراحة المستمع ، تقدّم عامل المماثلة الصّوي ' بالنّون ' من مخرجها اللّثوي ، إلى الأمام حيث مخرج ' الباء ' الشّفوي ، لتصبح ' ميما ' ، من جانب أنّه لا فرق بين الميم و النّون إلاّ في نقطة حبس الهواء و صدّه مع ' النّون ' ليتسرب من التّجويف الأنفي . و لمّـــا كانت (الميم و الباء) تشتركان في نفس المخرج أمكن النّطق بهمـــا من خلال إجراء عمليـــة واحدة ، وبفتح واحد وغلق واحـــد ، وبالتّالي يكون المتكلّم اقتصد مجهود عملية نطقية بكاملها ، بمعنى تخطّي فتح العمليـــة الأولى و غلق الثّانية .

---

(1) الآية 14 .

(2) الآية 83 .

(3) الآية 120 .

(4) الآية 125 .

و قد سار التّماثل المخرجـــي في هذه الأساليب مـــن البنى العميقة إلى السّطحية كمـــا يلـــــي :

البنية العميقة	البنية السطحية
نفسٍ بما تسعـــى	نفســـمْ بما تسعـــى
مـــنْ بعـــدك	مـــمْ بعدك
منها جميعـــاً بعضكم	منها جميعَـــمْ بعضكـــم
و لم يومـــنْ بآيـــات	و لم يـــومـمْ بآيـــات

وفيما يخصّ ' كِتاب ' في : (قال علمها عند ربّي في كِتـــابٍ) [1] ؛ فإنّ الكاف الطّبقية التي تخرج من التحام أقصى اللّسان بالطّبق ، لمّا كانت تليها في النّطق مباشرة ' الكسرة ' ، التي تحدث من ارتفاع مُقدَّم اللّسان نحو الغار ، تطلّبَ أمر التّلفظ بهمـــا متتابعين القيام بحركتين متتاليتين ، إحداهما بأقصى اللّسان ، و الأخرى بمقدّمه ، و في ذلك مشقّة زائدة . وللتّخلّص من هذا الجهد الإضافـــي تمّ تقريب مخرج ' الكاف ' من الطّبق إلى منطقة وسطى بين الغار و الطّبق لِيُسمَح لجزء واحد منه إحداث الصّوتين دفعة واحدة . [2]

---

(1) ينظر : دراسة الصّوت اللّغوي ـــ ص : 328 . وينظر : الوجيز في فقه اللّغة ـــ ص : 271 .

(1) الآية 51 .

ومن أمثلة المماثلة المخرجية في سورة ' طَـهَ ' كذلك ما نجده في البنى (بصِيرا ، فَطَرَنا ، اقْضِ ، صَنعوا) ، في قولـه : (قـال ربِّ لِمَ حشرتني أعمى وقد كنت بَصيرًا) [1] ، وَ (والذي فَطَـرَنا) [2] ، وَ (فاقْـضِ ما أنت قاض) [2] ، وَ (وألقِ ما في يمينك تلقفْ صَنَعـوا) [3] ؛

فقـد تجاورت فيهـا الأصوات الخلفية (الصّاد و الطّاء و الضّاد) مع الصّائت الأمامي (الكسرة أو الفتحة) ، و هو تجاور متناقض يستدعي انتقال العملية النّطقية من الخلف إلى الأمام ، في حركتين متتابعتين ممّا يعرقل خفّتها وجريانها . وسعيـا إلى جعل العملية التّلفظية تسير في مستوى واحد اقتصادا في الجهـد المبذول ، تأخّرت المماثلة بالصّائت الأمامي (الكسرة أو الفتحة) إلـى الخلف ، فيتّحد المستوى النّطقي ، بعثا للتّلاؤم بين الأصوات .

---

(1) الآية 123 .

(2) الآية 71 .

(3) الآية 68 .

المخالفة

وردت المخالفة في سورة ' طَهَ ' بمجموع (156) مرّة ، بنسبة (35,27 %) وهي تسري سريان المماثلة ، فتنوّع بدورها إلى :

1- المخالفة التّقدمية المنفصلة :

وجاء عددها في السّورة حوالي (13) بنسبة مئوية قُدّرت بـ (2,94 %) .

يمثّلها في السورة مجموعة من البنى منها (آنستُ ، آدم) في الآيتين : (فقال لأهله امكثوا إنّي آنستُ ناراً)[1] و (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسيَ)[2] ؛

ـ فالبنية العميقة لـ : (آنستُ) ← هي ← أَأْنستُ .

ـ و البنية العميقة لـ : (آدم) ← هي ← أَأْدم .

فقد تجاورت فيهما ' همزتان ' ، وإذا كانت ' الهمزة ' الواحدة لا تخرج إلاّ بإجهاد ، من حيث أنّ إنتاجها يتطلّب القيام بمرحلتين ؛ سدّ الهواء القادم من الرّئتين عند الحنجرة بواسطة الوترين الصّوتيين ، ثمّ انفراجهما وانطلاق الهواء معهما مُحدثًا صوت الهمزة ، وهي حركة من أعْسر الحركات على الجهاز النّطقي .

فإذا كان الحال كذلك مع ' الهمزة ' الواحدة ، فإنّ أمر الهمزتين المتجاورتين أشدّ كلفةً .وعليه فقد احتاجت اللّغة إلى تصحيح هذا الخلل و نزع هذا الثّقل ، فكان قانون المخالفة الصّوتي هو السّبيل إلى ذلك عن طريق مغايرة الهمزة الثّانية إلى همزة مسهّلة بين الألف والهمزة [3] تيسيرا على الإجراء النّطقي وسريان العملية الكلامية ، وهروبا من

---

(1) الآية 9 .

(2) الآية 112.

(3) ينظر : النّشر ـ ج1 ـ ص : 279 . وينظر : أثر القراءات في الأصوات و النّحو العربي ـ ص : 110 .

عسر القيام بالحركة المزدوجة لنطق الهمزتين على التّوالي ، فصار التّحول كما يلـــي :

ـ أَأَنْسْتُ ←——— أَا نَسْتُ ←——— آنَسْتُ

ـ أَأدم ←——— أَا دم ←——— آدم .

وإذا أخذنـــا صيغ جمع المؤنث السّالم فـــي : (**تنزيلاً ممّـــن خلـــق الارض و السّماوات**) [1] ، وَ (**ومـــن ياته منوماً قد عمل الصّالحـــاتِ**) [2] ، وَ (**إنّ في ذلك لآياتٍ لأولي النّهى**) [3] ؛

وجدنا أنّها في حال النّصب ؛ نُصبت بالكسرة عوضا عن الفتحة . فالأصل فيهـــا أنْ تكون علـــى الشّكل : السّماواتَ وَ الصّالحاتَ وَ آيـــاتَ . فكيف تطوّرت إلى البنية السّطحية ؟

نقول أنّ سبب تطوّر هذه الصّيغ هـــو أثر القوّة المغايرة فـــي الميدان اللّغوي التي هـــي المخالفة ، ذلك أن المتكلّم كره استمراريـــة النّفس و المدّ الصّوتي المتواصل الذي يتعب الرّئتين ، وهو حاصـــل توالي صائت الفتح و امتداده علـــى طول تلك البنى ، فعمد إلى الحدّ منه وتضييق مجاله تسهيلا لصيرورة العملية الكلامية بين المتكلّم و السّامع ، بتعويضه بصوت مخالف هو ' الكسرة ' .

وقد حصل التّطور وفق الآتي :

---

(1) الآية 3 .

(2) الآية 74 .

(3) الآية 126 .

البنية العميقة	البنية السّطحية
السّمـــاواتَ	السّمـــاواتِ
الصّـــالحاتَ	الصّـــالحاتِ
آيـــاتَ	آيـــاتِ

ونفس ما قيل على نصب جمع المؤنث السّالم بالكسرة عوضا عن الفتحة ، يقـــال كذلك على لاحقة المثنى ' آنَ ' ، سواء تعلق الأمر بالأسماء أو الأفعال ، فالأصل في نونها الفتح ، كما تعلّله بعض الصّور الباقية على الأصل مثل ' شتـــّانَ ' .[1]

ففي (هذان ، ساحران ، يريدان ، يخصفان) في الآيات : (قالوا إنّ هَذانِ) [2] ، وَ (إنّ هذانِ لساحِران) [2] ، وَ (يُريدانِ أنْ يخرجاكم من أرضكم) [2] ، و (و طَفِقا يَخْصِفانِ عليهما من ورق الجنّة) [3] ،

فقد كُسِرت فيها النّون حتى تخالف صائت الفتح الطّويل قبلها ، إراحةً لأعضاء النّطق .

و كان التّحول من البنية العميقة إلى السّطحية على الشّكل التّالي :

---

(1) ينظر ص : 103 من هذه الرّسالة .

(2) الآية 62 .

(3) الآية 118 .

البنية العميقة	البنية السّطحية
هـــذانَ	هـــذانِ
ســـاحرانَ	ســـاحرانِ
يـــريدانَ	يـــريدانِ
يخصفـــانَ	يخصفـــانِ

2- المخالفة الرّجعية المنفصلة :

وردت فـــي السّورة بعدد لا يتجـــاوز (7) مرّات ، و بنسبة لا تتعـــدّى (1,58 %) ، و يمثّلها لفظ (أوّل ، أولى) في قوله تعالـــى : (**و إمّا أن نكون أوّل من ألقـــى**) [1] ، وَ (**سنعيدها سيرتها الأولى**) [2] ؛

فإن بنيتها العميقة هـــي : (وُوَل) وَ (وُوْلـــى) . فقد تكرّر فيها الصّائت الانتقالـــي ' الواو ' في بداية اللّفظ ، وفي تكراره إرهاق لأعضاء التّلفظ التي يصعب عليهـــا تحقيق العملية نفسهـــا مرّتين علـــى التّوالي . وسعيا وراء السّهولة والتّيسير ، خالفت ' الواو ' الأولى إلى ' همزة ' . ورغـــم ثقل الهمزة إلاّ أنّها في موضعهـــا هذا ، وبِبُعد مخرجها عن مخرج ' الواو ' البّاقية ، سَهّلت الإجراء النّطقـــي للكلمة ، فسارت الحال من البنية

---

(1) الآية 64 .

العميقة إلى السّطحية وفق الآتـــي :

- وُوَل ←—— أُوَل ←سُهِّلت إلى— أَوَل .
- وُوْلى ←—— أُولـــى .

3 – المخالفة المزدوجة :

كان عدد ورودها محتشماً في السّورة إذْ لم تتكرّر أكثر من مرّة واحدة (1) ، بنسبة (0,22 %) إلى مجموع تكرّر باقـــي الظّواهر بأنواعها المختلفة ، فـــي لفـــظ (سماوات) في قولـــه عزّ من قائـــل : **(تنزيلاً ممّـــن خلق الارضَ و السّمـــاوات العُلى)** [1] ؛

فاللأصل فيها (سماءات) ، فهي جمع مؤنث سالم للمفرد (سماء) .

ولّما وقعت ' الهمزة ' بين ألفين ، وهـــي قريبة منهما ، فقد تجاورت الأشبـــاه ، و في ذلك كلفة على النّاطق وثقـــل على السّامـــع .

ومن أجل تحريك العمليـــة التّواصلية و تسهيل جريانهـــا ، مورس ضغـــط مزدوج من ' الألفين ' على ' الهمزة ' ، جعلها تخالف إلى ' واو ' ، وإن كانت الواو من جنسهما ، إلاّ أنّهـــا في موقعها هذا أخفّ على النّطق و أسهل على الأذن من ' الهمزة ' .[2]

وكان أنْ حدث التّحول وفق التّالـــي :

---

(1) الآية 3 .

(2) ينظر : العربية الفصحى ـــ ص : 47 – 48 .

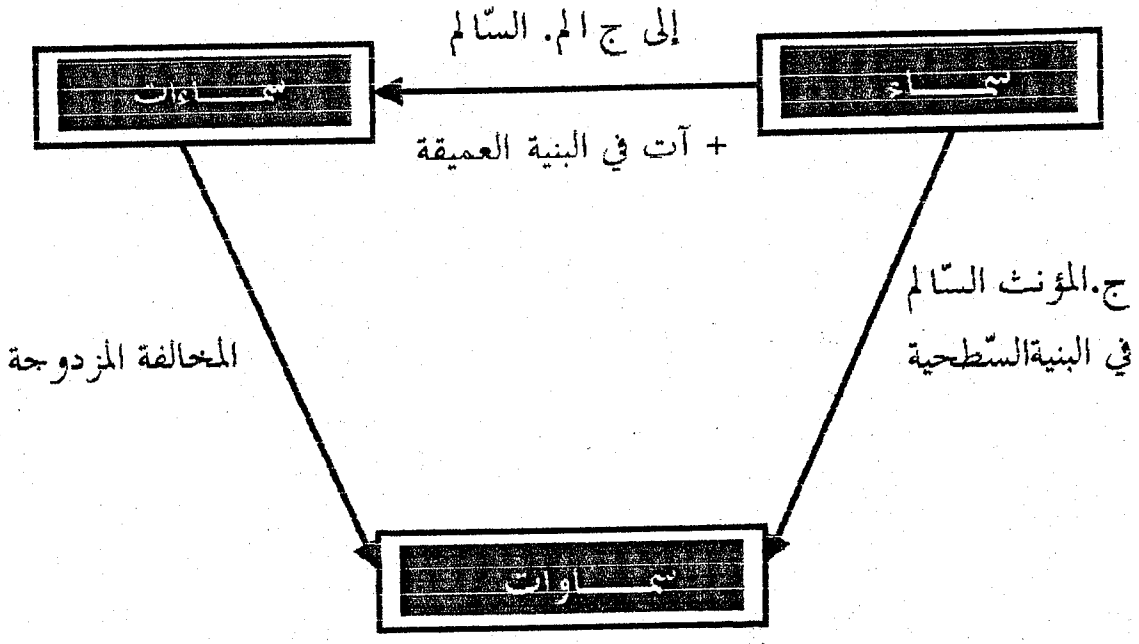
إلى ج ا م. السّالم
+ آت في البنية العميقة
ج.المؤنث السّالم
في البنيةالسّطحية
المخالفة المزدوجة

4 – المخالفة بالحذف :

وقد ارتفع عددها إذ وصل إلى حوالي (102) مرّة ، بنسبة وصلت إلى (23,07 %) مقارنة بعدد جميع الظّواهر الواردة في السّورة بمختلف أنواعها ، و من مظاهرها في سورة ' طَـهَ ' ؛ سقوط ' صائت ' لام الفعل في (فَعَلَ) وَ (أفْعَلَ) عند اسناده إلى ضمير الرّفع للمخاطب المفرد المذكّر (تَ) ، والجمع المذكّر (تم) ، و إلى ضمير المتكلّم للجمع (نا) ، في (**قَتَلْتَ نفساً**) [1] ، و (**فلبثتَ سنين في أهل مدين**) [1] ، وَ (**قال آمَنْتُم له قبل أنْ آذن لكم**) [2] ، وَ (**فأخلفْتُم موْعدي**) [3] ، وَ (**منها خَلقْناكم و فيها نعيدكم**) [4] ، وَ (**كلوا من طيِّبات ما رَزَقْناكم**) [5] ؛

فالملاحظ على هذه الصّور الإسنادية أنّ ' صائت ' لام الفعل قد اجْتُزِئَ منها ؛ بمعنى سقوط الفتحة من ' اللّام ' في (قتلْتَ) ، ومن ' التّاء ' في (لبثْتَ) ، و من ' النّون ' في (آمنْتم) ، ومن ' الفاء ' في (أخلفْتم) ، ومن ' القاف ' في (خلقْنا) ، ومن ' القاف ' كذلك في (رَزقْنا) ، ولعلّ ذلك راجع إلى عامل المخالفة ، لأن العربية تكره توالي المقاطع المفتوحة ، الأمر الذي يشكّل ثقلا واضحا على الآلة النّطقية .ومن أجل إعادة التّوازن إلى هذه الصّيغ ، أُسْقِط ' صائت ' لام الفعل ، واختُصِر المقطعان في مقطع واحد من النّوع المتوسّط بما يتلاءم و اتجاهات السّهولة

---

(1) الآية 40 .

(2) الآية 70 .

(3) الآية 85 .

(4) الآية 54 .

(5) الآية 79 .

و التّيسير وقانون الجهد الأدنى . [1] و قد سار تطوّر هذه الصوّر الإسنادية كما يأتـــي :

البنيـــة العميقة	بناؤهـــا المقطعـــي
قَتَلْـــتَ	ص م + ص م + ص م + ص م .
لَبِثْـــتَ	ص م + ص م + ص م + ص م .
آمَنْتُـــم	ص م م + ص م + ص م + ص م ص .
أَخْـــلَفْتُمْ	ص م ص+ ص م + ص م + ص م ص .
خـــلَقْـــنا	ص م + ص م + ص م + ص م م .
رَزَقْـــنَـــا	ص م + ص م + ص م + ص م م .
البنيـــة السطحية	**بناؤهـــا المقطعـــي**
قـــتَلْـــتَ	ص م + ص م ص + ص م .
لَبِـــثْتَ	ص م + ص م ص + ص م .
آ مَنْـــتُـــمْ	ص م م + ص م ص + ص م ص .
أَخْـــلَفْـــتُمْ	ص م ص + ص م ص + ص م ص .
خـــلَقْـــنا	ص م + ص م ص + ص م م .
رَزَقْـــنا	ص م + ص م ص + ص م م .

(1) ينظر : علم الصّرف الصّوتي ــ ص : 171 ــ 172 .

ومنها إسقاط ' الهمزة ' السّاكنة وإطالة الحركة قبلها بواسطة عامل المخالفة بالحذف في (مومن ، ياخذه ، يات ، نوثرك ، وامر ، فاتياه) في الآيات : (**ومن يعمل من الصّالحات وهو مومن**) [1] ، و (**ياخذه عدوّ لي و عدوّ له**) [2] ، و (**إنّه من يات ربّه مجرماً**) [3] ، و (**قالوا لن نوثرك على ما جاءنا من البيّنات**) [4] ؛

فرغم أنّ اللّغة العربية الفصحى تُفضّل المقاطع المقفلة و تلجأ في كثير من الأحيان إلى غلق المفتوحة ، لسهولتها و سرعة تحقيقها ، إلاّ أنّها في هذه البنى وإنْ أُرغِمت على فتح المقاطع الأولى المقفلة ، فإنّها تكون دون شكّ قد خفّفت من ثقلها عن طريق تخلصها من أثقل الأصوات فيها وهو صوت ' الهمزة ' .[5]

وتحوّلها من البناء العميق إلى البناء السّطحي أخذ المسار التّالي :

---

(1) الآية 109 .

(2) الآية 38 .

(3) الآية 73 .

(4) الآية 71 .

(5) ينظر : أثر القراءات في الأصوات و النّحو العربي ــ ص : 108 .

البنية العميقة	بناؤها المقطعي
مُـــؤْمِـــنٌ	ص م ص + ص م + ص م ص .
يأْخُـــذْ ه	ص م ص + ص م ص + ص م .
يـــأْتِ	ص م ص + ص م .
نُؤْثـــرَكَ	ص م ص + ص م + ص م + ص م .

البنية السطحية	بناؤها المقطعي
مـــومِـــنٌ	ص م م + ص م + ص م ص .
يـــاخـــذْهُ	ص م م + ص م ص + ص م .
يـــاتِ	ص م م + ص م .
نـــوثِرَكَ	ص م م + ص م + ص م + ص م .

والمضارع (يرون) في : (أفلا يـرَوْنَ ألاّ يرْجعُ إليـه قولاً) [1] ، الذي هـو من الثّلاثي المعتل (رأى) المسند إلى ' ياء ' المضارعة ، و إلى ' واو ' الجماعة في حالة الرّفع بالنّون (يـ + رأى + ون) .

فبنيته العميقة على هذا الحال هي (يرْأَوْنَ) ، على زنة ' يفْعلون ' . فكيف تطـوّرت إلى (يـرَوْنَ) ؟

ـ يـرْأَ ىوْنَ ← ص م ص + ~~ص م م ص~~ + ص م .

من التّحليل المقطعـي يتّضح أن المقطع الطّويل (ص م م ص) قد توسّط هذه البنـية العميقة فأحدث فيها اضطرابا و أخلّ بتوازنها ممّـا استدعى حذف هامشه الأوّل الذي هو ' الهمزة ' لتصير الصّيغة إلى (يراوْن) ، فيتغيّر تشكيلها المقطعي إلى :

(ص م + ~~ص م~~ م ص + ص م) ،

فيظهر فيها من جديد ذلك المقطع الممنوع في موقعه ذاك ، وفي هذه المرّة تُقلّص نواتـه إلى نصفها ، لتنتهي الصّيغة إلى صورتها السّطحية (يَـرَوْنَ) .

وفي الجدول التّالي توضيح للمسار التّحولي لتلك البنية :

---

(1) الآية 87 .

الصّيغة	تركيبها المقطعي
رأى	ص م + ص م م .
يَـ + رْأى + وْنَ	ص م ص+ ص م م ص+ ص م .
يَـرَاوْنَ	ص م + ص م م ص + ص م .
يَـرَوْنَ	ص م + ص م ص + ص م .

ومن أمثلة المخالفة بالحذف أيضا لفظ ' ظَلْتَ ' في : (وانظرْ إلى إلهك الذي ظَلْتَ عليه عاكفاً) [1] ؛ فهي البنية السّطحية للبنية العميقة : (ظَلِلْتَ) . فقد قلّصت المخالفة بالحذف من بنائه ، بأنْ اجترأتْ ' لامه ' الأولى ، هروبا من الحركة المزدوجة الثّقيلة على النّطق .

وقد كان حاصل التّحول وفق ما يتّضح من خلال هذا الجدول :

البنية	بناؤها المقطعي
ظَـلِلْتَ	ص م + ص م ص + ص م .
ظَـلْتَ	ص م ص + ص م .

(1) الآية 95 .

من خلال هذا التّحليل المقطعي يظهر واضحا أثر تقليص ' اللّام ' من البنية العميقة على عدد المقاطع في البنية السّطحية ، إذْ تحوّلت من ثلاثة في الأولى إلى اثنين في الثّانية ، ممّا يبيّن جنوح المتكلّم العربي نحو الاقتصاد في اللّغة و الميل إلى الأيسر نطقا و استقبالا .

وبالنسبة للبُنى : (يَذْهبا ، يَبْصِروا ، لتعْلَمُنَّ) في الآيات : (**ويذْهبا بطريقتِكم المُثلى**) [1] ، وَ (**قال بَصُرْتُ بما لم يَبْصُروا**) [2] ، وَ (**و لَتَعلَمُنّ أيُّنا أشدّ عذاباً و أبقى**) [3] ؛

فقد اتّجهتْ في مسار تطوُّرها إلى بناه السّطحية هذه بإسقاط ' نون ' الرّفع منها في (يذهبا) وَ (يبصروا) ، وإسقاط نفس ' النّون ' مع ' واو ' الجماعة في (لتعلمنّ) ، تخفيفا لثقلها النّاتج عن طولها .

والجدول التّالي من شأنه أن يبيّن لنا الفرق بين هذه الصّيغ في بناها العميقة والسّطحية :

البنية العميقة	البنية السّطحية
يذهبان	يذهبا
يبصرون	يبصروا
لتعلمونَنّ	لتعلمنّ

---

(1) الآية 62 .

(2) الآية 94 .

(3) الآية 70 .

نأتي إلى : (قاضٍ) في قوله تعالى : (فاقضِ ما أنتَ قاضٍ) [1] ؛

فهي اسم فاعل على وزن ' فاعل ' من الفعل (قَضى ــ يقضي) .

فكان يجب أن تبنى على الشّكل (قاضِيٌ) ، اعتباراً أنّ أصل الألف المقصورة في (قضى) هو ' ياء ' .

وقد تحوّلت هذه البنية العميقة إلى البنية السّطحية كما يلي :

اجتمعت الأمثال (صائت الكسرة + الصائت الانتقالي ' الياء '+ صائت الضّمة) ، وتحقيقها بهذا الشّكل فيه جهد زائد . فتطلّب المجال إجراء تسوية على بنائها ، وهو ما يخصّ عامل المخالفة بالحذف التي اجتزأت أثقلها وهو الصّائت الانتقالي ' الياء ' مع حركته ، لتصير إلى البنية السّطحية على شكل : قاضٍ .

وفي البناء المقطعي التّالي توضيح لذلك :

ـ قاضيٌ ⟵ ص م م + ص م + ~~ص م~~ ص .

ـ قاضٍ ⟵ ص م م + ص م ص .

أما الشّكل التّالي فيبيّن مسارها التّحولي :

---

(1) الآية 71 .

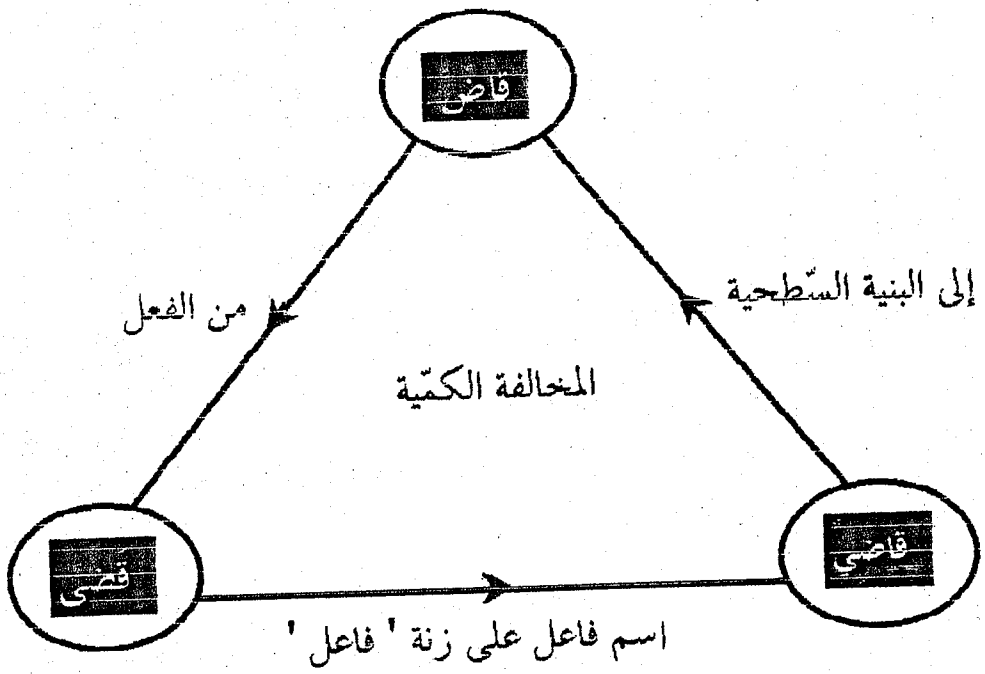
قاض
من الفعل
إلى البنية السّطحية
المخالفة الكمّية
قضى
قاضي
اسم فاعل على زنة ' فاعل '

5 – المخالفة الكمّية :

بلغ عدد تكرّرها في السّورة (33) مرّة ، بنسبة (7,46 %) ومن أمثلتهـــا الفعل ' بَدَتْ ' في الآية : (فأكلا منها فبَدَتْ لهما سوءاتهما) [1] ؛ فهو صورة من الفعل الماضـــي المعتل (بَدا) ، المسند إلـــى ' تاء ' التّأنيث (تْ) ، و عليه فكان يلزم أن تصير البنية العميقة على النّحو التّالي :

ـــ بَدا + تْ = بدا تْ ←——— ص م + ص م ≠ ص .

يظهر من خلال التّشكيل المقطعي لهذه الصّورة الإسناديـــة ، إنتهاؤهـــا بالمقطع الطّويل من النّوع الرّابع . ورغم مجيئـــه في آخر الصّيغة إلاّ أنّ اللّغة تبحث عن الاستغناء عنه كلّما أمكنها ذلك ، ولمّا كان تحويله إلى المقطع المتوسّط عن طريق الإنتقاص من نواتـــه الطّويلة ، لا يخل بالدّلالة تخلصت منه .

والشّكل الموالي فيه توضيح لهذه الحالة التّطوّريـــة :

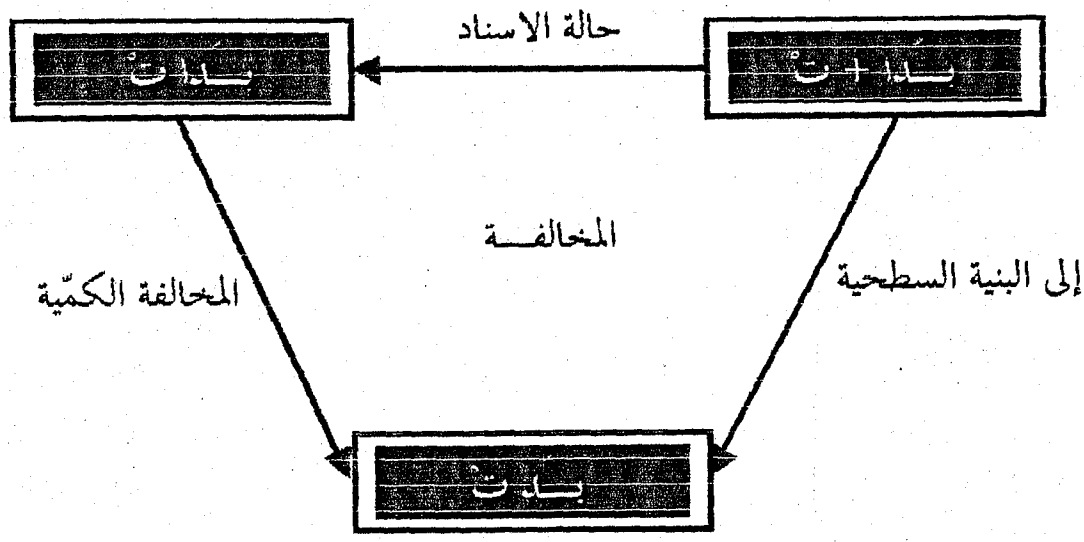

(1) الآية 118 .

أمّـــا فـــي : (اِسْرِ ، فاقْضِ ، اِلْقِ ، يهْدِ ، ربِّ ، فلْيلْقِهِ ، قوْمِ ، تتَّبعَنِ) فـــي الآيات : (ولقد أوحينا إلى موسى أنْ اِسْـرِ بعبادي) [1] ، وَ (فاقْضِ مـا أنتَ قاضٍ) [2] ، وَ (قال اِلقِها يا موســى) [3] ، وَ (فلْيلْقِهِ يهْـدِ لهـ ـم أهلكنا قبلهـم) [4] ، وَ (قـال ربِّ اشـرح لي صدري) [5] ؛

فقد قلّصت المخالفة الكمّية من جميعها نواة المقطع الأخير المفتوح إلى نصفهـــا اقتصادا في جهد النّاطق و تخفيفا على أذن السّامع .

فالأصل فيها أن تكون (اِسْري) وَ (فاقْضي) وَ (اِلقي) وَ (يهْـدي) وَ (ربّي) وَ (فلْيُلْقيـــه) وَ (يا قومي) وَ (تتـّبعني) .

وقد كان التّحول من البنية العميقة إلى البنية السّطحية على الشّكل التّالـــي :

---

(1) الآية 76 .

(2) الآية 71 .

(3) الآية 18 .

(4) الآية 126 .

(5) الآية 24 .

البنية العميقة	تشكيلها المقطعي
اِسْـري	ص م ص + ص م م .
فاقْـضي	ص م ص + ص م م .
اِلْقـي	ص م ص + ص م م .
يهْـدي	ص م ص + ص م م .
ربّـي	ص م ص + ص م م .

البنية السطحية	تشكيلها المقطعي
اِسْـرِ	ص م ص + ص م .
فـاقْـضِ	ص م ص + ص م .
اِلْـقِ	ص م ص + ص م .
يهْـد	ص م ص + ص م .
ربٍّ	ص م ص + ص م .

ولعلّ اللّفظ الذي يصلح لتمثيل عدّة أنواع من المخالفة هو (كُنْتُ) في الآية الكريمة : (قال ربِّ لمَ حشرتني أعمى و قد كُنْتُ بصيراً) [1] ؛

فهي من فعل الكينونة (كان) المسند في الماضي إلى ضمير الرّفع للمخاطب المفرد .

فبنيته العميقة هي (كانَ + تَ = كانَتَ) ، التي تتقطّع إلى :

كانَتَ ⟵ ص م م + ص م + ص م .

وقد سلكت في تطوّرها المنحى التّالي :

حُذِفَ صائت لامها (فتحة النّون) قياسا على صيغة (فَعَلَ) عند اسناده لبعض ضمائر الرّفع في الماضي ــ كما هي الحال مع (قالَ) الذي حُذِفت حركة لامه عند اسناده لضمير الرّفع للمخاطب المفرد المذكّر (تَ) فيصير (قالْتَ) ــ ليتحوّل إلى (كانْتَ) .

ولما كانت اللّغة تفرّ من المقطع الطّويل من النّوع الرّابع و لا تقبله في بداية الكلمة ، قَلّصَتْ من كميته بأن اختصرت نواته إلى نصفها ، ليتطوّر إلى مقطع من النّوع الثّالث ، فأصبح اللّفظ (كَنْتَ) . ثمّ بفعل المخالفة الرّجعية المنفصلة ، غايرت ' الفتحة ' بعد الكاف إلى ' ضمّة ' ، من حيث أنّ الضّمة تدلّ على أنّ أصل المحذوف ' واو ' ، فهي من جنسه ، إذ الأصل في كان (كَوَنَ) كـ : (قَوَلَ) ، بدليل مغايرتها إلى ' كسرة ' لمّا كان الأصل فيها ' ياءً ' كما في (باع) ، الذي قيل فيه (بِعْتَ) ، ليصير اللّفظ إلى صورته الأخيرة على الشّكل (كُنْتَ) .

وقد اتّخذ البناء المقطعي للصّيغة الصّورة التّالية :

ــ كــانَ ⟵ ص م م + ص م .

ــ كانَ + تَ = كانَتَ ⟵ ص م م + ~~ص م~~ + ص م .

---

(1) الآية 123 .

ـ كانَتْ ⟵ [ص م ≠ ص] + ص م .

ـ كُنْتَ ⟵ ص م ص + ص م .

من خلال البناء المقطعي يتبيّن أن صيغة الإسناد الأولى (كانَتَ) توالى فيها ثلاثة مقاطع مفتوحة ، وهو أمر يشقّ على الآلة المصوِّتة ، من حيث أنّ تحقيق المقطع المفتوح يحتاج إلى جهد أقوى ، ممّا استدعى تدخّل المخالفة الكمّية التي حذفت نواة المقطع الأوسط ، ليغلق المقطع الأوّل بالهامش المتبقّي من المقطع الأوسط ، فيتشكّل في أوّل الكلمة مقطع طويل يخلّ بتوازن البنية ، لتستعيد توازنها بعد ذلك بتقليص نواة هذا المقطع الطّويل ، إلى البنية السّطحية (كُنْتَ) .

وفي الخطاطة التّالية توضيح لما أشرنا إليه :

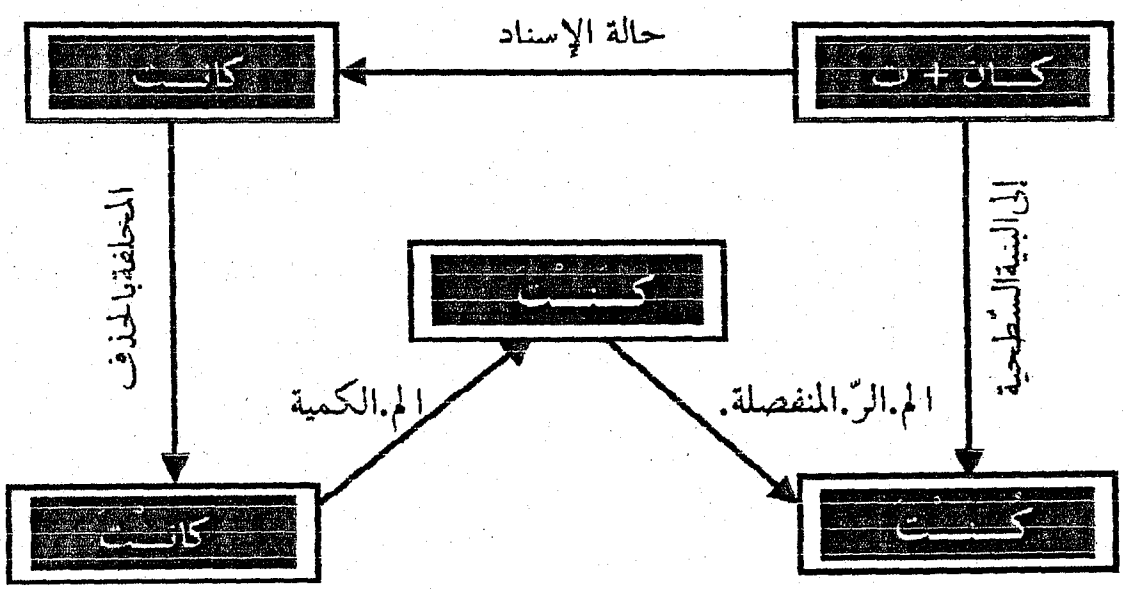

وردت ظاهـــرة النّحت مرّة واحدة (1) فـــي سورة ' طَـــهَ ' وبنسبـــة (0,22 %) إلى جميع النّسب السّابقة ، في لفظ (يَبْنَؤُمَّ) في الآية : **(قال يَبْنَـــؤُمَّ لا تأخذ بلحيتي و لا برأسي)** [1] ؛ فإنّ الباحث في أمره يجده قد نحت من أكثر من كلمتين ، فبنيته العميقة هي (يا + ابن + أُمّي) . وأمّا تحليلها المقطعي فهو كالآتـــي :

ـــ يا اِبْنَ أُمّي ـــــــــ ◄ ص م م + ص م ص + ص م + ص م ص+ ص م م .

ثمّ صيغت من مجموع حروفها كلمة واحدة تدلّ على معناها اختصاراً لبنيتها وسيراً نحو تسهيل النّطق بها ، فكان أنْ نزل عدد مقاطعها من خمسة إلى أربعة . بعدما قُلّصت كمية نواة المقطع الأوّل إلـــى نصفها ، واجتُزأ المقطع الموالي دون هامشه الثّاني ، ثم قُلّـــصتْ نواة المقطع الأخير إلى نصفها ، لتصبح في بنيتها السّطحية (يَبْنَـــؤُمَّ) .

و في الجدول التّالي يظهر الفرق البنيوي للشّكلين :

البنيـــة العميقة	بناؤهـــا المقطعـــي
يا اِبْنَ أُمّي	ص م م + ص م ص + ص م + ص م ص + ص م .
البنيـــة السّطحية	**بناؤهـــا المقطعـــي**
يـــبَنْؤُمَّ	ص م ص + ص م + ص م ص + ص م .

(1) الآية 92 .

الخاتمة

أمّا وقد بلغت نهاية دراستي حول الاقتصاد المورفونولوجي ووظيفته في التّواصل اللّساني ، أجد من اللّازم أن أحصر ما أسفر عنه البحث من نتائج ، فكانت كالآتي :

– أنّ اللّغة وإنْ تعدّدت وظائفهـــا ، تبقى أهـــمّ وظيفة لهـــا هي التّواصل بين الأفـــراد والجماعات .

– ظاهرة الاقتصاد اللّساني ، أو السّهولة و التّيسير ، أو الجهد الأقل ، مـــا هي في الواقع إلاّ مظهر من مظاهر العملية التّواصلية و تجلٍّ من تجلّياتهـــا ، وهـــي لا تخصّ لغة معيّنة فحسب ، وإنّما تُعَدّ ظاهرة عامّة تخضع لها كلّ لغات العالم . و الإنسان ، أينما وُجد ، ميّال بطبعه إلى الرّاحة ، يحاول أن يحقّق أهدافـــه و مقاصده في حياته من أقرب الطّرق ، وبذل أدنى الجهد .

– أنّ ظاهرة الاقتصاد المورفونولوجي مطلب دعتْ إليه روح العصر ، و حاجة الإنسان إلى السّرعة في التّحقيق و التّخفيف على الذّاكرة .

– أنّ القدماء عالجوا الظّاهرة تحت مصطلح (الاستخفاف و الاستثقال) .

– أنّ الأصـــوات في تشكّلهـــا جنباً إلى جنبٍ مع بعضها ، تخضع لقانون الجهد الأدنى ، عن طريق ميلهـــا إلى التّجانس و عدم التّنافر ، تسهيلا على طرفيْ العملية التّواصلية . ومن مظاهر ذلك في اللّغة العربية :

– تأليف الكلام العربـــي ممّا تباعدت مخارجـــه من الأصوات ، فلا يُجمع بين أصوات المخرج الواحد أو المخرجين المتدانيين المتقاربين .

و إذا حصل أنْ اجتمع فـــي الكلمة الواحدة أو الكلمتين المتجاورتين صوتـــان من نفس

المخرج أو من مخرجين متقاربين ، فإنّ ذلك يؤدّي إلى تنافرهـــما و بالتّالي تأثير بعضهما في بعض من أجل التّجانس و الانسجـــام ، و العودة إلى السّلاسة و الاسترسالية من خلال الآليات التي تمتلكها اللّغة .

و على ذلك فالتّأثر و التّأثير لا يكـــون إلاّ بين الأصوات من نفس المخرج أو المخرجين المتقاربين ، وكما يكون بين الصّوتين المتلاصقين ، يكون كذلك بين المنفصلين ، وكما يكون كلّيا ، يكون كذلك جزئيا ، وكما يكون تقدّميّا ، يكون كذلك رجعيّا .

- تحوّل الصّوت من مخرجه في الكلام المتّصل لضرب من التّجانس مع الصّوت المجاور ، كأنْ يتحوّل الصّـــوت الأنفـــي إلى فموي أو العكـــس ، أو أنْ يتقدّم الصّوت بمخرجه إلى الأمام ، أو يتأخّر به إلى الخلف .

- صيرورة الصّائت أنفيا لوقوعه بين صامتين أنفيين .

- قد يتحوّل الصّامت المهموس الموجود بين صائتين ، إلى مجهور بتأثيرهما .

- صيرورة الصّامتين المتجاورين المتناقضيْ الصّفة في ' الافتعال ' ـــ كأن يكون أحدهمـــا مطبقاً و الآخر منفتحاً أو أحدهما مجهوراً و الثّاني مهموساً ـــ إلى الاتّفاق فيهـــا ، بأنْ يصيرا مطبقين معـــاً أو مجهورين معـــاً ، حتّى يكون العمـــل في مستوى واحد اقتصادا في الجهد العضلي المبذول .

- و قد يتحوّل أحد الصّوتين المتجاورين إلى طبيعة الثّاني خارج ' الافتعال ' كذلـــك ، وبخاصّة في حالات الجهر و الهمس .

- تحوّل الصّامت الشّديد إلى رخو في ' الافتعال ' للمجانسة في المماثلة الكلّية .

- ميل الصّوائت إلى المجانسة مع الصّائتين الانتقاليين أو العكس ، أثناء تجاور بعضها مع بعض .

- إسقاط ' الهمزة ' في أوّل الكلام أو في درجه ، أو تخفيفها ، أو تحوّلها إلى مـــا يجانس الصّوت المجاور .

- أنّ الصّوت إذا مسّه التّطور في كلمة ، عُمِّمَ ذلك على كامل النّظام .

- هروب اللّغة العربية من الحركة المزدوجة في بداية الكلمة ، فكلّما تكرّر نفس الصّامت أو نفس الصّائت الانتقالي إلاّ حُذِف أحدهما ، أو خالف إلى صوت آخر ، ما لم يؤدِ ذلك إلى لبسٍ في الدّلالة .

- كلّما حدث اقتران ثقيل بين صوتين ، خالف أحدهما إلى ما يناسب الآخر .

- تلجأ اللّغة العربيـــة إلـــى حذف بعض الصّوامت أو أشباه الصّوائت أو حذف بعض الصّوائت ، أو تقليص كمّية الطّويلة منها ، كلّمـــا سنحت لها الدّلالة بذلك ، اقتصادا في الجهد .

- هروب اللّغة العربية من التّضعيف إلى المخالفة بأحد أصوات المجموعة المائعة ، لتسهيل العملية التّواصلية بين المتكلّم و المستمع .

- ميل العربية إلى الأيسر فونيمـــاً (الصّوائت القصيرة في مقابل الطّويلـــة ، الصّوامت المستفلة في مقابل المستعلية ...) .

- فرار اللّغة العربية من الألفاظ الطّويلة و إقامة كلامها على الأصول الثّلاثية .

- اعتمادهـــا على الأصوات المجهـــورة ، من حيث أنّ المجهور أسهـــل في التّحقيـــق من المهموس .

- شيوع الأصوات ا- شيوع الصّوائت في الكلام العربي و كثرتهـــا فيه ، فهي ستّة فقط ، تساوي ما نسبته (48 %) ، وهي أسهل الأصوات في كلّ كلام .
لمائعة التي سَهُلت على النّطق واستُسيغت في الآذان .
- وضع العربية لتلك الأوزان والقوالب الفكرية المحدّدة التي تساعد على معرفة المعانـــي الكلّيـــة .
- اعتمادها القياس علـــى الأشهر و الأكثر تداولا ، هروباً من إثقال الذّاكرة بمتاع غير مفيـــد .
- اعتمادهـــا المقاطع الثّلاثة الأولـــى السّهلة (القصير و المتوسّطين) ، و فرارهـــا من المقطعين الطّويلين الذين لا تقبلهما إلاّ آخراً أوحين الوقف .
- اعتمادها على المقاطع المقفلة ، من حيث أنّهـــا أسهل على التّحقيق من المفتوحة التي تتطلّب نَفَساً أكبر يجهِدُ الرّئتين .
- لجوؤها إلى تغيير بعض مواقع الأصوات من الكلمة لضرب من الإقتصاد في المجهود .
- استعمالها أحيانا للنّحت في توليد ألفاظها ، وهو وجه من أوجه الاقتصاد في اللّغة .
- وضعهـــا لفاصل بين الصّوتين الثّقيلـــين (المضعّفين ، أو المضعّف المتبوع بهمزة) ، أو قبل الهمزة لتسهيل العملية النّطقية .
- اعتمادها حال الوقف على المقطع المغلق ، تحقيقا للسّهولة .

تمّت بعون اللّه وتوفيقه .

الفهارس

1- فهرس المصادر والمراجع .

أ- المصادر .

ب- المراجع .

ج - الدوريات .

د- المراجع الأجنبية .

2- محتويات البحث .

1- فهرس المصادر و المراجع

- القرآن الكريم بقراءة نافع ورواية ورش ؛
طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ــ الجزائر ــ 1989.

أ : المصـــادر

1- أحمد أبو بكر بن موسى ، ابن مجاهد (ت 324 ه) :

السّبعة في القراءات ــ تحقيق : شوقي ضيف ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ د.ط ــ د.ت .

2- أحمد أبو الحسن ، ابن فارس (ت 395 ه) :

الصّاحبي في فقه اللّغة و مسائلهـــا و سنن العرب في كلامهـــا ــ علّق عليه ووضع حواشيه : أحمد حسن بسج ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط1 ــ 1997 .

3- بدر الدّين محمد بن عبد الله ، الزّركشي (ت 794 ه) :

البرهان ي علوم القرآن ــ تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ــ دار الفكر للطّباعة و النّشر و التّوزيع ــ ط3 ــ 1980 ــ الجزء الثّالث .

4- بهاء الدين عبد الله ، ابن عُقيل (ت 769 ه) :

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ــ تحقيق : هادي حسن حمودي ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ د.ط ــ 1991 ــ الجزءان .

5- جار الله محمود بن عمر أبو القاسم ، الزّمخشري (ت 538 ه) :

تفسير الكشّاف عن حقائق التّنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التّأويل ــ تحقيق و تعليق : محمد مرسي عامر ــ دار المصحف ــ القاهرة ــ د.ط ــ د.ت ــ الجزء الرّابع .

6- جلال الدّين عبد الرّحمان بن أبي بكر ، السّيوطي (ت 911 ه) :

1- **الإتقان في علوم القرآن** ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ د.ط ــ د.ت ــ الجزء الأوّل .

2- **بغية الوعّاة في طبقات اللّغويين و النّحاة** ــ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ــ المكتبة العصريّة ــ صيدا ــ بيروت ــ د.ط ــ د.ت ــ الجزءان .

3- **المزهر في علوم اللّغة و أنواعهـــا** ــ شرح و تعليق : محمد أحمد جاد المولى و علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل ابراهيم ــ دار الفكر للطّباعة و النّشر والتّوزيع ــ د.ط ــ د.ت ــ الجزء الأوّل .

4- **همع الهوامع شرح جمع الجوامع** ــ مكتبة الكلّيات الأزهرية ــ القاهرة ــ ط1 ــ 1327هـ .

7- جمال الدّين أبو الفضل محمد بن مكرم ، ابن منظور (ت 711 ه) :

لسان العرب ــ دار صــادر ــ بيروت ــ د.ط ــ د.ت ــ المجلّد 3 .

8- الخليل بن أحمد ، الفراهيدي (ت 175 ه) :

العين ــ تحقيق : مهدي مخزومي وابراهيم السّمرائي ــ دار الرشيد للنّشر ــ العراق ــ د.ط ــ 1980 ــ الجزء الأوّل .

9- سيد ، قطب :

في ظلال القرآن ــ دار الشّروق ــ بيروت ــ ط12 ــ 1986 ــ المجلّد الرّابع .

10- عبد الرّحمان بن أبي سعيد أبو البركات ، ابن الأنباري (ت 577 ه) :

أسرار العربية ــ تحقيق : محمد بهجة البيطار ــ المجمّع العلمي العربي ــ دمشق ــ د.ط ــ د.ت .

11- عبد القاهر ، الجرجاني :

1- **أسرار البلاغة في علم البيان** ــ علّق على حواشيها : محمد رشيد رضا ــ دار المعرفة ــ بيروت ــ ط.2 ــ د.ت .

2- **دلائل الإعجاز في علم المعاني** ــ علّق عليه : محمد رشيد رضا ــ دار المعرفة ــ بيروت ــ ط1 ــ 1994 .

12- عبد الله أبو محمد بن مسلم ، ابن قتيبة :

تأويل مشكل القرآن ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط3 ــ 1981 .

13- عبد الملك أبو منصور بن محمد ، الثّعالبي :

فقه اللّغة وسرّ العربية ــ تحقيق : أملين نسيب ــ دار الجيل ــ بيروت ــ ط1 ــ 1998 .

14- عثمان بن سعيد أبو عمرو ، الدّاني الأندلسي (ت 444 ه) :

التّحديد في الإتقان و التّجويد ــ دراسة و تحقيق : غانم قدّوري حَمد ــ طبع و نشر و توزيع مكتبة دار الأنبار ــ العراق ــ د.ط ــ 1988 .

15- عثمان أبو الفتح ، ابن جنّي (ت 392 ه) :

1- **الخصائص** ــ تحقيق : محمد علي النّجار ــ المكتبة العلمية ــ مصر ــ د.ط ــ د.ت ــ الأجزاء الثّلاثة .

2- **سرّ صناعة الاعراب** ــ دراسة و تحقيق : حسن هنداوي ــ دار القلم ــ دمشق ــ ط1 ــ 1985 ــ الجزءان .

3- **المنصف** ــ تحقيق : ابراهيم مصطفى و عبد الله أمين ــ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ــ مصر ــ ط1 ــ 1954 ــ الجزء الثّاني .

16- عماد الدّين أبوالفداء اسماعيل ، ابن كثير (ت 774 ه) :

تفسير القرآن الكريم ــ دار الأندلس للطّباعة و النّشر التّوزيع ــ د.ط ــ د.ت ــ الجزء الرّابع .

17- عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر ، سيبويه (ت 180 ه) :

1- **الكتاب** ــ تحقيق و شرح : عبد السّلام هارون ــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ ط3 ــ 1988 ــ الجزء الثّاني و الثّالث .

2- **الكتاب** ــ تحقيق و شرح : عبد السّلام هارون ــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ ط2 ــ 1982 ــ الجزء الرّابع .

18- محمد أبو بكر بن الحسين ، ابن دريد (ت 321 ه) :

جمهرة اللّغة ــ دار صادر ــ بيروت ــ د.ط ــ د.ت ــ الجزء الأوّل .

19- محمد أبو الخير ، ابن الجزري (ت 833 ه) :

النّشر في القراءات العشر ــ قدّم له : علي محمد الضّباع ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ د.ط ــ 1998 ــ الجزءان .

20- محمد أبو بكر ، ابن السّراج (ت 316 ه) :

الأصول في النّحو ــ تحقيق : عبد الحسين الفتلـــي ــ مؤسّسة الرّسالة ــ بيروت ــ ط1 ــ 1985 ــ الجزء الثّالث .

21- محمد بن الطّيب أبو بكر ، الباقلاّني (ت 403 ه) :

إعجاز القرآن ــ تحقيق : أحمد صقر ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ ط5 ــ د.ت .

22- محمد بن يزيد أبو العبّاس ، المبرّد (ت 285 ه) :

المقتضب ــ تحقيق : محمد عبد الخالق عضمة ــ عالم الكتب ــ بيروت ــ د.ط ــ د.ت ــ الجزء الثّالث .

24- موفّق الدّين ، ابن يعيش (ت 643 ه) :

شرح الملّوكي في التّصريف ــ تحقيق : فخر الدّين قباوة ــ مطابع المكتبة العربية ــ حلب ــ سوريا ــ ط1 ــ 1973 .

23- يحيى بن زياد ، الفرّاء (ت 207 ه) :

معاني القرآن ــ تحقيق : محمد علي النّجار و أحمد يوسف نجاتي ــ عالم الكتب ــ بيروت ــ ط2 ــ 1955 ــ الجزء 2 ، 3 .

ب : المراجـــع

1- إبراهيم ، أنيس :

1- **الأصوات اللّغوية** ــ مكتبة الأنجلو مصرية ــ القاهرة ــ ط 4 ــ 1971 .

2- **من أسرار اللّغة** ــ مكتبة الأنجلو مصرية ــ القاهرة ــ ط3 ــ 1965 .

3- **موسيقى الشّعر** ــ دار القلم ــ بيروت ــ ط4 ــ 1972 .

2- أحمد ، الحملاوي :

شذا العرف في فنّ الصّرف ــ شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البّابي الحلبي و أولاده بمصر ــ ط16 ــ 1965 .

3- أحمد عبد الرّحمان ، حمّاد :

عوامل التّطور اللّغوي ــ دار الأندلس ــ بيروت ــ ط1 ــ 1983 .

4- أحمد محمد ، قدّور :

مبادئ اللّسانيات ــ دار الفكر ــ دمشق ــ ط1 ــ 1996.

5- أحمد مختار، عمر :

دراسة الصّوت اللّغوي ــ عالم الكتب ــ القاهرة ــ ط3 ــ 1985 .

3- **اللّغة العربية معناها ومبناها** ـــ دار الثّقافة ـــ الدّارالبيضاء ـــ المغرب ـــ د.ط ـــ د.ت .

11- جوزيف ، فندريس :

اللّغة ـــ تعريب : عبد الحميد الدّواخلي و محمد القصّاص ـــ مكتبة الأنجلو مصرية ـــ القاهرة ـــ د.ط ـــ 1950 .

12- حسام سعيد ، النّعيمي :

الدّراسات الصّوتية و اللّهجية عند ابن جنّي ـــ دار الطّليعة للطّباعة و النّشر ـــ بيروت ـــ د.ط ـــ د.ت .

13- حسن ، ظاظا :

كلام العرب : من قضايا اللّغة العربية ـــ دار النّهضة العربية ـــ بيروت ـــ د.ط ـــ 1976 .

14- حلمي ، خليل :

المولّد في العربية ـــ دار النّهضة العربية ـــ بيروت ـــ ط2 ـــ 1985 .

15- حنفي ، ابن عيسى :

محاضرات في علم النّفس اللّغوي ـــ الشركة الوطنية للنّشر و التّوزيع ـــ الجزائر ـــ ط2 ـــ 1980 .

16- خولة طالب ، الإبراهيمي :

مبادئ في اللّسانيات ــ دار القصبة للنّشر ــ الجزائر ــ د.ط ــ 2000 .

17- رابح ، بوحوش :

البنية اللّغوية لبردة البصيري ــ ديوان المطبوعات الجامعية ــ الجزائر ــ د.ط ــ 1993 .

18- روفائيل نخلة ، اليسوعي :

غرائب اللّغة العربية ــ المطبعة الكاثوليكية ــ بيروت ــ ط2 ــ 1960 .

19- رمضان ، عبد التّواب :

1- **التّطور اللّغوي : مظاهره و علله و قوانينه** ــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ ط1 ــ 1983 .

2- **فصول في فقه اللّغة العربية** ــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ ط3 ــ 1987.

3- **لحن العامّة و التّطور اللّغوي** ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ ط1 ــ 1967.

4 - **المدخل إلى علم اللّغة و مناهج البحث اللّغوي** ــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ ط1 ــ 1982 .

20- صالح ، صبحي :

دراسات في فقه اللّغة ــ دار العلم للملايين ــ ط 13ــ 1997 .

21- صلاح الدّين ، صلاح حسنين :

المدخل إلى علـــم الأصوات : دراسة مقارنة ــ دار الاتّحاد العربي للطّباعة ــ ط1 ــ 1981 .

22- الطّاهر ، قطبي :

بحوث في اللّغة ــ ديوان المطبوعات الجامعية ــ الجزائر ــ د.ط ــ 1990 .

23- عبد الجليل ، عبد القادر :

1- **الأصوات اللّغوية** ــ دار صفاء للنّشر و التّوزيع ــ ط1 ــ 1998 .

2- **علم الصّرف الصّوتي** ــ أزمنة للنّشر و التّوزيع ــ عمّان ــ ط1ــ 1998.

3- **هندسة المقاطع الصّوتية** ــ دار صفاء للنّشر و التّوزيع ــ عمّان ــ ط1 ــ 1998 .

24- عبد الجليل ، مرتاض :

اللّغة و التّواصل ــ دار هومة ــ الجزائر ــ د.ط ــ 2000 .

25- عبد السّلام ، المسدّي :

اللّسانيات من خلال النّصوص ــ الدّار التّونسية للنّشر ــ ط 2 ــ 1986 .

26- عبد الصّبور، شاهين :

1- **أثر القراءات في الأصوات و النّحو العربي** ــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ ط1 ــ 1987 .

2- **المنهج الصّوتي للبنية العربية** ــ مؤسسة الرّسالة ــ بيروت ــ د.ط ــ 1980 .

27- عبد العزيز ، عتيق :

1- **المدخل إلى علم النّحو و الصّرف** ــ دار النّهضة العربية ــ بيروت ــ ط2 ــ 1974 .

2- **علم المعاني** ــ دار النّهضة العربية ــ بيروت ــ 1985 .

28- عبد العزيز ، قليقلة :

لغويات ــ دار الفكر العربي ــ القاهرة ــ د.ط ــ د.ت .

29- عبده ، الرّاجحي :

التّطبيق الصّرفي ــ دار النّهضة العربية ــ بيروت ــ د.ط ــ 1979.

30- عاطف ، مذكور :

علم اللّغة بين التّراث والمعاصرة ــ دار صفاء للنّشر و التّوزيع ــ ط1 ــ د.ط ــ 1987 .

31- علي حلمي ، موسى :

دراسة إحصائية لجذور معجم الصّحاح باستخدام الكمبيوتر ــ الهيئة المصرية العامّة للكتاب ــ د.ط ــ د.ت .

32- علي عبد الواحد ، وافي :

علم اللّغة ــ دار نهضة مصر للطّباعة و النّشر ــ ط7 ــ د.ت .

33- كمال محمد ، بشر :

علم اللّغة العام : الأصوات ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ د.ط ــ 1980 .

34- محمد ، الأنطاكي :

الوجيز في فقه اللّغة ــ مكتبة دار الشّرق ــ بيروت ــ ط3 ــ د.ت .

35- محمد توفيق ، شاهين :

علم اللّغة العام ــ مكتبة وهبة ــ القاهرة ــ ط1 ــ 1980 .

36- محمود ، السّعران :

علم اللّغة : مقدّمة للقارئ العربي ــ دار الفكر العربي ــ د.ط ــ د.ت .

37- محمد سالم ، محيسن :

القراءات و أثرها في علوم العربية ــ مكتبة الكلّيات الأزهرية ــ د.ط ــ 1984 .

38- محمود السيّد ، شيخون :

من أسرار البلاغة في القرآن ــ مكتبة الكلّيات الأزهرية ــ القاهرة ــ ط1 ــ 1984 .

39- محمد الصّغير ، بناني :

النّظريـــات اللّسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ مـــن خلال البيان والتّبيين ــ ديوان المطبوعات الجامعية ــ الجزائر ــ د.ط ــ 1983 .

40- محمد ، عبد العزيز :

مدخل إلى علم اللّغة ــ دار الفكر العربي ــ القاهرة ــ د.ط ــ 2000 .

41- ماريو ، باي :

أسس علم اللّغة ــ ترجمة و تعليق : أحمد مختار عمر ــ عالم الكتب ــ القاهرة ــ ط3 ــ 1987 .

42- مصطفى ، حركات :

اللّسانيات العامّـــة ــ دار الآفاق ــ الجزائر ــ د.ط ــ د.ت .

43- المهدي ، بوروبة :

ظواهر التّشكيل الصّوتيّ عند النّحاة و اللّغويين العرب حتّى نهاية القرن الثّالث الهجري ــ رسالة دكتوراه قُدّمت إلى قسم اللّغة العربية و آدابهـــا ــ جامعة تلسان ــ 2002 .

44- هنري ، فلاش :

العربية الفصحى : نحو بناء لغوي جديد ــ تعريب و تحقيق : عبد الصّبور شاهين ــ دار المشرق ــ بيروت ــ ط2 ــ 1983 .

45- يعقوب ، بكر :

1- **نصوص في فقه اللّغة العربية** ــ دار النّهضة العربية ــ بيروت ــ د.ط ــ د.ت ــ الجزءان .

2- **نصوص في النّحو العربي** ــ دارالنّهضة العربية ــ بيروت ــ د.ط ــ 1984 ــ الجزءان .

د : المراجع الأجنبية

1- Catherine , Fuchs et Pierre , Le Goffic :
Initiation aux problèmes des linguistiques contemporaines / Librairie Hachette / 1995 .

2- Daniel , Jones :
An outline of English phonetics / Ninth edition / W.Heffer & sons .LTD / Cambridge / England /1972 .

3- Edward , Sapir :
Linguistique / Les éditions de Minuit / Paris / 1968 .

4- Ferdinand , De Saussure :
Cours de linguistique générale / présenté par : Dalila Morsly / ENAG / 2ème édition / 1994 .

5- Georges , Mounin :
Clefs pour la linguistique / édition Seghers / Paris / 1968 .

6- Jaques , Durand :
Les formes de la communication / Bordas / Paris / 1981 .

7- Jean , Dubois :
Dictionnaire de linguistique / librairie Larousse / Paris / 1973 .

8- Joelle Gardes – Tamine :

La grammaire : 1 / phonologie , morphologie , lexicologie / Armand colin / Paris / 2ème édition / 1990 .

9- Judith , Lazar :

La science de la communication / que sais-je ? / Dahleb / 2eme édition / 1993 .

10- Roman , Jakobson :

1- **Essais de linguistique générale : Rapports intèrnes et extèrnes du language** / Les éditions de Minuit / Paris .

2- **Six leçons sur le son et le sens** / les éditions de Minuit / Paris / 1976 .

ج : الأبحاث الواردة بالدّوريات العربية

1- أحمد حسّاني :

البنية التّركيبية في رحاب اللّسانيات التّوليدية و التّحويلية ــ تجلّيات الحداثة ــ مجلّة تصدر عن معهد اللّغة العربية وآدابها بجامعة وهران ــ العدد الأوّل ــ السّنة الأولى ــ 1992 .

2- بشير ، إبرير :

التّواصل مع النصّ ــ المجلس الأعلى للّغة العربية ــ مجلّة فصلية يصدرها المجلس ــ العدد الرّابع ــ 2001 .

3- ريمون ، طحّان :

الألسنية العربية 1 ــ دار الكتاب اللّبناني ــ بيروت ــ ط2 ــ 1981 .

4- عبد الفتّاح ، المصري :

الصّوتيات عند ابن جنّي ــ التّراث العربي ــ السّنة الرّابعة ــ العدد : 15 و 16 ــ أفريل ــ يوليو 1984 .

5- نايف ، خرما :

أضواء على الدّراسات اللّغوية المعاصرة ــ سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثّقافة و الفنون و الآداب ــ الكويت ــ 9 ــ سبتمبر 1978 .

محتويات البحث

الموضوع — الصفحة

اهـــداء

مقدمة

مدخل : (من : ص 1 إلى 27)

مظاهر الاقتصاد اللّساني في اللّغة العربية..... 1

الفصل الأول : (من : ص 28 إلى ص 93)

*الاقتصاد المورفونولوجي في الظّواهر التّماثلية

➢ توطئـــة 29

➢ المماثلـــة 34

ـــ أنواعهـــا 38

ـــ المماثلة الكلّيـــة 40

1– المماثلة الكلّية التّقدمية المتّصلة 41

1- 1 : المماثلة بين الصّوامت 41

1– 2 : المماثلة بين أشباه الصّوائت و الصّوائت المجانسة لها 45

1- 2- 1 : تأثير الياء في الواو التّالية لها 45
1- 2- 2 : تأثير الكسرة في الواو التّالية لها 47
1- 2 - 3 : تأثير الصّائت في الهمزة السّاكنة بعده 48
1- 2- 4 : تأثير الضمّة في الياء التّالية لها 49
1- 2- 5 : تأثير الكسرة في الفتحة الطّويلة التّالية لها 50
2 : المماثلة الكلّية التقدميـــة المنفصلة 51
3 : المماثلة الكلّية الرّجعية المتّصلة 52
3- 1 : المماثلة بين الصّوامت 52
3- 2 : المماثلة بين الصّوائت و أشباه الصّوائت المجانسة لها 56
3- 2- 1 : تأثير الضمّة في الفتحة الطّويلة التّالية لها 56
3 - 2- 2 : تأثير الضمّة في الهمزة التّالية لها 56
3- 2- 3 : تأثير الكسرة في الصّائت الانتقالي التّالي لها 57
4 : المماثلة الجزئية التقدّمية المنفصلة 58
4 - 1 : المماثلة بين الصّوامت 58
4 - 2 : المماثلة بين أشباه الصّوائت و الصوائت المجانسة لها 59
5 : المماثلة الكلّية الرّجعية المتّصلة 61
5 - 1 : المماثلة بين الصّوامت 61
5 - 2 : المماثلة بين أشباه الصّوائت و الصّوائت المجانسة لها 66
5 - 2- 1 : تأثير الياء في الواو المتّصلة قبلها 67
5 - 2 - 2 : تأثير الصّائت في الصّائت الانتقالي الموجود قبله 67

6 : المماثلة الكلّية الرّجعية المنفصلة 69
6 – 1 : المماثلة بين الصّوامت 69
6 – 2 : المماثلة بين الصّوائت 71
7 : المماثلة الجزئية الرّجعية التّصلة 73
7– 1 : المماثلة بين الصّوامت 73
7– 2 : المماثلة بين أشباه الصّوائت والصّوائت المجانسة لها 74
8 : المماثلة الجزئية الرّجعية المنفصلة 74
8 – 1 : المماثلة بين الصّوامت 74
8 – 2 : المماثلة بين الصّوائت 77
9 : المماثلة المزدوجـــة 78
10 : المماثلة المخرجيّـــة 82
➢ **القلب المكانـــي** 86
➢ **النّحـــت** 91
1 : النّحـــت الفعلي 92
2 : النّحـــت الاسمي 93
3 : النّحـــت الوصفي 93
4 : النّحـــت النّسبي 93

الفصل الثاني : (من : ص 94 إلى 126)

***الاقتصاد المورفونولوجي في الظّواهر التّخالفية**

➢ المخالفـــة 95

ـــ أنواعهـــا 98

1 : المخالفة التّقدّمية المتّصلة 99

2 : المخالفة التّقدّمية المنفصلة 100

3 : المخالفة الرّجعية المتّصلة 104

4 : المخالفة الرّجعية المنفصلة 108

5 : المخالفة المزدوجة 110

6 : المخالفة الكميّة 112

7 : المخالفة بالحذف 114

الفصل الثالث : (من : ص 127 إلى 195)

*** وظيفة الاقتصاد المورفونولوجي في عملية التّواصل من خلال سورة ' طَهَ '**

➢ جوانب العملية التّواصلية 128

ـــ التّواصل باعتباره أهمّ وظيفة في اللّغة 129

ـــ العملية التّواصلية 132

ـــ أنواع التّواصل اللّساني 146
ـــ قنوات التّواصل اللّساني ووسائله 148
➢ **وظيفة الاقتصاد المورفونولوجي فيها من خلال سورة طَـــهَ** 150
➢ **التّعريف بالسّورة** 151
➢ **المماثلـــة** 153
1 : المماثلة الكلّية التّقدميّة المنفصلة 153
2 : المماثلة الجزئية التّقدّمية المتّصلة 156
2 – 1 : المماثلة بين الصّوامت 156
2 – 2 : المماثلة بين الصّوائت والصّائتين الانتقاليين 158
2 – 3 : المماثلة بين الصّوامت و الصّوائت 161
3 : المماثلة الجزئية التّقدّمية المنفصلة 162
4 : المماثلة الكلّية الرّجعية المتّصلة 163
5 : المماثلة الجزئية الرّجعية المتّصلة 167
5 – 1 : المماثلة بين الصّوامت والصّوائت 167
5 – 2 : المماثلة بين الصّوامت 167
6 : المماثلة الجزئية الرّجعية المنفصلة 169
7 : المماثلة المزدوجة 170
8 : المماثلة المخرجيّة 172

➢ المخالفـــة 175
1 : المخالفة التّقدّمية المنفصلة 175
2 : المخالفة الرّجعية المنفصلة 178
3 : المخالفة المزدوجة 179
4 : المخالفة بالحذف 181
5 : المخالفة الكمّية 190
➢ النّحت 195

الخاتمـــة 196

الفهارس 200
ـــ فهرس المصادر و المراجع 201
أ ـــ المصادر 201
ب ـــ المراجع 207
د ـــ المراجع الأجنبيّة 216
ج ـــ الأبحاث الواردة بالدّوريات العربية 218
ـــ محتويات البحث 219